المسك والعنبر في عشرين

خطبة على المنبر

للشيخ عبدالرحمن بن فهد الودعان

إمام وخطيب جامع المديهيم بحي الحمراء بالرياض

إعداد وتنسيق /

د. إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان

مقدمــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فالصفحات التي ستلي هذه المقدمة ، هي مجموعة خُطب منبرية ألقاها أخي الشيخ/ عبدالرحمن بن فهد الودعان-حفظه الله- ، لعدة سنوات ، في جامع المديهيم بحيّ الحمراء بمدينة الرياض . واقترحت على أخي إرسالها إليّ عبر البريد الإلكتروني ، كي أضم شتاتها في مُؤلّف واحد ، وأضع لها مقدمة يسيرة ، وخاتمة ، ومن ثمّ أرسلها إلى صهري الداعية/ إبراهيم بن عبدالرحمن العبدالسلام ، طالب كليّة الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كي يقوم بنشرها عبر الشبكة العنكبوتية . وقد جعلت عنوانها : (المسك والعنبر في عشرين خطبة على المنبر) .لعل الله سبحانه أن ينفع بها ، ويطرح لها القبول .

وإنّي أرجو أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به كاتبه وناشره وقارئه ، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد .

إعداد

د. إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان
EBRAHIM .F .W@GMAIL.COM

الخطبة الأولى : الهمّة العالية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)،(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)،(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)، أما بعد:

أيها المؤمنون.... كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أصحابه فقال لهم: تمنوا، فقال أحد: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت دراهم فأنفقها في سبيل الله، فقال: تمنوا ، قال آخر: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت ذهبا فأنفقها في سبيل الله، قال: تمنوا قال آخر: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت جوهرا أو نحوه فأنفقه في سبيل الله، فقال عمر: تمنوا ، فقالوا: ما تمنينا بعد هذا، قال عمر: لكني أتمنى أن يكون ملء هذا البيت رجالا مثل أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان فاستعملهم في طاعة الله.

قال: ثم بعث بمال إلى حذيفة، وقال: انظر ما يصنع، قال: فلما أتاه قَسَمَهُ، ثم بعث بمال إلى معاذ بن جبل فَقَسَمَهُ، ثم بعث بمال يعنى إلى أبي عبيدة، وقال: انظر ما يصنع، فقال عمر: قد قلت لكم أو كما قال. (١)

إنها أماني الرجال الكبار، أصحاب الهمم العالية الذين أخذوا دين الله تعالى بقوة وعزة ورغبة، قال تعالى: (يا يحي خذ الكتاب بقوة)(٢)، يعني خذ هذا الدين بجد وعزيمة من غير توان ولا تكاسل، وهو أمر لذوي الهمم العالية بالاستمساك بالكتاب علما وعملا، أين هذه الأماني

---

(١) رواه البخاري في التاريخ الأوسط ٥٤/١، وأحمد في فضائل الصحابة ٧٤٠/٢، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ٢٥٢/٣، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١٠٢/١، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٢٨٥/١٢.

(٢) سورة مريم آية ١٢.

العلية من أماني قوم فارغةٍ جوفاءَ لا تقدم للأمة شيئا بل لربما تجدها ترجع بالأمة إلى الوراء، وتريد زعزعتها وإبعادها عن دينها وعزتها وكرامتها، إن هذا الدين عظيم، وهو يدعونا جميعا إلى الاستمساك به غاية الاستمساك، اسمع إلى مولاك جل شأنه وهو يقول: (فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)[٣]، نعم إنك على صراط مستقيم لا عوج فيه فتمسك به، ما الذي تخشاه وأنت على الهدى..إنه سيوصلك إلى الأمان والطمأنينة في الدنيا والآخرة، (لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً هُمْ نَاسِكُوهُ فَلا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ)[٤] وقال تعالى: {وَالَّذِينَ يُمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ }الأعراف ١٧٠ فالذين يتمسكون بالقرآن من أعظم صفاتهم أنهم يقيمون الصلاة، وهم بعد ذلك قوم مصلحون لا مجرد قومٍ صالحين في أنفسهم بل يصلحون الآخرين بدعوتهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.. وقد وعدهم الله تعالى بأنه سيجازيهم ولا يضيع أجرهم.

أيها المؤمنون... هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يثني على المؤمن القوي في إيمانه المستمسك بدينه فيحدث راوية الإسلام وشيخ المحدثين وحافظ حديث سيد الأنام أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىَ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَىَ مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلاَ تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ: لَو أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَو تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ(٥).

لقد كان رَبِيعَةُ بن كَعْبٍ الأَسْلَمِيُّ رضي الله عنه يخدم النبي ﷺ ويبيت معه ويأتيه بوَضوئه وحاجته، وكانت نفسه تواقةً بذلك إلى الجنة، قال: كنت أَبِيتُ مع رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فقال لي: «سَلْ»، فقلت: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ في الْجَنَّةِ، (إنها النفس التواقة والهمة العالية كان بإمكانه أن يسأل الدنيا بأسرها، يسأل المال والمتاع الزائل؛

---

(٣) سورة الزخرف آية ٤٣.

(٤) سورة الحج آية ٦٧.

(٥)رواه مسلم في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة باللهِ، وتفويض المقادير لله، برقم(٢٦٦٤).

إلا إنه لما خيره الرسول بشيء يشفع فيه له عند ربه جل شأنه لم تتق نفسه إلا إلى أعلى المعالى إنها الجنة التي شمر لها المشمرون وعمل لها العاملون) فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وهو ينظر إلى خيرة أخرى: « أو غير ذلك »، قلت: هو ذَاكَ، (ولما كانت الجنة لا تأتي هكذا قال له): «فأعنى على نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ».[٦]

ولما اشتاقت نفسُ مَعْدَانَ بنِ أبي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيُّ رحمه الله إلى الجنة اشتهى أن يعرف عملا يدنيه منها، فذهب يبحث عن طلاب الجنة ينشدهم عن طريقها، فدعونا نستمع إليه وهو يحدث عن نفسه قائلا: لَقِيتُ ثَوْبَانَ مولى رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فقلت: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي الله بِهِ الْجَنَّةَ، أو قال قلت بِأَحَبِّ الأَعْمَالِ إلى اللَّهِ، فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ فقال: (قال ثوبان وهو يخبره بأنه هذا الشوق إلى الجنة كان قد رافقه من قبل، فها هو يسأل عن ذلك أعلم الناس بربه ذات السؤال) قال ثوبان رضي الله عنه: سَأَلْتُ عن ذلك رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فقال: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ فَإِنَّكَ لا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إلا رَفَعَكَ الله بها دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بها خَطِيئَةً»، قال مَعْدَانُ: ثُمَّ لَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ (أيضا لا زال يحب أن يسمع من طلاب الجنة عن طريقِ الوصول إليها) قال: فَسَأَلْتُهُ، فقال لي مِثْلَ ما قال لي ثَوْبَانُ.[٧]

الله أكبر... همم تطابقت على غاية يحرصون عليها ولا يفكرون في غيرها غاية يرجونها ...

أيها المؤمنون .. ولا زلنا نقتطف أخبار أصحاب الهمم العالية التواقون إلى الجنان.. فهذا آخر من ذوي الهمم العالية بلغ به الحال عجبا...لقد بلغ من حاله أنه صار يشم رائحة الجنة، فها هو خويدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه أَنَسٌ رضي الله عنه يحدثنا عن خبر عمه أَنَسِ بنِ النَّضْرِ رضي الله عنه فيقول: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بنُ النَّضْرِ عن قِتَالِ بَدْرٍ فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ غِبْتُ عن أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ؛ لَئِنْ الله أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ الله ما أَصْنَعُ. فلما كان يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ، قال: اللهم إني أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ

---

(٦) رواه مسلم في كِتَاب الصَّلاةِ، بَاب فَضْلِ السُّجُودِ وَالْحَثِّ عليه ٣٥٣/١ (٤٨٩).

(٧) رواه مسلم في كِتَاب الصَّلاةِ، بَاب فَضْلِ السُّجُودِ وَالْحَثِّ عليه ٣٥٣/١ (٤٨٨).

هَؤُلاءِ- يَعْنِي أَصْحَابَهُ- ، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاءِ- يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ- ، ثُمَّ تَقَدَّمَ، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بن مُعَاذٍ فقال: يا سَعْدَ بنَ مُعَاذٍ الْجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ إني أَجِدُ رِيحَهَا من دُونِ أُحُدٍ.

قال سَعْدٌ: فما اسْتَطَعْتُ يا رَسُولَ اللَّهِ ما صَنَعَ. قال أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أو طعنه بِرُمْحٍ أو رَمْيَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قد قُتِلَ وقد مَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فما عرفة أَحَدٌ إلا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ، قال أَنَسٌ: كنا نُرَى أو نَظُنُّ أَنَّ هذه الآيَةَ نَزَلَتْ فيه وفي أَشْبَاهِهِ: (من الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا ما عَاهَدُوا اللَّهَ عليه فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً). (٨)....لقد بلغت به همته ﷺ أن صار يشم ريح الجنة من شوقه إليها وإقباله عليها.

أيها المؤمنون... وفي المقابل... يقول الله تعالى عن صنف آخر من الناس ، صنف بغيض، صنف بعيد عن الحق والهدى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) الحج١١... قال مجاهد وغيره: على شك، قال الطبري: ذكر الله تعالى قوما يعبدونه على حرف وأنهم يطمئنون بالدين إن أصابوا خيرا في عبادتهم إياه وأنهم يرتدون عن دينهم لشدة تصيبهم فيه. (٩).. هؤلاء هم الذين يأخذون دين الله على كسل وقلة رغبة يأخذونه نفاقا.. أو عادة من العادات..فهم إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى.. وإذا صلى أحدهم صلاة واحدة ترك عشرا.. وإذا صلى بضع صلوات مَنَّ على الله تعالى بصلواته تلك التي لا يذكر الله فيها إلا قليلا..هؤلاء هم الذين لا يرفعون بالدين رأسا.. ويتركونه عند أول شك يحصل لهم وتردد.. شكوكهم في الدين لا تنتهي من كثرة ما يجالسون المشككين المارقين أو من كثرة ما يقرؤون في رواياتهم وكتبهم المتحللة عن كل قيمة من القيم السامية..أو من كثرة ما يشاهدونه مما لا يزيد المؤمن إيمانا بل إنه يزيد ضعيف الإيمان ضعفا إلى ضعفا وشكا إلى شكه .. بل إنهم صاروا إذا سمعوا الحق أعرضوا عنه وزادهم ذلك رجسا وشكا وفسادا.. وما ذلك إلا

---

(٨) رواه البخاري في كِتَاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ ، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى من الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا ما عَاهَدُوا اللَّهَ عليه فَمِنْهُمْ من قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ من يَنْتَظِرُ وما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ١٠٣٢/٣(٢٦٥١)، ومسلم في كتاب الإمارة، بَاب ثُبُوتِ الْجَنَّةِ لِلشَّهِيدِ ١٥١٢/٣(١٩٠٣).

(٩) تفسير الطبري ١٢٨/١٧ بتصرف يسير.

لفساد بواطنهم.. (وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وأما الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ) سورة التوبة١٢٤-١٢٥

{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ }يونس١٠٤

عباد الله... لقد بلغ من همة عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى أنه لما تولى الخلافة قال له رجل: لو تفرغت لنا. فقال عمر: وأين الفراغ؟! ذهب الفراغ فلا فراغ إلا عند الله. (١٠) وقال (١١):

قد جاء شغل شاغل وعدلت عن طرق السلامة

ذهب الفراغ فلا فراغ لنا إلى يوم القيامة

أقول ما تسمعون وأسأل الله تعالى أن يغفر لي ولكم ولجميع المسلمين إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ، أما بعد:

أيها المؤمنون.... إن هذا الدين عظيم، والواجب علينا التمسك به غاية التمسك، ولقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنين أن يشدوا على هذا الدين بأقوى ما يستطيعون، روى العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين بعدي تمسكوا بها وعَضّوا عليها بالنواجذ (١٢).

{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }الأنعام١٥٣،

---

(١٠) الطبقات الكبرى ٣٩٧/٥ .

(١١) تاريخ مدينة دمشق ١٦٩/٤٥ .

(١٢) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، برقم (٤٦٠٧)، والترمذي، كتاب العلم، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة،برقم (٢٦٧٦).

عباد الله... أين الذي يحافظ على صلاة الفجر كل يوم مع الجماعة من الذي لا يكاد يصليها أبدا حتى تطلع الشمس... أين الذي يحافظ على صلاة الجماعة كل فرض من الذي لا يكاد يعرف الطريق إلى المسجد.. ولو كان شيئا من أمر الدنيا فيه ما في مضاعفة صلاة الجماعة لسعى إليه ولو مسافرا.. ألا تراه في أمر الدنيا يسافر ويتغرب سنوات للحصول على ترقية يسيرة..... أين من يصلي دائما في الصف الأول لا تفوته تكبيرة الإحرام من الذي كل فرض تجده يأتي آخر الناس... ولربما إذا جاء مبكرا يوما صف في الصف المؤخر فخالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشريعته... أين الذي يجاهد نفسه حتى يخشع في صلاته من الذي يدخل الصلاة ويخرج منها ولا يعي منها شيئا...أين الذي يأتي كل جمعة مبكرا فيصف في الصف الأول.. من الذي لا يأتيها إلا في نهاية الخطبة الثانية.. ولربما في الركعة الثانية... بل ربما في التشهد الأخير فتكون قد فاتته صلاة الجمعة ويصليها ظهرا..... إنه تفاوت كبير فأين أصحاب الهمم العالية الذين يشتاقون لما عند الله تعالى...كان سعيد بن عبدالعزيز رحمه الله إذا فاتته الصلاة يعني في الجماعة أخذ بلحيته وبكى. (١٣)

أيها المؤمنون... أين من يجتهد في ذكر الله تعالى بلسانه وقلبه وأعماله الصالحة (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }آل عمران١٩١.. أين هؤلاء في الفضل وعلو الهمة ممن لا يذكرون الله إلا قليلا.

أيها المؤمنون... أين الذين يجتهدون في الدعوة إلى الله تعالى بأقوالهم وأفعالهم وكتاباتهم وأموالهم... بالكلمة الطيبة والابتسامة الحسنة..وبذل الوقت والجهد.. ممن لا يفكرون في الدعوة إلى الله تعالى.. وكأنهم غير معنيين بها (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)... بل ربما كانوا من قطاع الطريق الصادين عن الله تعالى بسوء أخلاقهم وغِلظِ طباعهم وفحشِ كلامهم...في رواندا يسلم أحد القساوسة المنصِّرين مقتنعا بهذا الدين فيتحول من داعية للكفر والنصرانية الباطلة إلى الدعوة إلى الإسلام ... يصبح عالي الهمة في الدعوة في بلاده رواندا.. فيصبح رئيس الدعاة فيها....حتى إنه لا يطيق أن يعيش يوما

---

(١٣) حلية الأولياء ٦ / ١٢٦ .

واحدا دون القيام بالدعوة إلى الله تعالى..أصابته الحمى يوما من الأيام حتى أصبح طريح الفراش... لكنه لا يستطيع البقاء على فراشه لشدة رغبته في الدعوة إلى الله تعالى... فيطلب من زوجتيه أن تحملاه إلى باب المنزل.. فحملتاه.. وبدأ يحدث المارة ويدعوهم للإسلام.. فأسلم في هذه الحالة جماعة منهم. (١٤)

أيها المؤمنون....فلنستمع إلى ما يصف الله تعالى به عباده المؤمنين في علو همتهم في التقوى وطلبها: {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً }الفرقان٧٤، إنهم لم يطلبوا أن يكونوا متقين فحسب بل سألوا الله جل وعلا أن يجعلهم أئمة للمتقين، فيالها من همة عالية.... اللهم اجعلنا من أئمة المتقين.... اللهم اجعلنا من أئمة المتقين....اللهم اجعلنا من أئمة المتقين.

قال ابن القيم:

فحيهلا إن كنت ذا همة فقد حدا بك حادي الشوق فاطو المراحلا

وقل لمنادي حبهم ورضاهم إذا ما دعا لبيك ألفًا كواملا

ولا تنظر الأطلال من دونهم فإن نظرت إلى الأطلال عدن حوائلا

ولا تنتظر بالسير رُفقة قاعدٍ ودعه فإن الشوق يكفيك حاملا

وخذ منهم زادا إليهم وسر على طريق الهدى والحب تصبح واصلا

وأحْي بذكراهم سُراك إذا وَنَتْ ركابُك فالذكرى تعيدك عاملا

وإما تخافن الكلال فقُل لها أمامك ورد الوصل فابغي المناهلا

وخذ قبسا من نورهم ثم سر به فنورهمُ يهديك ليس المشاعلا

وحي على وادي الأراك فقِل به عساك تراهم ثَمَّ إن كنت قائلا

وإلا ففي نعمان عندَ مُعرَّف ال أحِبَّة فاطلبهم إذا كنت سائلا

وإلا ففي جمع بليلته فإن تفت فمِنى يا ويح من كان غافلا

وحي على جنات عدن فإنها منازلك الأولى بها كنت نازلا

ولكن سباك الكاشحون لأجل ذا وقفتَ على الأطلال تبكي المنازلا

---

(١٤) المعجزة المتجددة للشيخ صالح اليافعي ١٢٣/١ .

وحيَّ على يوم المزيد بجنة الـ خلود فجُد بالنفس إن كنت باذلا
فدعها رسوما دارسات فما بها مَقِيل وجاوزها فليست منازلا
رسوما عفت ينتابها الخلق كم بها قتيل وكم فيها لذا الخلق قاتلا
وخذ يمنة عنها على المنهج الذي عليه سَرَى وفد الأحبة آهلا
وقل ساعِدي يا نفسُ بالصبر ساعة فعند اللقا ذا الكد يصبح زائلا
فما هي إلا ساعة ثم تنقضي ويصبح ذو الأحزان فرحان جاذلا

لقد حرك الداعي إلى الله وإلى دار السلام النفوس الأبية والهمم العالية، وأسمع منادي الإيمان من كانت له أذن واعية، وأسمع الله من كان حيا فهزه السماع إلى منازل الأبرار، وحدا به في طريق سيره فما حطت به رحاله إلا بدار القرار.(١٥)

{وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى }الفجر٢٣{وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ } {فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى }الأعلى٩ ، الذاريات٥٥{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ }ق٣٧

عباد الله....اتقوا الله تعالى حقَّ التقوى، واستمسِكوا من الإسلام بالعُروة الوُثقَى، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَق تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُن إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)، واعلموا أن من اتَّقى الله وقاه، وكفاه وأسعدَه وآواه.

وتقوى الله خيرُ الزاد ذُخرًا******وعند الله للأتقَى مزيدٌ

اتقوا الله تعالى واعلموا أنكم غدا بين يدي الله موقوفون وبأعمالكم مجزيون وعلى كسبكم محاسبون، وأن المصير إما إلى جنة المأوى وإما إلى نار تلظى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ).... اللهم.....

(١٥) زاد المعاد ٣ / ٧٥-٧٦ .

الخطبة الثانية : إن الله هو السميع البصير

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن مضلل فلا هادى له، اللهم ربنا لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض، ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، أنت الحق، وقولك الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك الحق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمنا، وبك آمنا، وعليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك خاصمنا، وبك حاكمنا، فاغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وأسررنا وأعلنا، وما أنت أعلم به منا، لا إله إلا أنت، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد:

أيها المؤمنون... أَتُرَوْنَ اللَّهَ يَسْمَعُ ما نَقُولُ؟! أَتُرَوْنَ اللَّهَ يَسْمَعُ ما نَقُولُ؟! أَتُرَوْنَ اللَّهَ يَسْمَعُ ما نَقُولُ؟! ... هكذا نطق بها مَن أعمى الله قلبه.. كَثِيرٌ شَحْمُ بطنِهِ.. قَلِيلٌ فِقْهُ قلبِهِ.... يحدثنا العالم الكبير والصحابي الجليل الفقيه المفسر العابد...عبدُ الله بنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه بخبر هؤلاء فيقول: اجْتَمَعَ عِنْدَ الْبَيْتِ ثَلاثَةُ نَفَرٍ قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ أو ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٌّ، قَلِيلٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ كَثِيرٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ، فقال أَحَدُهُمْ: أَتُرَوْنَ اللَّهَ يَسْمَعُ ما نَقُولُ؟! وقال الآخَرُ: يَسْمَعُ إن جَهَرْنَا ولا يَسْمَعُ إن أَخْفَيْنَا! وقال الآخَرُ: إن كان يَسْمَعُ إذا جَهَرْنَا فَهُوَ يَسْمَعُ إذا أَخْفَيْنَا. فَأَنْزَلَ الله عز وجل: (وما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ ولا أَبْصَارُكُمْ ولا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ. وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمْ الذي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ من الْخَاسِرِينَ).متفق عليه.[١٦] هكذا يظن من لا يعرف ربه.. إنه لا يَستشعرُ ولا يظن أن الله تعالى يراه ولا يَستشعرُ أن الله تعالى يسمعه.. (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ)... أمَّا أهل الإيمان.. أمَّا أهل التوحيد.. أمَّا أهل التقوى.. فاسمعوا إلى ما تقوله الطاهرةُ

([١٦]) رواه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سُورَةُ حم السَّجْدَةِ فصلت، بَاب قَوْله: (وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمْ الذي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ من الْخَاسِرِينَ) ١٨١٨/٤(٤٥٣٩)، ومسلم في كِتَاب صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ وَأَحْكَامِهِمْ ٢١٤١/٤(٢٧٧٥)، وهذا لفظه.

المطهَّرةُ...الطيّبةُ المطيَّبة...المبرَّأة مِن فوقِ سبعِ سماوات...أمُّنا أمُّ المؤمنين عَائِشَةُ رضي الله عنها وعن أبيها...تقول: الْحَمْدُ لِلّهِ الذي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ، لقد جَاءَتِ الْمُجَادِلَةُ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم تُكَلِّمُهُ وأنا في نَاحِيَةِ الْبَيْتِ ما أَسْمَعُ ما تَقُولُ، فَأَنْزَلَ الله عز وجل: (قد سمع الله قَوْلَ التي تُجَادِلُكَ في زَوْجِهَا) إلى آخِرِ الآيَةِ.[١٧].... (إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ).غافر٢٠

عباد الله... (اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى)طه٨ ... إن من أسماء الله تعالى الحسنى التي كثُرَ ذِكرها في الكتاب الكريم...اسمُ الله تعالى (السميع)... فهلاّ تفكّرنا في هذا الاسم العظيم وعرفنا ما ينبغي لنا تُجاهه.. هلاَّ تعرفنا على ربنا بالتعرف على أسمائه الحسنى وما تضمنته مِن الصِّفات العُلى.. إن اسم الله تعالى **السميع معناه:** أن الله تعالى ذُو سمعٍ يليقِ بجلالِهِ وعظمتِهِ، لا يُشْبِهُهُ شيءٌ، وأن سمعَهُ تعالى قد أحاطَ بكلِّ شيءٍ، فلا يَخفى عليه شيءٌ أبدًا، يسمع الشاهدَ والغائبَ، والظاهرَ والباطنَ، ما فوق السمواتِ السبعِ وما تحت الأرَضين السبع، ويسمعُ كلَّ شيءٍ على حقيقتِهِ خفيًّا كان أم ظاهرًا، سِرًّا كان أمْ جِهارًا، بعيدًا كان أم قريبًا، فالكُلُّ عندَهُ سواءٌ. يَسمعُ كلَّ شَيءٍ في آنٍ لا يَشْغَلُهُ شَيءٌ عَنْ شيءٍ. قال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) الشورى١١

أيها المؤمنون...تعتلوا بنا نشهد هذا الموقف العظيم من المربي العظيم...نشهد هذا الموقف الذي يربّي فيه النبُّي صلى الله عليه وسلم أصحابَه رضي الله عنهم ليستشعروا أن الله تعالى معهم يسمع ويرى في أي موضع كانوا وعلى أي حال كانوا...يقول أبو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ رضي الله عنه: لَمَّا غَزَا رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَيْبَرَ أو قال لَمَّا تَوَجَّهَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم(يعني إلى خيبر) أَشْرَفَ الناس عَلَى وَادٍ فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ: الله أَكْبَرُ، الله أَكْبَرُ، لا إِلَهَ إلا الله، فقالَ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «ارْبَعُوا على أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ ولا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا[بَصِيرًا]قَرِيبًا[تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ]،

([١٧]) رواه أحمد ٤٦/٦، والنسائي ١٦٨/٦(٣٤٦٠)، وابن ماجه ٦٧/١(١٨٨).

وهو مَعَكُمْ».[١٨] وفي روايةٍ لمسلم: «وَالَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إلى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَةِ أَحَدِكُمْ».

عباد الله... (إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)غافر٢٠ ... إن من أسماء الله تعالى الحسنى التي كثُر ذِكرها في الكتاب الكريم: اسمُ الله تعالى (البصير).. فهلاَّ تفكَّرنا في هذا الاسم العظيم وعرفنا ما ينبغي لنا تُجاهه.. هلاَّ تعرفنا على ربنا جل وعلا بالتعرف على أسمائه الحسنى وما تضمنته مِن الصفات العُلى.. إن اسم الله تعالى البصير معناه: أن الله تعالى ذُو بَصَرٍ يليقِ بجلالِهِ وعظمتِهِ، لا يُشْبِهُهُ شيءٌ، وأن بَصَرَهُ تعالى قد أحاطَ بكلِّ شيءٍ، فلا يَخفَى عليهِ شيءٌ أبدًا، يَرى الشاهدَ والغائبَ، والظاهرَ والباطنَ، ما فوق السمواتِ السبعِ وما تحت الأرَضين السبع، ويُبصرُ كلَّ شيءٍ على حقيقتِهِ صغيرًا كان أم كبيرًا، دقيقًا أمْ جليلاً، يرى ما بَعُدَ كما يرى ما قَرُبَ، ما كان في ظُلمةٍ وما كان في ضياءٍ فالكُلُّ عندَهُ سواء. يَرَى كلَّ شَيءٍ في آنٍ لا يَشْغَلُهُ شَيءٌ عَنْ شيءٍ. كما يتضمن ذلك عِلمَهُ بجميعِ الأشياء على حقيقتها لا تخفى عليه خافية. وقد دلت النصوص على أنه يُبْصِرُ بعينينِ، نُثْبِتُهُمَا عَلى الوجْهِ اللائقِ بِجَلاَلِهِ وعَظَمَتِهِ دونَ تشبيهٍ ولا تَمثيلٍ، ولا تَحريفٍ ولا تعطيلٍ. قال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) الشورى١١.. إنه يرى ويسمع المطيعَ المخلصَ وإن لم يرَه الناس ولم يسمعوه وكفاه ذلك أن يراه مَن يتقرب إليه ويتعبد له وهو الذي يجازيه على حُسن عمله.. فما حاجتنا ليرانا الناس والله تعالى يرانا.. وما حاجتنا ليسمَعَنا الناس والله تعالى يسمعُنا ويجازينا... ما ضر جُلَيْبِيبًا رضي الله عنه أن لا يعرفَه الناس....أتدرون من جُليبيب...أكثرنا لا يعرف جليبيب ولكنه الله يعلمه ويراه يسمعه ويبصره....يعلم جهاده وبطولته ويجزيه أحسن الجزاء... فهذا أبو بَرْزَةَ رضي الله عنه يحدثنا أَنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان في مَغْزًى له فَأَفَاءَ الله عليه فقال لأَصْحَابِهِ: هل تَفْقِدُونَ من أَحَدٍ؟ قالوا: نعم، فُلانًا وَفُلانًا

([١٨]) رواه البخاري في كتاب المغازي، بَاب غَزْوَةِ خَيْبَرَ ١٥٤١/٤(٣٩٦٨)، مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، بَاب اسْتِحْبَابِ خَفْضِ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ ٢٠٧٦/٤(٢٧٠٤)، والزيادة الأولى في البخاري في كتاب الدعوات، بَاب الدُّعَاءِ إذا عَلا عَقَبَةً ٥/ص٢٣٤٦(٦٠٢١)، والزيادة الثانية في صحيح البخاري في كتاب الجهاد والسير، بَاب ما يُكْرَهُ من رَفْعِ الصَّوْتِ في التَّكْبِيرِ ١٠٩١/٣(٢٨٣٠).

وَفُلانًا. ثُمَّ قال: هل تَفْقِدُونَ مِن أَحَدٍ؟ قالوا: نعم، فُلانًا وَفُلانًا وَفُلانًا. ثُمَّ قال: هل تَفْقِدُونَ مِن أَحَدٍ؟ قالوا: لا. قال: لَكِنِّي أفقد جُلَيْبِيبًا، فَاطْلُبُوهُ، فَطُلِبَ في الْقَتْلَى، فَوَجَدُوهُ إلى جَنْبِ سَبْعَةٍ قد قَتَلَهُمْ، ثُمَّ قَتَلُوهُ، فَأَتَى النبيُّ صلى الله عليه وسلم فَوَقَفَ عليه فقال: قَتَلَ سَبْعَةً، ثُمَّ قَتَلُوهُ، هذا مِنِّي وأنا منه، هذا مِنِّي وأنا منه، قال: فَوَضَعَهُ على سَاعِدَيْهِ ليس له [سَرِيرٌ] إلا سَاعِدَا النبيِّ صلى الله عليه وسلم قا ل: فَحُفِرَ له، وَوُضِعَ في قَبْرِهِ، ولم يذكر غَسْلا. رواه مسلم.(١٩)

(إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)غافر٢٠... إنه يسمع ويرى عمل العاصي المستخفي فأين يهرب منه.. إنه يرى ويسمع عمل المرائي الذي يرجو الثواب عند غيره أفلا يستحيي منه.. (قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)آل عمران٢٩

عباد الله... إن أعظم ما ينبغي لنا أن نستفيده من معرفتنا لاسمَي الله (السميع، والبصير) أن ندعوَه بهما وحده لا شريك له.. (وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)الأعراف١٨٠، (قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً)الإسراء١١٠

إن الذي سمع نداء يونس عليه السلام من تحت أمواج البحار.. في أعماق المياه .. في ظلمات الليل البهيم .. في بطن الحوت العظيم .. سمعه ينادي تحت الظلمات المتراكمة .. ينادي وهو يعلم أن هناك من يسمعه.. هناك من يرْقُبه.. هناك من يرحمه.. هناك من يحبه.. هناك من يرجوه لكشف كُربته ...هناك من لا يخفى عليه في الكون خافيه.. هناك من يكلؤه.. هناك من يحوطه بعنايته..ولولا أنه يكلؤه ويحوطه بعنايته لهلك منذ زمن ليس بالقليل.. تحت هذه الظلمات المتراكمة .. ظَلَّ ينادي الرحيم الرحمن..**(قف)** وإذا أيس الناس من كل رجاء بمخلوق إلا إن المؤمن لا ييأس أبدًا من الرجاء في الخالق...سمعه ينادي راجيا... (لا إِلَهَ إِلا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)... (لا إِلَهَ إِلا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي

(١٩) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، بَاب من فَضَائِلِ جُلَيْبِيبٍ ﷺ٤/١٩١٨(٢٤٧٢)ن والزيادة بين معقوفين من رواية أحمد ٤/٤٢٢.

كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)... (لا إِلَهَ إِلا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ).الأنبياء٨٧.. إنه يسمعك وأنت تناجيه.. رافعا حاجاتِك إليه.. راجيا عطاءه الواسع الكريم.. فلا تبخل على نفسك بمناجاة الله في ظلمة الليل البهيم.. حيث تنكسر القلوب.. وترتجى الإجابة من ملك الملوك...

يا مَنْ يَرَى مَدَّ البعوضِ جنَاحَها***في ظلمةِ الليلِ البهيمِ الأَلْيَلِ
ويرى نِيَاطَ عُروقِها في نَحرِها***والْمُخَّ مِنْ تلكَ العظام النُّحَّلِ
ويرى خريرَ الدمِ في أوداجِها***متنقلاً مِن مَفْصِلٍ في مَفْصِلِ
ويرى مكانَ الوَطءِ مِنْ أقدامِها***في سَيرهَا وحَثِيثِها الْمستعجِلِ
ويرى ويسمعُ حسَّ ما هو دونَها*** في قاعِ بحرٍ مظلمٍ متهَوّلِ
اغفرْ لعبدٍ تابَ مِنْ فَرَطَاتِهِ *** ما كانَ مِنْهُ في الزَّمَانِ الأَوَّلِ

أقول ما تسمعون واستغفر الله...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ، أما بعد:

عباد الله... إن أعظم ما ينبغي لنا أن نستفيده من معرفتنا لاسمي الله السميع والبصير أن نتأدب مع ربنا جل وعلا ونراقبه في السر والعلن، وفيما يأتيه أحدنا وما يذره من الأقوال والأعمال، والمراقبة من أعظمُ منازِلِ العِبادَةِ وأعلَى مَقَاماتِ الدِّينِ، وقَدْ عرَّفَهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بتعريفِ دقِيقٍ كما في حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ جِبْرِيلَ عليهِ السلامُ سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فقالَ: مَا الإِحْسَانُ؟ قالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإِنَّهُ يَرَاكَ».متفق عليه(٢٠)، فَمَنْ عَبَدَ اللهَ كأَنَّمَا يَرَاهُ واسْتَشْعَرَ ذلكَ بِقَلبِهِ كانتْ حَرَكاتُهُ وسَكَنَاتُهُ كُلُّهَا مُوَافِقَةً لِمَرْضَاتِ اللهِ تعالى، ومَنِ اسْتَشْعَرَ مُرَاقَبَةَ اللهِ تعالى لَهُ حَمَلَهُ ذلكَ عَلَى إِحْسَانِ العِبَادَةِ وإِتْمَامِهَا، والإِخْلاصِ فيهَا، وتَرْكِ مُراقَبَةِ الناسِ وعَدَمِ الْمُبَالاةِ بِهِمْ.

(٢٠) رواه البخاري في كتاب الإيمان، بَاب سُؤَالِ جِبْرِيلَ النبي ﷺ عن الإِيمَانِ وَالإِسْلامِ وَالإِحْسَانِ وَعِلْمِ السَّاعَةِ١/٢٧(٥٠)، ومسلم في كِتَاب الإِيمَانِ، بَاب بَيَانِ الإِيمَانِ وَالإِسْلامِ وَالإِحْسَانِ ١/٣٩(٩).

عباد الله... لقد أخبَرَ اللهُ جَلَّ وعلا عِبَادَهُ بأَنَّهُ رقِيبٌ عَلَى أعمَالِهِمْ، عَالِمٌ بِمَا فِي نُفوسِهِمْ لا تَخفَى عليهِ منهُمْ خَافِيَةٌ، فالسِّرُ عندهُ عَلانيةٌ، وذلكَ لِكَيْ يَخافوهُ ويُراقِبوهُ، في أعمَالِهِم الظاهِرةِ والباطِنَةِ، قالَ تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾(٢١)، وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(٢٢)، وقد أعَدَّ اللهُ لِمَنْ رَاقَبَهُ وخَشِيَهُ بالغيبِ أجْرًا عَظيمًا فقالَ تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب (٣٣) ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود (٣٤) لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد﴾(٢٣) .

عباد الله... إن مراقبةَ الله تعالى في السِّرِّ والعلانيةِ دليلٌ على صِدقِ مَحَبَّتِهِ وخشيتِهِ والحرص على مرضاته، وهي علامة على حياة القلب، قالَ الإمامُ العابِدُ الحافظُ الفَقيهُ مُفْتِي دِمَشْق أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ المبارَكِ الصُّورِيُّ رحمه الله: عَلاَمَةُ الْحُبِّ للهِ الْمُرَاقَبَةُ لِلْمَحْبُوبِ، والتَّحَرِّي لِمَرْضَاتِهِ.اهـ(٢٤) وذلك لأن الْمَحَبَّةَ الْحَقِيقِيَّةَ تقتضي مِنَ الْمُحِبِّ كَراهيَةَ أنْ يَرَاهُ حَبِيبُهُ في موقعٍ أو عملٍ لا يرضاهُ، واللهُ تعالى مطَّلِعٌ على العبدِ في كل أحوالِهِ. وأما قِلَّةُ الْمُبالاةِ بِمُراقَبَةِ اللهِ تعالى في السِّرِّ والعَلانِيَةِ؛ فهي دليلٌ على ضعفِ الْمَحَبَّةِ، وموتِ القلبِ أو مرضِهِ، فَعَلَى الْمُسلِمِ أن يُحْيِيَ قَلبَهُ بالْمُراقَبَةِ، ويُرَبِّيهِ على استشعارِهَا.

عباد الله... لقد كانَ السلفُ رحمهم الله يُرَبّونَ الناسَ عَلَى مُرَاقَبَةِ اللهِ تعالى، فهذا عبدُ اللهِ بنُ دِينارٍ يقول: خَرَجْتُ مَعَ ابنِ عُمَرَ إلى مَكَّةَ فَعَرَّسْنا، فانْحَدَرَ عَلَيْنَا رَاعٍ مِنْ جَبَلٍ، فقَالَ لَهُ ابنُ عُمَرَ: أَرَاعٍ؟ قالَ: نَعَمْ. قالَ: بِعْنِي شَاةً مِنَ الغَنَمِ. قالَ: إني مَمْلوكٌ، قالَ: قُلْ لِسَيِّدِكَ: أَكَلَهَا الذئْبُ! قالَ: فأينَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ؟! قالَ ابنُ عُمَرَ: فأينَ اللهَ؟! ثُمَّ بَكَى، ثُمَّ اشْتَرَاهُ بَعْدُ فأَعْتَقَهُ، واشْتَرَى لَهُ الْغَنَمَ(٢٥)... وجَاء رجُلٌ إلى بَعضِ الصالحينَ رحمه الله فقَالَ: أَوْصِنِي،

---

(٢١) سورة البقرة آية ٢٣٥.

(٢٢) سورة النساء آية ١.

(٢٣) سورة ق الآيات ٣١ ـ ٣٥ .

(٢٤) سير أعلام النبلاء ٣٩١/١٠.

(٢٥) سير أعلام النبلاء ٢١٦/٣.

فقالَ: لَهُ أُنظُرْ إلى السَّمَاءِ! فَنَظَرَ صَاحِبُهُ إلى السَّمَاءِ، فقالَ لَهُ: أتَدْرِي مَنْ خَلَقَ هذا؟ قالَ: اللهُ، فقالَ لَهُ: إنَّ مَنْ خَلَقَهَا لَمُطَّلِعٌ عَليكَ حَيثُ كُنْتَ، فَاحْذَرْهُ[٢٦]... وقالَ سُفيانُ الثَّورِيُّ رحمه الله يومًا لأصحابِهِ وهو يُعلِّمُهُم مُرَاقَبَةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: لَوْ كانَ مَعَكُمْ مَنْ يَرْفَعُ حَدِيثَكُمْ إلى السُّلطانِ أَكُنْتُمْ تَتَكَلَّمُونَ بِشَيءٍ؟ قَالوا: لاَ. قالَ: فإنَّ مَعَكُمْ مَنْ يرفعُ الحديثَ[٢٧].. وقالَ حاتِمُ الأصَمُّ رحمه الله وهو يعلِّمُ ويذكِّر بِمراقبةِ اللهِ تعالى: لو أنَّ صاحبَ خَبَرٍ جَلَسَ إليكَ لَكُنْتَ تَتَحَرَّزُ مِنْهُ، وكلامُكَ يُعرضُ عَلَى اللهِ فَلا تَحْتَرِزُ![٢٨]... قالَ رَجُلٌ لِوُهَيْبِ بنِ الوَرْدِ رحمه الله: عِظْنِي. قالَ: اتَّقِ أنْ يَكونَ اللهُ أهونَ النَّاظِرينَ إليكَ[٢٩].

عباد الله....اتقوا الله تعالى حقَّ التقوى، واستمسِكوا من الإسلام بالعُروة الوُثقَى، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَق تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُن إلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)، واعلموا أن من اتَّقى الله وقاه، وكفاه وأسعدَه وآواه.

وتقوى الله خيرُ الزاد ذُخرًا******وعند الله للأتقَى مزيدٌ

اتقوا الله تعالى واعلموا أنكم غدا بين يدي الله موقوفون وبأعمالكم مجزيون وعلى كسبكم محاسبون، وأن المصير إما إلى جنة المأوى وإما إلى نار تلظى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ).... اللهم.....

---

(٢٦) حلية الأولياء ١٠/٣٥.

(٢٧) سير أعلام النبلاء ٧/٢٦٨.

(٢٨) سير أعلام النبلاء ١١/٤٨٧.

(٢٩) حلية الأولياء ٨/١٤٢.

الخطبة الثالثة :برّ الوالدين

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن مضلل فلا هادى له.

اللهم ربنا لك الحمد كما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا وعلمتنا وأنقذتنا وفرجت عنا،اللهم لك الحمد بالإيمان ، ولك الحمد بالإسلام ، ولك الحمد بالقرآن، ولك الحمد بمحمد ﷺ ، ولك الحمد بما جعلتنا من خير أمة أخرجت للناس، ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة.

بسطت رزقنا، وأظهرت أمننا، وجمعت فرقتنا وأحسنت معافاتَنا، ومن كل ما سألناك ربنا أعطيتنا، فلك الحمد على ذلك حمدا كثيرا كما تنعم إنعاما كثيرا، وتصرف شرا كثيرا.

لك الحمد بكل نعمة أنعمت بها علينا في قديم وحديث، أو سر أو علانية، أو خاصة أو عامة، لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد:

يحدثنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بهذا الخبر عن الرجل الصالح (جريج الراهب): كان جريج رجلا عابدا فاتخذ صومعة فكان فيها، فأتته أمه وهو يصلي (فجعلت كفها فوق حاجبها ثم رفعت رأسها إليه تدعوه فقالت: يا جريج، أنا أمك كلمني، فصادفته يصلى) فقالت: يا جريج، فقال: يا رب أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فانصرفت.

فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت: يا جريج، فقال: يا رب أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فانصرفت.

فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت: يا جريج، فقال: أي رب أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فقالت: (اللهم إن هذا جريج وهو ابني وإني كلمته فأبى أن يكلمني) اللَّهمَّ لا تُمِتْهُ حتى ينظر إلى وجوه المومِسات.[لقد دعت عليه أمه ومع غضبها عليه كان في دعوتها حنان الأمهات: اللَّهمَّ لا تُمِتْهُ حتى ينظر إلى وجوه المومِسات. أتدرون ما المومسات؟ إنهن الزانيات الفاجرات لقد دعت عليه أن يراهن فقط] (قال صلى الله عليه وسلم: ولو دعت عليه أن يُفتن لفُتن).

فتذاكر بنو إسرائيل جريجا وعبادته وكانت امرأة بغيٌّ يُتمثل بحسنها فقالت: إن شئتم لأفتِنَنَّه لكم. قال: فتعرضت له فلم يلتفت إليها، فأتت راعيا كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت: هو من جريج[وفي رواية لأحمد: وكان من زنى منهم قتل[٣٠]]فأتوه فاستنزلوه (قال: فجاؤوا بفؤوسهم ومساحيهم فنادوه فصادفوه يصلي، فلم يكلمهم) وهدموا صومعته (قال: فأخذوا يهدمون دَيره فلما رأى ذلك نزل إليهم)، وجعلوا يضربونه،[وفي رواية لأحمد: فجعلوا في عنقه وعنقها حبلا وجعلوا يطوفون بهما في الناس.[٣١]] فقال: ما شأنكم؟ قالوا: زنيتَ بهذه البغيِّ فولَدَتْ منكَ، فقال: أين الصبي؟ فجاؤوا به، فقال: دعوني حتى أصلِّي فصَلى، فلما انصرف أتى الصبيَّ فطعن في بطنه (ثم مسح رأس الصبي) وقال: يا غلام مَن أبوك؟ قال: فلان الراعي، قال: فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا: نبني لك صومعتك من ذهب. قال: لا، أعيدوها من طين كما كانت، ففعلوا.رواه مسلم.[٣٢]

إنه لم ينشغل عنها بلهو ولا لعب... لم ينشغل عنها بمحرم... لم ينشغل عن أمه بالتسكع في الشوارع... ولا مع رفقاء السوء... ولا في المقاهي... ولا بلعب البلوت... ولا بتصفح الانترنت...ولا بقراءة الصحف والمجلات... إنما انشغل عنها بإطالة الصلاة... بالركوع والسجود... ولم يكن من الفقه ولا من الأدب الانشغال عن أمه بنوافل الطاعات لأن برَّها من الواجبات...

عباد الله.... وفي بيت آل المنكدر شأن آخر وكانوا أهل عبادة وصلاح؛ فلما كان محمد بن المنكدر الفقيه العالم الزاهد قد فقه من دين الله ما يعرف به حقوق الوالدين فقد كان يفرح ببقائه مع أمه يروِّح عنها ويغمز قدميها، ويرى أن ذلك بالنسبة له أفضل من قيام الليل، فلنستمع إلى محمد بن المنكدر وهو يقول: بات أخي عمر يصلي الليل، وبت أغمز قدمي

---

(٣٠) مسند الإمام أحمد ٢/٣٨٥.

(٣١) مسند الإمام أحمد ٢/٣٨٥.

(٣٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها ٤/١٩٧٦(٢٥٥٠)، والزيادات التي بين قوسين من رواية أخرى له.

أمي فما يسرني أن ليلتي بليلته، وفي رواية قال المنكدر بن محمد بن المنكدر: كان أبي بات على السطح يروح عن أمه وعمي يصلي إلى الصباح فقال له أبي: ما يسرني ليلتي بليلتك. [٣٣]... لقد بلغ بمحمد بن المنكدر من بره بأمه أنه كان يضع خده على الأرض ثم يقول لأمه: يا أمي قومي ضعي قدمك على خدي، لماذا؟ ليبلغ مبلغ الذل لها الذي أمر الله به. (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة).

وممن ضرب المثل ببرهم بآبائهم.... الفضل بنُ يحي، يقول القاضي ابن خلكان رحمه الله في كتابه (وفيات الأعيان): كان الفضل بنُ يحي كثيرَ البر بأبيه وكان أبوه يتأذى من استعمال الماء البارد في زمن الشتاء؛ فيُحكى أنهما لما كانا في السجن لم يقدرا على تسخين الماء، فكان الفضل يأخذ الإبريق النحاس وفيه الماء فيلصقه إلى بطنه زمانا عساه تنكسر برودته بحرارة بطنه حتى يستعمله أبوه بعد ذلك.[٣٤]

وفي ليلة أخرى وفي حال مشابهة للأولى يحدثنا المأمون عن بر الفضل بأبيه فيقول:لم أر أحداً أَبَرَّ من الفضل بن يحيى بأبيه، بلغ مِن بِرِّه به أن يحي كان لا يتؤضّأ إلا بماء مسخّن وهما في السجن، فمنعهما السجّان من إدخال الحطب في ليلة باردة، فقام الفضل حين أخذ يحيى مضجعه إلى قمقم كان يسخّن فيه الماء، فملأه ثم أدناه من نار المصباح، فلم يزل قائماً وهو في يده حتى أصبح. [٣٥]

وأما عمرو بن ميمون بن مهران فيتحدث عن برّه بأبيه فيقول: خرجت بأبي أقوده في بعض سكك البصرة، فمررت بجدول فلم يستطع الشيخ يتخطاه، فاضطجعت له فمر على ظهري، ثم قمت فأخذت بيده فدفعنا إلى منزل الحسن البصري.[٣٦]

([٣٣]) تاريخ مدينة دمشق ٥٦/٥٦- ٥٧.

([٣٤])وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٣٦/٤.

([٣٥]) عيون الأخبار لابن قتيبة ٩٨/٣.

([٣٦]) تهذيب الكمال ٢٢٤/٢٩-٢٢٥.

وأما عمر بن ذر الهَمْداني أحد الفقهاء العبَّاد فيحدث عن ولده ذر بن عمر وكان بارا به؛ وقد قيل له: كيف كان بر ابنك بك؟ فقال: ما مشيت قط بنهار وهو معي إلا مشى خلفي، ولا بليل إلا مشى أمامي، ولا رَقِيَ[٣٧] سطحا وأنا تحته. [٣٨]

وممن ضُرب المثل ببرهم بآبائهم.... الإمام الفقيه الزاهد محمد بن سيرين رحمه الله... قالت حفصة بنت سيرين وهي تحدث عن أخيها الإمام محمد بن سيرين رحمه الله: كانت أم محمد امرأة حجازية وكان يعجبها الصبغ، وكان محمد إذا اشترى لها ثوبا اشترى ألين ما يجد لا ينظر في بقائه، فإذا كان كل يوم عيد صبغ لها ثيابها، قالت: وما رأيته رافعا صوته عليها قط، وكان إذا كلمها كلمها كالمصغي إليها بالشيء.

ويقول ابن عون: إن محمدا كان إذا كان عند أمه ورآه رجل لا يعرفه ظن أن به مرضا من خفضه كلامه عندها.

ويقول بشر بن الحارث: كان ابن سيرين إذا كان عند أمه لا يتكلم مطأطئا رأسه، فيقال: ما لمحمد فيقولون: هو هكذا عند أمه. [٣٩]

وأما سليل الفضائل زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، ويقال له (علي الأصغر)، فقد كان زين العابدين كثير البر بأمه حتى قيل له: إنك أبرُّ الناس بأمك ولسنا نراك تأكل معها في صحفة! فقال: أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها فأكون قد عققتها.[٤٠]

وأما كَهمس بن الحسن العابد الصالح... فله خبر عجيب ونبأ غريب في بره بوالدته، لقد رأى كَهمس عقربا في البيت فأراد أن يقتلها أو يأخذها فسبقته إلى جُحرها، فأدخل يده في الجحر يأخذها، وجعلت تضربه، فقيل: ما أردت إلى هذا لِمَ أدخلت يدك في جحرها

([٣٧]) رقِيَ إليه كرضي رقْيا، ورُقِيّا: صعِد (قاموس مادة:ر.ق.ي)، وفي هامشه ذكر أن لغة طي مثل: رمى.

([٣٨]) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٣/٤٤٢-٤٤٣ .

([٣٩]) تاريخ مدينة دمشق ٥٣/٢١٦-٢١٧.

([٤٠]) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٣/٢٦٨، الوافي بالوفيات ٢٠/٢٣١.

تخرجها؟ قال: إني أحمد (ربي) (وكان لا يتكلم إلا بعد أن يحمد ربه)، خفت أن تخرج من الجحر فتجيء إلى أمي فتلدغها.[٤١]

وقال عبد الملك بن قريب الأصمعي: كان كهمس يعمل في الجصّ كل يوم بدانَقين، فاذا أمسى اشترى به فاكهة فأتى بها إلى أمه. [٤٢]

عباد الله.... عهد قديم أخذه الله على الأمم الماضية أن يحسنوا لآبائهم: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً}البقرة٨٣

{وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً }النساء٣٦

{قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }الأنعام١٥١

{وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً }الإسراء٢٣

{وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ }الأحقاف١٥

{وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }لقمان١٥

---

(٤١) حلية الأولياء ٢١١/٦ .

(٤٢) حلية الأولياء ٢١٢/٦.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف. قيل: من يا رسول الله؟ قال: من أدرك أبويه عند الكبر أحدَهما أو كليهما فلم يَدخل الجنة. [٤٣]

عباد الله..الأبوانِ باب من أبواب الجنة قد تدخل بسببه وقد تمنع، إن من البر بهما طاعتهما في غير معصية الله تعالى، والتلطف في خطابهما، وعدم التضجّر منهما، والتواضع لهما، والدعاء لهما في حياتهما وبعد موتهما، وصلة أقاربهما وأصحابهما، ولا يدعوهما باسمهما، ولا يجلس قبلهما، ويخدمهما، ويجيب دعوتهما، ولا يقطع حديثهما، أو يغلطهما، ونحو ذلك.

عباد الله.... إن بر الوالدين من أفضل الأعمال وأحبّها إلى الله تعالى، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**»، قال: ثم أيّ قال: «**بر الوالدين**»، قال: ثم أيّ؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»[٤٤].

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب

إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله.....

أما بعد: عباد الله.... بر الوالدين لا ينتهي بموتهما بل يبقى من برهما الدعاء لهما فعَلَى الولد أن يدعو لوالديه، في حياتهما وبعد موتهما، قال تعالى: (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) .لقمان ١٥

وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علمٍ ينتَفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له»متفق عليه.

([٤٣]) رواه مسلم في كتاب البر والصلة، باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة ١٩٧٨/٤(٢٥٥١).

(٤٤) رواه البخاري في مواضع، منها: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها (الفتح ٩/٢)، برقم (٥٢٧)، وكتاب الأدب، باب البر والصلة، (الفتح ٤٠٠/١٠)، (٥٩٧٠).

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إن اللَّهَ عز وجل لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ في الْجَنَّةِ، فيقول: يا رَبِّ أَنَّى لي هذه؟ فيقول: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لك».رواه أحمد.(٤٥)

وعَنْ أَبِي أُسَيْدٍ مَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، الصَّلاةُ عَلَيْهِمَا، وَالاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لا تُوصَلُ إِلا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا». رواه أبو داود وإسناده ضعيف فيه جهالة، ولكن معناه صحيح تدل عليه الأصول الشرعية.

كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إذا خرج إلى مكة كان له حمار يتروح عليه إذا مل ركوب الراحلة، وعمامة يشد بها رأسه، فبينا هو يوما على ذلك الحمار إذ مر به أعرابي (فسلم عليه عبد الله) فقال: ألست ابن فلان بن فلان؟ قال: بلى، فأعطاه الحمار، وقال: اركب هذا، (وأعطاه عمامة كانت على رأسه) والعمامة، قال: اشدد بها رأسك. فقال له بعض أصحابه: غفر الله لك، أعطيت هذا الأعرابي حمارا كنت تروح عليه، وعمامة كنت تشد بها رأسك (إنهم الأعراب وإنهم يرضون باليسير)! فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولى)، وإن أباه كان صديقا لعمر. (٤٦)

ومن بر الوالدين: أن لا يتسبب في لعنهما: اللعن في أصله حرام، ويزداد حرمة إذا كان هذا اللعن سبباً في لعن الوالدين، قال صلى الله عليه وسلم: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه» قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟! قال: «يسبّ أبا الرجل فيسبّ أباه، ويسب أمّه فيسبّ أمّه»(٤٧)،فكيف بمن يلعن والديه مباشرة(٤٨)؟!

---

(٤٥) رواه أحمد ٥٠٩/٢، وابن أبي شيبة ٥٨/٣(١٢٠٨١)، وعنه ابن ماجه في كتاب الأدب، باب بر الوالدين ١٢٠٧/٢(٣٦٦٠)، قال العراقي (المغني عن حمل الأسفار ٢٧٠/١(١٠٣٧)): إسناده حسن، وقال ابن كثير (في تفسيره ٢٤٣/٤)، والبوصيري في مصباح الزجاجة ٩٨/٤(٢٧٢١): إسناده صحيح، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٩٨).

(٤٦) رواه مسلم في كتاب البر والصلة، باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما ١٩٧٩/٤ (٢٥٥٢).

(٤٧) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب: لا يسب الرجل والديه (الفتح ٤٠٣/١٠) ح (٥٩٧٣).

(٤٨) انظر مجموع الفتاوي ٢٢٦/٣٤.

وختاما أيها المسلمون نتأمل حديث النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل: من أحقّ الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك»، قال: ثم مَن؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال ثم مَن؟ قال: «أبوك» رواه البخاري ومسلم.

ونتأمل قوله أيضا وهو الشفيق الرحيم حينما قال صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين» إن العقوق هو إيذاء الوالدين، بفعل أو قول أو ترك، إلا أن يكون ذلك لمسوّغ شرعي، فعندها لا يكون عقوقاً، كما لو أمر الوالدان بفعل معصية، أو ترك فريضة، ومن العقوق: الغضب عليهما، وترك طاعتهما، والإعراض عن حديثهما، وزجرهما والتأفّف من حاجتهما وكلامهما، ونحو ذلك.

عباد الله....اتقوا الله تعالى حقَّ التقوى، واستمسِكوا من الإسلام بالعُروة الوُثقَى، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)، واعلموا أن من اتَّقى الله وقاه، وكفاه وأسعدَه وآواه.

وتقوى الله خيرُ الزاد ذُخرًا******وعند الله للأتقَى مزيدُ

اتقوا الله تعالى واعلموا أنكم غدا بين يدي الله موقوفون وبأعمالكم مجزيون وعلى كسبكم محاسبون، وأن المصير إما إلى جنة المأوى وإما إلى نار تلظى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ).... اللهم.....

الخطبة الرابعة :همٌ كالقمم في طاعة الله

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن مضلل فلا هادى له، اللهم ربنا لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض، ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، أنت الحق، وقولك الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك الحق، والجنة حق، والنار حق،والنبيون حق، والساعة حق،اللهم لك أسلمنا، وبك آمنا، وعليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك خاصمنا، وبك حاكمنا، فاغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وأسررنا وأعلنا، وما أنت أعلم به منا، لا إله إلا أنت، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد:

أيها المؤمنون.. أشيروا عليَّ أيها الناس.... أشيروا عليَّ أيها الناس.... أشيروا عليَّ أيها الناس.... هكذا ارتفع صوته صلى الله عليه وسلم وهو يستشير أصحابه في أمرعظيم.... وذلك أنه [خرج النبيُّ ﷺ للتعرض إلى قافلة أهل مكة مع أبي سفيان.. ولما علم بخروج أهل مكة للدفاع عن أموالهم .. ولم يكن خارجا لقتال أهل مكة ولا مستعدا لهم فشاور أصحابه ﷺ وكان غاية ما يريد أن يتكلم أهل المدينة لأنهم لم يبايعوه على القتال خارج المدينة إنما بايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءَهم] فَتَكَلَّمَ أبو بَكْرٍ ﷺ فَأَعْرَضَ عنه [النبي ﷺ]، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ ﷺ فَأَعْرَضَ عنه[النبي ﷺ]، فَقَامَ سَعْدُ بن عُبَادَةَ ﷺ فقال: إِيَّانَا تُرِيدُ يا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بيده لو أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لَأَخَضْنَاهَا، وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إلى بَرْكِ الْغِمَادِ(٤٩) لَفَعَلْنَا. رواه مسلم.(٥٠)

---

(٤٩) بَرْكُ الغَمَاد قال في القاموس: مثلثةَ الغَيْنِ، وهو موضع باليمن، وقيل: موضِع وراءَ مَكَّةَ بخَمْسِ ليالٍ مِمَّا يَلِي البَحْر، وقيل: هو أَقصَى مَعْمُورِ الأَرضِ. (تاج العروس ٨/٤٧٠).

(٥٠)رواه مسلم في كتاب الجهاد والسير، بَاب غَزْوَةِ بَدْرٍ ١٤٠٣/٣- ١٤٠٤ (١٧٧٩).

وأَتَى الْمِقْدَادُ (بنُ عمرو أو ابن الأسود الكِنْدي) النبيَّ ﷺ (يوم بَدْرٍ) (وهو يَدْعُو على الْمُشْرِكِينَ)، (وهو على فرس له)-وكان رَجُلاً فَارِساً- قال: فقال: أَبْشِرْ يا نبي اللَّهِ والله لاَ نَقُولُ لك كما قالت بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى ﷺ: (اذْهَبْ أنت وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هٰهنا قَاعِدُونَ)، وَلَكِنْ (امْضِ وَنَحْنُ مَعَكَ)، والذي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَكُونَنَّ بين يَدَيْكَ، وَعَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ، وَمِنْ خَلْفِكَ، حتى يَفْتَحَ الله عَلَيْكَ (فَكَأَنَّهُ سُرِّيَ عن رسول اللَّهِ ﷺ)، قال ابن مسعود ﷺ: (فَرَأَيْتُ النبي ﷺ أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ قَوْلُهُ). رواه أحمد والبخاري.[٥١]

عباد الله... أيها المؤمنون.. أين هذه الهمة العالية لأصحاب النبي ﷺ مما ذكره الله تعالى عن بني إسرائيل حين أمرهم الله تعالى بدخول الأرض المقدسة، ولما كان هذا الدخول لا بد له من عمل وجهاد وقوة، فماذا قال القوم؟ (قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)المائدة٢٤، ضعف همة وقلة أدب وحياء من الله ومن رسوله ﷺ الذي أنقذهم الله به من الكفر ومن فرعون وجنوده ورأوا قدرة الرب في ذلك ولكنهم قوم ضعفاء تعودوا الذل والمهانة وكسالى لا يريدون أن يعملوا أي شيء للدين ورفعته وهممهم دنيئة.

عباد الله: إن المؤمن ينبغي أن يكون ذا همة عالية رفيعة تقوده إلى معالي الأمور، وتجنبه سفاسفها، قال الله تعالى لنبيه يحي عليه السلام : (يا يحي خذ الكتاب بقوة) [٥٢]، يعني خذ هذا الدين بجد وعزيمة من غير توان ولا تكاسل، وهو أمر لذوي الهمم العالية بالاستمساك بالكتاب علما وعملا... إن هذا الدين عظيم، وهو يدعونا جميعا إلى الاستمساك به غاية الاستمساك، فلنستمع إلى الله جل شأنه وهو يقول :{فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }الزخرف٤٣، نعم إنك على صراط مستقيم لا عوج فيه فتمسك به.

---

(٥١) رواه أحمد ٤٥٧/١، والبخاري في كتاب التفسير، بَاب: (فَاذْهَبْ أنت وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ) ١٦٨٤/٤(٤٣٣٣)، والزيادات الأولى والرابعة والخامسة من روايته، ورواه أيضا في كتاب المغازي، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) ١٤٥٥/٤(٣٧٣٦)، والزيادتان الثانية والأخيرة من روايته، والنسائي في السنن الكبرى ٣٣٣/٦(١١١٤٠) والزيادة الثالثة من روايته.

(٥٢) سورة مريم الآية ١٢.

أيها المؤمنون... يقول الله تعالى: {وَالَّذِينَ يُمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ }الأعراف١٧٠ فالذين يتمسكون بالقرآن من أعظم صفاتهم أنهم يقيمون الصلاة، وهم بعد ذلك قوم مصلحون لا مجرد قومٍ صالحين في أنفسهم بل يصلحون الآخرين بدعوتهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.. وقد وعدهم الله تعالى بأنه سيجازيهم ولا يضيع أجرهم.

عباد الله... أين الذي يحافظ على صلاة الفجر كل يوم مع الجماعة من الذي لا يكاد يصليها أبدا حتى تطلع الشمس... أين الذي يحافظ على صلاة الجماعة كل فرض من الذي لا يكاد يعرف الطريق إلى المسجد.. ولو كان شيئا من أمر الدنيا فيه ما في مضاعفة صلاة الجماعة لسعى إليه ولو مسافرا.. ألا تراه في أمر الدنيا يسافر ويتغرب سنوات للحصول على ترقية يسيرة..... أين من يصلي دائما في الصف الأول لا تفوته تكبيرة الإحرام من الذي كل فرض تجده يأتي آخر الناس... ولربما إذا جاء مبكرا يوما صف في الصف المؤخر فخالف سنة رسول الله ﷺ وشريعته... أين الذي يجاهد نفسه حتى يخشع في صلاته من الذي يدخل الصلاة ويخرج منها ولا يعي منها شيئا...أين الذي يأتي كل جمعة مبكرا فيصف في الصف الأول.. من الذي لا يأتيها إلا في نهاية الخطبة الثانية.. ولربما في الركعة الثانية... بل ربما في التشهد الأخير فتكون قد فاتته صلاة الجمعة ويصليها ظهرا..... إنه تفاوت كبير فأين أصحاب الهمم العالية الذين يشتاقون لما عند الله تعالى...كان سعيد بن عبدالعزيز رحمه الله إذا فاتته الصلاة يعني في الجماعة أخذ بلحيته وبكى. (٥٣)

أيها المؤمنون... أين من يجتهد في ذكر الله تعالى بلسانه وقلبه وأعماله الصالحة (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }آل عمران١٩١.. أين هؤلاء في الفضل وعلو الهمة ممن لا يذكرون الله إلا قليلا.

(٥٣) حلية الأولياء ٦ / ١٢٦ .

أيها المؤمنون... أين الذين يجتهدون في الدعوة إلى الله تعالى بأقوالهم وأفعالهم و كتاباتهم وأموالهم... بالكلمة الطيبة والابتسامة الحسنة..وبذل الوقت والجهد.. ممن لا يفكرون في الدعوة إلى الله تعالى.. وكأنهم غير معنيين بها (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)... بل ربما كانوا من قطاع الطريق الصادين عن الله تعالى بسوء أخلاقهم وغِلظِ طباعهم وفحشِ كلامهم...في رواندا يسلم أحد القساوسة المنصرين مقتنعا بهذا الدين فيتحول من داعية للكفر والنصرانية الباطلة إلى الدعوة إلى الإسلام ... يصبح عالي الهمة في الدعوة في بلاده رواندا.. فيصبح رئيس الدعاة فيها....حتى إنه لا يطيق أن يعيش يوما واحدا دون القيام بالدعوة إلى الله تعالى..أصابته الحمى يوما من الأيام حتى أصبح طريح الفراش... لكنه لا يستطيع البقاء على فراشه لشدة رغبته في الدعوة إلى الله تعالى... فيطلب من زوجتيه أن تحملاه إلى باب المنزل.. فحملتاه.. وبدأ يحدث المارة ويدعوهم للإسلام.. فأسلم في هذه الحالة جماعة منهم. (٥٤)

أيها المؤمنون....فلنستمع إلى ما يصف الله تعالى به عباده المؤمنين في علو همتهم في التقوى وطلبها: {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً }الفرقان٧٤، إنهم لم يطلبوا أن يكونوا متقين فحسب بل سألوا الله جل وعلا أن يجعلهم أئمة للمتقين، فيالها من همة عالية.... اللهم اجعلنا من أئمة المتقين.... اللهم اجعلنا من أئمة المتقين. ...اللهم اجعلنا من أئمة المتقين.....أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد:

(٥٤) المعجزة المتجددة للشيخ صالح اليافعي ١٢٣/١ .

أيها المؤمنون... هذا رسول الله ﷺ يثني على المؤمن القوي في إيمانه المستمسك بدينه فيحدث راوية الإسلام وشيخ المحدثين وحافظ حديث سيد الأنام أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىَ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَىَ مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلاَ تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ: لَو أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَو تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»(٥٥).

ينبغي أن يكونَ الْمُؤْمِنُ قَويًّا في كلِّ شيءٍ من الخير والمعروف، ذا هِمَّةٍ عاليةٍ في أَمْرِ دِينِهِ ودُنياهُ، لأن عمومَ الحديثِ يَشملَ ذلكَ كلَّه؛ ومن القوة: أنْ يَكونَ قَوِيًّا في توحيدِهِ، فيعبد الله وحدَهُ لا شريكَ له، ويدعوه وحدَهُ ويستغيثُ به، ويتوكلُ عليه في أمورِهِ كلِّها، ويدعو إلى التوحيدِ وينْشُرُهُ، ويتجنبُ الشِّركَ صغيرَهُ وكبيرَهُ، فلا يعبدُ غيرَ الله، ولا يستغيثُ بغيرِهِ ولا يدعوه، ولا يرائي المخلوقينَ.

«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىَ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ» ومن القوة أنْ يَكونَ قَوِيًّا فِي عبادَتِهِ، فهو قويٌّ في صَلاتِه فلا يفرِّط فيها أبدًا، يَحرصُ على أدائِها في بيوتِ الله تعالى، ويحرصُ على إتمامِهَا بالنوافِلِ التي تُكَمِّل ما قد ينقصُ منها، قَويٌّ في أداءِ ما أوجبَ الله عليهِ مِن الزَّكاةِ؛ فلا يَنْقُصُ منها شيئًا، ولا يُؤَخِّرَها عن وقتِهَا، ويؤدِّيها إلى مُستحِقِّيهَا، ويكمِّلُ ذلكَ بالصدقةِ الْمُستَحَبَّةِ، وهكذا في صيامِهِ وحَجِّه وبِرِّهِ بوالِدَيْهِ، وغيرِ ذلكَ.

«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىَ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ» ومن القوة أنْ يَكونَ قَوِيًّا فِي الدعوةِ إلى الله تعالى وتبليغِ هذا الدِّينِ، والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ، فلا يليقُ بالمسلمِ أنْ يكون سلبيًّا تُجاهَ تبليغِ هذا الدِّينِ، وكلُّ مسلمٍ عليهِ مسؤوليةٌ تُجاه تبليغِ دِينِ الله تعالى بحسبِ ما عندهُ مِن العِلمِ، ولا يخلو مسلمٌ مِن عِلْمٍ ولو يسير؛ فليبلِّغْهُ لمن جهِلَهُ ولِمَنْ تَرَكَ العملَ بِهِ مسلمًا كانَ أمْ كافِرًا كلٌّ بِحَسَبِهِ.

---

(٥٥)رواه مسلم في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة باللهِ، وتفويض المقادير لله، برقم(٢٦٦٤).

«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىَ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ» ومن القوة أنْ يَكونَ قَوِيًّا فِي تركِ كلِّ ما نهى الله تعالى عنه ورسولُه ﷺ مِن الشركِ بأنواعِهِ، والمعاصي الكبيرة والصغيرة، والأكملُ أن يتجنبَ أيضًا جميعَ المكروهاتِ لدخولها فيما نهى الله عنه ورسولُه ﷺ .

«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىَ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ» ومن القوة أنْ يَكونَ قَوِيًّا فِي سلوكِهِ وأخلاقِهِ وتعامُلِهِ معَ الناسِ فيكونُ ليِّنَ الطبعِ خَلوقًا بَشوشًا، يعينُ من يستطيعُ إعانَتَهُ بقولِهِ أو فِعلِهِ أو جَاهِهِ، مُعْرِضًا عن الجاهلين، صابرًا متحمّلاً للأذى، حليمًا على مَن أخطأَ بحقِّهِ، متجنّبًا للغضبِ وأسبابِهِ، وإذا غضِبَ كظمَ غيضَهُ وتجنَّبَ الانسياقَ وراءَهُ بِفعلِ مَا يُذَمُّ عليهِ.

«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىَ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ» ومن القوة أنْ يَكونَ قَوِيًّا في عَمَلِهِ في دُنياهُ، ومعنى ذلك: أنْ يُحسِنَ فيهِ نِيَّتَهُ لِربّه جَلَّ وعلا، فينوي كَسْبَ الرِّزقِ الْحَلالِ، ونَفْعَ إخوانِهِ الْمسلمينَ، ومساعدةَ الْمُحتاجينَ، ويؤدِّي عَمَلَهُ بأَمَانةٍ وصِدقٍ، ويُتْقِنُهُ عَلَى الغَايةِ التي يستطيعُهَا. (٥٦)

وبما تقدَّم كلِّه يكونُ الْمُؤْمِنُ قَويًّا فيمَا بينه وبينَ الله، وفيمَا بينَهُ وبينَ الناسِ، فَيَتَحَقَّقُ فيهِ وصفُ الْمُؤْمِنِ القَويِّ مِن جَميعِ جوانِبِهِ.

عباد الله... إن هذا الدين عظيم، والواجب علينا التمسك به غاية التمسك، ولقد أمر النبي ﷺ المؤمنين أن يشدوا على هذا الدين أشد التمسك فروى، العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين بعدي تمسكوا بها وعَضّوا عليها بالنواجذ (٥٧)، {فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }الزخرف٤٣

اللهم ..

---

(٥٦) وليس المراد أن يكونَ لاهثًا في عملِ الدنيا مُعرِضًا عن عمل الآخرة التي هي الأصل، على حدِّ وصفِ النَّبِيِّ ﷺ في قوله: «إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ كُلَّ جَعْظَرِيٍّ جَوَّاظٍ، سَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ، جِيفَةٍ بِاللَّيْلِ، حِمَارٍ بِالنَّهَارِ، عَالِمٍ بِأَمْرِ الدُّنْيَا، جَاهِلٍ بِأَمْرِ الآخِرَةِ».صححه ابن حبان١/٢٧٤(٧٢)، وقوله تعالى: (يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) سورة الروم آية:٧.

(٥٧) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، برقم (٤٦٠٧)، والترمذي، كتاب العلم، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة،برقم (٢٦٧٦).

الخطبة الخامسة : قصة نبي الله يونس عليه السلام دروس وعبر

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن مضلل فلا هادى له، اللهم ربنا لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض، ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، أنت الحق، وقولك الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك الحق، والجنة حق، والنار حق،والنبيون حق، والساعة حق،اللهم لك أسلمنا، وبك آمنا، وعليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك خاصمنا، وبك حاكمنا، فاغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وأسررنا وأعلنا، وما أنت أعلم به منا، لا إله إلا أنت،أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد:

عباد الله.. تعالوا بنا اليوم تحت أمواج البحار.. وفي أعماق المياه .. وفي ظلمات الليل البهيم .. لنستمع إلى صوت ينادي.. ينادي ولست ترى أحدًا يسمعه تحت هذه الظلمات المتراكمة .. ينادي رافعا صوته وهو يعلم أن هناك من يسمعه .. هناك من يرْقُبه.. هناك من يرحمه.. هناك من يحبه.. هناك من يرجوه لكشف كُربته ...هناك مَن لا يخفى عليه في الكون خافيه.. هناك من يكلؤه.. هناك من يحوطه بعنايته..ولولا أنه يكلؤه ويحوطه بعنايته لهلك منذ زمن ليس بالقليل.. تحت هذه الظلمات المتراكمة ظَلَّ ينادي بأعلى صوته .. وإذا أيس الناس من كل رجاء بمخلوق إلا إنه هو لم ييأس أبدًا من الرجاء في الخالق .. تحت ركام الظلمات.. وفي أعماق المياه... وفي بطن الحوت العظيم.. صوتُ العبد الآبق من مولاه.. الهارب من المعاناة.. ولكنه يهرب إلى من.. لا منجا من الله إلا إليه.. ولا ملجأ من الله إلا إليه .. (ففروا إلى الله).. يرفع صوته مناديا...خائفا... راجيا... (لا إِلَهَ إِلا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)... (لا إِلَهَ إِلا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)... (لا إِلَهَ إِلا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ).الأنبياء٨٧

من أين تبدأ القصة ومَن هذا الرجل الصالح الذي أصابته هذه المصيبة العظيمة، ولماذا؟ إنه ذو النون عليه السلام.. يعني صاحبَ الحوت.. إنه يونس بن مَتَّى عليه السلام.. رسول عظيم من رسل الله تعالى قصَّ الله تعالى علينا قصته في كتابه لنعتبر بها ونَنْهل من دروسها العظيمة...

قال تعالى:(وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) وهذا ثناء منه تعالى على عبده ورسوله يونس بنِ متَّى عليه السلام، كما أثنى على إخوانه المرسلين بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله، لقد أرسله الله تعالى داعيا ومبشرا ونذيرا إلى أهل (نَيْنوى) بأرض الموصل في العراق، وكانوا يعبدون الأصنام.. فدعاهم إلى الله ونهاهم عن عبادة غيره، فأبَوْا عليه وتمادَوا على كفرهم، فخرج من بين أظهرهم مغاضبا لهم، ووعدهم بالعذاب بعد ثلاثة أيام.

ولَمَّا وعده الله إنزال الْهَلاك بقومه الذين كذبوه وعلم أنه نازل لا محالة، وكان قد طال الأمر عليه خرج من بين أظهرهم...لم يصبر على البقاء معهم ولا على دعوتهم ما بقي من أيام، فخرج مغاضبا لهم ولم يأمره الله تعالى بالخروج بعد، فذَكر تعالى عنه، أنه عاقبه عقوبة دنيوية، أنجاه منها بسبب إيمانه وأعماله الصالحة، فقال: (إِذْ أَبَقَ) أي: من ربِّهِ لَمَّا خرج بغير أمره مغاضِبا لقومه، ظانًّا أن الله تعالى لا يعاقبه على ذلك، وأنه لن يضيِّق عليه الأرضَ، فهي فسيحة، والقرى كثيرة، والأقوام متعددون...وما دام هؤلاء يَستعصون على الدعوة، فسيوجهه الله إلى قوم آخرين، ولكن الله تعالى عاقبه على استعجاله وعدمِ انتظارِه لأمره بالخروج، عاقبه مع كونه من الرسل الكرام، ونجاه بعد ذلك، وأزال عنه الملام، وقيض له ما هو سبب صلاحه. فكان واجبا على العبد أن يحذر من مخالفة أمر ربه، ومن معاجلته له بالعقوبة، وأن يتفكر أن ما قد يصيبه من البلاء إنما هو عقوبة من الله تعالى على ما قد اقترفته يداه... فبم عاقبه الله تعالى وابتلاه؟ (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ) الصافات١٤٢، ابتلعه (وهو مليم) يعني: آتٍ بما يُلام عليه من ذهابه إلى البحر وركوبه السفينة بلا إذنٍ من ربه ... فكيف كان هذا؟ لَمَّا خرج عليه السلام من قومه لجأ(إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) الممتلئِ بالركاب والأمتعة، فلما ركب مع غيره، ثقلت السفينة بهم في وسط البحر وخافوا مِن الغرق، فاحتاجوا إلى إلقاء بعض الركاب ليتخففوا، ولينجوَ بعضهم بهلاك بعضهم الآخر، فماذا صنعوا؟ لقد رأوا أن لا

يختاروا أحدا منهم عشوائيا فيظلمونه، فاتفقوا على أن يضعوا بينهم القرعة فمن وقعت عليه رموه في البحر لتخف بهم السفينة، فلما اقترعوا أصابت القُرعة يونس عليه السلام (فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ) أي: المغلوبين في القُرعة، فأُلقي في البحر، لقد أُلقي إلى الموت...بحرٌ هائج يخافه من في السفينة فكيف بمن هو في لُجَّتِهِ، ولكن الله تعالى يحب هذا العبد وإنما أراد به الخير بهذا البلاء وهذه العقوبة، فأكرمه بكرامة لم تحصل لغيره عليه السلام، لقد (الْتَقَمَهُ الْحُوتُ)، ومن التقمه الحوت هلك، ولكن الله جعل الحوت سلاما عليه كما جعل النار سلاما على إبراهيم عليه السلام، فبقي عليه السلام في بطن الحوت قيل: أربعون يوما، وقيل: سبعة أيام، وقيل: ثلاثة أيام، وقيل: ساعات، والله أعلم أي ذلك كان.. إلا إنه بقي فيه مهمومًا مغمومًا حزينًا كظيمًا كما وصفه الله تعالى.. فهو حُزنٌ على حُزنٍ وألَمٌ يتلوه أَلَمٌ (إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ)، (وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ) القلم٤٨ يعني: مغموما.. مكروبا ... فصار ينادي ربه: (لا إِلَهَ إِلا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ).. مقرًّا لله تعالى بكمال الألوهية، ومنزِّها له عن كل نقص وعيب وآفة، ومعترفًا بظلمه لنفسه وجنايته.. تائبا منيبا لربه جل وعلا.... فيأتيه الجواب من حبيبه.. يأتيه الجواب من الذي لا يرجو سواه.. يأتيه الجواب ممن أحسن ظنه به وإن عصاه..(فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ. لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)الصافات١٤٣-١٤٤... لقد كان من المسبحين لله تعالى في وقت الرخاء.. لقد كان من المكثرين لعبادة الله تعالى.. المخبتين المطيعين المصَلّين الذاكرين الله تعالى كثيرا في وقته السابق من قبل أخذ الحوت له.. «احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إذا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وإذا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ».. «تَعَرَّفْ إلى اللَّهِ في الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدَّةِ»... ولقد كان أيضا من المسبّحين في بطن الحوت.. لقد سبح الله هناك وهلَّله واعترف له بالخضوع والإنابة والتوبة إليه والرجوع إليه.. ولولا كلُّ هذا للبث في بطن الحوت إلى يوم القيامة ولبُعث من جوف ذلك الحوت.[٥٨]... (فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ) فقذفه الحوت من بطنه بالعراء، وهي الأرض الخالية العارية من كل أحد، والعارية من الأشجار والظِّلال. (وَهُوَ سَقِيمٌ) وهو مريض مجهد مما أصابه، بسبب حبسه في بطن الحوت...وما أصابه من الهم والغم

([٥٨]) ينظر: البداية والنهاية ١/٢٣٣- ٢٣٤.

والحزن...حتى صار مثل الفرخ الممعوط الذي خرج من البيضة... فأكرمه الله تعالى (وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ) من القرع أو الدباء تُظله بظلها الظليل، لأنها باردة الظلال، وهذا من لطفه به، وبره ورحمته بعبده.

وأما قومه فإنهم لما تحققوا نزول العذاب بهم قذف الله في قلوبهم التوبة والإنابة، وندموا على ما كان منهم إلى نبيهم عليه السلام فخرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم، وفرَّقوا بين كل بهيمة وولدها، ثم عجُّوا إلى الله عز وجل وصرخوا وتضرعوا إليه وتمسكنوا لديه، وبكى الرجال والنساء والبنونُ والبناتُ والأمهات، وجأرت الأنعام والدواب والمواشي، فَرَغَتِ الإِبِلُ وفُصلاَنُها، وَخَارَتِ البَقَرُ وأولادها، وثَغتِ الغنم وحُملانها...وكانت ساعةً عظيمة هائلة فكشف الله العظيم بحوله وقوته ورأفته ورحمته عنهم العذاب الذي كان قد اتصلت بهم أسبابه... ودار على رؤوسهم كقطع الليل المظلم، ورفع الله عنهم العذاب، كما قال الله تعالى: (فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) [يونس:٩٨] .

ثم إن الله تعالى لطف بعبده يونس عليه السلام لطفا آخر، وامْتَنَّ عليه مِنّة عظمى، وهو أنه أرسله (إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ) من الناس (أَوْ يَزِيدُونَ) عنها، فدعاهم إلى الله تعالى (فَآمَنُوا) فصاروا في موازينه، لأنه الداعي لهم (فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) بأن صرف الله عنهم العذاب بعدما انعقدت أسبابه، قال تعالى: (فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ)، وكل هذا من رحمة الله به ونعمته عليه وإحسانه إليه ولهذا قال تعالى: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ) الأنبياء٨٨ أي الكرب والضيق الذي كان فيه.

وهل هذا خاص به عليه السلام؟.... اسمع إلى الله تعالى وهو يقول: (وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ) «أي وهذا صنيعنا بكل من دعانا واستجار بنا».[٥٩] «فهذه بشارة لكل مؤمن وقع في شدة وغم أن الله تعالى سينجيه منها ويكشف عنه ويخفف بسبب إيمانه كما فعل

([٥٩]) ينظر: البداية والنهاية ٢٣٥/١.

بيونس عليه السلام»[٦٠].. لقد بذل سببا عظيما من أسباب النجاة وهو أنه كان مع الله تعالى.. وبقي مع ربه جل وعلا بالتوبة والإنابة والتسبيح والدعاء المتضمن التسليم لله تعالى والاعتراف بالخطيئة... وهكذا كلُّ مكروب وكلُّ مغموم أين هو من دعاء الله تعالى والتوبة إليه والرجوع إليه فهذه البشرى بين يديه، واسمع إلى النبي ﷺ يؤكد هذه البشرى التي بشر الله بها في كتابه الكريم، فيقول النبي ﷺ: «دعوة ذي النون إذ هو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له».[٦١] ... ولكن لا استعجال على الله تعالى، ولا قنوط من رحمته ولا يأس من عطائه..

أقول ما تسمعون وأستغفر الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًّا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد:

عباد الله... إنه لا استعجال على الله تعالى بالإجابة في كشف الضر، ولا قنوط من رحمته ولا يأس من عطائه (يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) يوسف٨٧ ... والمؤمن لا يسخط على الله في قضائه، ولا يتبرم بابتلائه فإنَّ عِظَمَ الجزاء مع عِظَمِ البلاء ... عن أَنَسِ بن مَالِكٍ ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مع عِظَمِ الْبَلاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إذا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ، فَمَنْ رضيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ».[٦٢]

---

(٦٠) ينظر: تفسير السعدي ٥٢٩.

(٦١) رواه أحمد ١/١٧٠، والترمذي ٥/٥٢٩(٣٥٠٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٨٣) .

(٦٢) رواه الترمذي في كتاب الزهد، بَاب ما جاء في الصَّبْرِ على الْبَلَاءِ ٤/٦٠١(٢٣٩٦)، وابن ماجه في كتاب الفتن، بَاب الصَّبْرِ على الْبَلَاءِ ٢/١٣٣٨(٤٠٣١)، قال الترمذي: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ من هذا الْوَجْهِ، وحسنه الألباني (صحيح ابن ماجه (٤٠٣١)، و السلسلة الصحيحة(١٤٦).

عباد الله.. ما من عبد إلا ويصيبه من البلاء ما يصيبه وليس معنى هذا السخط من الله على عبده، إنما هو واحد من أمرين، أوَّلُهما: الابتلاء والاختبار.. وثانيهما: التمحيص والتكفير للخطيئات حتى يأتي العبدُ يومَ القيامة وليس عليه خطيئة... (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ) ص٤١ (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) الأنبياء٨٣

عباد الله يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه تعالى معلِّقًا على دعاء ذي النون عليه السلام ما ملخصه: صاحبُ الحوت عليه السلام ناسب حاله في الدعاء صيغة الوصف والخبر دون صيغة الطلب، لأن المقام مقام اعتراف بأن ما أصابني من الشر كان بذنبي فأصل الشر هو الذنب، والمقصود دفع الضر، ولم يذكر صيغة طلب كشف الضر لاستشعاره أنه مسيء ظالم، وهو الذي أدخل الضر على نفسه، فناسب حاله أن يذكر ما يرفع سببه من الاعتراف بظلمه... فقوله: (لا إله إلا أنت) فيه إثبات انفراده بالإلهية، والإلهية تتضمن كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته، ففيها إثبات إحسانه إلى العباد فإن الإله هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يُعبد، وكونه يستحق أن يعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوبُ غاية الحب، المخضوعُ له غاية الخضوعِ، والعبادة تتضمن غاية الحب بغاية الذل.

وقوله: (سبحانك) يتضمن تعظيم الرب وتنزيهه عن الظلم والعقوبة بغير ذنب وغيرِها من النقائص، يقول: أنت مقدَّس ومنزَّه عن ظلمي وعقوبتي بغير ذنب، بل أنا الظالم الذي ظلمتُ نفسي، قال تعالى: (وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) وقال: (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين) .. فالعبد عليه أن يعترف بعدل الله وإحسانه، فإنه لا يظلم الناس شيئا، فلا يعاقب أحدًا إلاَّ بذنبه، وهو يحسن إليهم فكل نِقمةٍ منه عدلٌ، وكل نعمة منه فضل.

وقوله: (إني كنت من الظالمين) فيه اعتراف بحقيقة حاله وليس لأحد من العباد أن يُبَرِّئَ نفسه عن هذا الوصف لا سيما في مقام مناجاته لربه، والذنوب سبب للضر، والاستغفار يزيل أسبابه، كما قال تعالى: (وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ

يَسْتَغْفِرُونَ) فأخبر أنه سبحانه لا يعذِّبُ مستغفرًا وفى الحديث: (من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب)، وقال تعالى: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) فقوله: (إنى كنت من الظالمين) اعتراف بالذنب وهو استغفار، فإن هذا الاعتراف متضمِّن طلبَ المغفرة.اهـ. [٦٣] اللهم ....

([٦٣]) مجموع الفتاوى ١٠/٢٤٧- ٢٥٥ مختصر منتقى مع تقديم وتأخير.

الخطبة السادسة : عن التوحيد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)،(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)،(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)، أما بعد:

عباد الله....جاءت قريش إلى الحصين بن عبيد الخزاعي والد عمران رضي الله عنهما وكانوا يعظمونه، فقالوا له: كلِّم لنا هذا الرجل (يعنون النبي ﷺ) فإنه يذكر آلهتنا ويسبهم، فجاءوا معه حتى جلسوا قريبا من باب النبي ﷺ فقال: أوسعوا للشيخ. وعمران وأصحابه متوافرون.

فقال حصين: يا محمد ما هذا الذي بلغنا عنك أنك تشتم آلهتنا وتذكرهم وقد كان أبوك عبد المطلب خيرا لقومك منك! فقال: يا حصين إن أبي وأباك في النار، يا حصين كم تعبد مِن إله؟

قال: سبعةً، ستةً في الأرض وواحدًا في السماء.

قال: فأيهم تَعُد لرَغبتِك ورهبتِك؟

قال: الذي في السماء.

قال: فإذا أصابك الضر من تدعو؟

قال: الذي في السماء.

قال: فإذا هلك المال من تدعو؟

قال: الذي في السماء.

قال: فيستجيب لك وحده وتُشركهم معه!

قال: يا حصين أسلم تسلم، يا حصين، أما إنك لو أسلمت علمتك كلمتين تنفعانك.

قال: فأسلم حصين، وقال: يا رسول الله، علِّمني الكلمتين اللتين وعدتني.

فقال: قل: اللهم ألهمني رشدي، وأعذني من شر نفسي.

فلما أسلم قام إليه عمران فقبل رأسه ويديه ورجليه فلما رأى ذلك النبي ﷺ بكى، وقال: بكيت من صنيع عمران، دخل حصين وهو كافر فلم يقم إليه عمران ولم يلتفت ناحيته، فلما أسلم قضى حقه، فدخلني من ذلك الرقة.

فلما أراد حصين أن يخرج قال النبي ﷺ لأصحابه: قوموا فشيّعوه إلى منزله فلما خرج من سدة الباب رأته قريش فقالوا: صبأ، وتفرقوا عنه.(٦٤)

وفي يوم الفتح... يوم النصر... دخل النبي ﷺ مكة وحول البيت ستون وثلثمائة نصب فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) (وجاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد) (سبإ) (٦٥)

توحيد الله هو دين الرسل عيهم السلام، من أولهم وهو نوح عليه السلام، إلى آخرهم وخاتَمهم وهو محمد ﷺ... توحيد الله هو أول الأمر وآخره... هو أول الأمر، لأن الله تعالى لا يقبل من عبد صرفاً ولا عدلاً حتى يحقق التوحيد، وفي الصحيحين أنه ﷺ قال لمعاذ لما بعثه إلى اليمن:"فليكن أولَ ما تدعوهم إليه شهادةُ أن لا إله إلا الله" وفي رواية :"إلا أن يوحدوا الله"... وهوآخر الأمر كما في حديث معاذ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:"من كان آخرُ كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة" أبوداود والحاكم وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني.

(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ)النحل٣٦.. (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) ...{ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}{ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ }{ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ } [الذاريات : ٥٦ – ٥٨].

---

(٦٤) ينظر: سنن الترمذي ٥١٩/٥(٣٤٨٣)، ومسند البزار ه ٥٣/٩ (٣٥٨٠)، والإصابة في تمييز الصحابة ٢٥٧/٢، و٨٦/٢ ، وتهذيب التهذيب (٣٣١/٢).

(٦٥) أخرجه البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه الدر المنثور ٣٢٩/٥- ٣٣٠.

عباد الله... إن حقيقة التوحيد وحقيقة الشرك قد بينها النبي ﷺ في حياته كلها قولا وعملا، فهذا ابن مسعود رضي الله عنه يسأل النبيَّ ﷺ: أي الذنب أكبر؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك. قلت: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك. قلت: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك. فأنزل الله تصديق ذلك: (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون).متفق عليه.

عباد الله... الدعاء من أعظم العبادات (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) وإن من أعظم الشرك والكفر دعاء غير الله والاستغاثة به، قال تعالى: (فلا تدعوا مع الله أحداً) وقال: (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال). (ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير(٦٦)، إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) فاطر١٤.(ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين)

فكيفَ يكونُ مُوحِّدًا مَنْ دعا غير الله واستغاث بغير الله ولجأ إلى غير الله في الشدة أو في الرخاء.... الموحِّدُ لا يكون دعاؤه ولا استغاثته ولا لجوؤه إلاَّ إلى الله وحده لا شريك له.

عباد الله... كيفَ يكونُ مُوحِّدًا مَنْ ذبح لغير الله من أصحاب الأضرحة أو الشياطين أو السحرة...والله جل وعلا يقول: (فصل لربك وانحر) يعني وحِّدْهُ بالصلاة والنحر لا تصلِّ لغيره ولا تنحر لغيره... ويقول: {قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ }الأنعام ١٦٢- ١٦٣. قال عَلِيُّ بن أبي طَالِبٍ رضي الله عنه حدثني رسول الله ﷺ بِكَلِمَاتٍ أَرْبَعٍ، قال: «لَعَنَ الله من لَعَنَ وَالِدَهُ (وفي لفظ: والديه)، وَلَعَنَ الله من ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَعَنَ الله من آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ الله من غَيَّرَ مَنَارَ الأرض».(٦٧)

---

(٦٦)اللفافة التي تكون على نواة التمرة.

(٦٧)رواه مسلم في كتاب الأضاحي، بَاب تَحْرِيمِ الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَعْنِ فَاعِلِهِ ١٥٦٧/٣(١٩٧٨).

عباد الله...كيفَ يكونُ مُوحِّدًا مَنْ نذر لغير الله من أصحاب الأضرحة والقبور...وكيف يكون موحِّدًا مَن استعاذ بغير الله...(وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً) الجن٦.... كيفَ يكونُ مُوحِّدًا مَنْ تعلق بأصحاب القبور، والتجأ إليهم، وتضرع أمام أعتابهم، فقبلها وتمسح بها، وطاف بها، وأوقف الأموال الطائلة عليها، واستغاث بأهلها في الشدائد والكروب... وإذا أنكر عليهم المنكرون من أهل التوحيد قاموا عليهم، واتهموهم بتنقص الأنبياء، وعدم محبة الأولياء... سبحان الله.. وهل كان شرك الأولين، قومِ نوح ومن بعدهم إلا بدعاء الأولياء والتعلق بهم من دون الله؟

عباد الله... كيفَ يكونُ مُوحِّدًا مَنْ نحى شريعة الله واستبدلها بشرائع البشر الفاسدة...فحكَّم القوانين الوضعية في خلق الله تعالى فنصب بذلك نفسه ربًّا مشرِّعا من دون الله تعالى... إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ }يوسف٤٠.. (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ }المائدة٤٤

كيفَ يكونُ مُوحِّدًا مَنْ فُتِن بالسحرة الدجالين، والمشعوذين الأفاكين، الذين تطاولوا على الغيب فيما يسمى بمجالس تحضير الأرواح، أو قراءة الكف والفنجان، أو معرفة الأبراج... يتتبعهم في كل مكان يسألهم ويأخذ عنهم ادعاء الغيب ويصدقهم فيه...والله تعالى يقول: (قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله) .... وقد قال رسول الله ﷺ: (من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ) [رواه الأربعة والحاكم]
كيفَ يكونُ مُوحِّدًا مَنْ تعلق قلبه بالتمائم والحروز، يعلقها على جسده وعلى عياله، بدعوى أنها تدفع الشر، وتُذهب العين، وتجلب الخير، والله تعالى يقول: (وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلّ شَىْء قَدُيرٌ) [الأنعام:١٧].
عباد الله... اعلموا أنه ليس العبرة بما يحصل للرجل مما هو خارق للعادة فينفتن به ضعفاء النفوس قليلي الإيمان... إنما العبرة بمدى عمله بالكتاب والسنة وإلا فكثير من الكافرين والدجالين لهم أحوال شيطانية يعينهم فيها رفقاؤهم من الجن، ولذلك حذر العلماء من هذا قديما..اسمعوا إلى هذا الحوار بين الإمام الشافعي رحمه الله وتلميذه يونسُ بنُ عبدِ الأعلى الصَّدَفي، قال الصَّدَفي: قلتُ للشافعي: كان الليثُ بنُ سعدٍ يقول: إذَا رأيتم الرَّجُلَ يمشي

على الماءِ؛ فلا تَغْتَرُّوا به حتى تَعْرِضوا أمرَه على الكتاب والسُّنة، فقال الشافعيُّ: قصَّر الليثُ رحمه الله؛ بل إذا رأيتم الرَّجُلَ يمشي على الماءِ، ويَطيرُ في الهواء؛ فلا تَغْتَرُّوا به حتى تَعْرِضوا أمرَه على الكتاب والسُّنة.(٦٨)

أقول ما تسمعون وأسأل الله تعالى أن يغفر لي ولكم ولجميع المسلمين إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ، أما بعد:

عباد الله... لا إله إلا الله ...هي مفتاح الجنة، ففي الصحيحين من حديث عِتبان بن مالك رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: (فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله) ... وهل المراد بهذه الكلمة العظيمة التلفظ بها فقط؟

لو كان الأمر كذلك لآمن أبو جهل وآمن أبو لهب...بل لآمن من في الأرض كلهم جميعا..ولكن الأمر كما قيل لوهب بن منبِّه رحمه الله: أليس مفتاح الجنة "لا إله إلا الله"؟! قال: "بلى، لكن ما من مفتاح إلا له أسنان، فإن أتيتَ بمفتاح له أسنان فُتح لك، وإلا لم يفتح".

ولما قيل للحسن البصري رحمه الله: إن ناساً يقولون: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة!! قال: "من قال: لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها دخل الجنة".

التقى الحسن رحمه الله بالفرزدق الشاعر المعروف وهو يدفن امرأته، فقال له الحسن: "ما أعددت لهذا اليوم؟" قال الفرزدق: شهادةَ أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة، فقال الحسن: "نِعم العدّة، لكن لِـ"لا إله إلا الله" شروط، فإياك وقذفَ المحصنات.

(٦٨) ينظر: تفسير ابن كثير ٧٩/١، واعتقاد أهل السنة ١٤٥/١، وحلية الأولياء ١١٦/٩، وسير أعلام النبلاء ٢٣/١٠.

من حقق لا إله إلا الله...تعلَّق بالله تعالى، وٱتَمَرَ بأوامره، وانتهى عن نواهيه، وعظم شريعته، ووقف عند حدوده، فلا استنصارَ إلا بالله، ولا توكلَ إلا على الله، ولا رغبةَ ولا رجاءَ إلا بالله، ولا رهبةَ ولا خوفَ إلا من الله.

قال الإمام ابن القيم:"ليس التوحيدُ مجردَ إقرار العبد بأنه لا خالق إلا الله ، وأن الله رب كل شيء ومليكه، كما كان عباد الأصنام مقرين بذلك وهم مشركون!! بل التوحيد يتضمن من محبة الله، والخضوع له، والذل له، وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال، والمنع والعطاء، والحب والبغض؛ ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصي والإصرار عليها" اهـ .

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ}البقرة١٦٥

قالَ الإمامُ ابنُ القَيِّمِ رحمهُ الله تعالى: «لا إلهَ إلا الله وحدهَ لا شريكَ له» كلمةٌ قامت بها الأرضُ والسماواتُ، وخُلقت لأجلها جميعُ المخلوقات، وبها أَرسلَ الله تعالى رسلَه، وأنزلَ كتبه، وشرَع شرائعه، ولأجلها نُصِبت الموازينُ، ووضعتِ الدواوينُ، وقام سوقُ الجنةِ والنارِ، وبها انقسمتِ الخليقةُ إلى المؤمنينِ والكفارِ، والأبرارِ والفُجَّارِ، فهي منشأ الخلقِ والأمرِ، والثوابِ والعقابِ، وهي الحقُّ الذي خُلقت له الخليقةُ، وعنها وعن حقوقِها السؤالُ والحسابُ، وعليها يقع الثوابُ والعقابُ، وعليها نُصبت القبلةُ، وعليها أُسِّسَتِ الْمِلَّةُ، ولأجلها جُرِّدت سيوفُ الجهادِ، وهي حقُّ الله على جميعِ العبادِ، فهي كلمةُ الإسلام، ومفتاحُ دارِ السَّلام، وعنها يُسأل الأولون والآخِرون، فلا تزولُ قدَمَا العبدِ بين يدي الله حتى يُسألَ عن مسألتينِ: ماذَا كنتم تعبدونَ؟ وماذا أجبتمُ المرسلينَ؟

فجوابُ الأولى: بتحقيقِ لا إله إلاَّ الله معرفةً وإقرارًا وعملاً، وجوابُ الثانيةِ: بتحقيق أنَّ محمدًا رسولُ الله معرفةً وإقرارًا وانقيادًا وطاعةً.اهـ(٦٩)

(٦٩) زاد المعاد ١/٣٤.

عباد الله....اتقوا الله تعالى حقَّ التقوى، واستمسِكوا من الإسلام بالعُروة الوُثقَى، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَق تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُن إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)، واعلموا أن من اتَّقى الله وقاه، وكفاه وأسعدَه وآواه.

وتقوى الله خيرُ الزاد ذُخرًا******وعند الله للأتقَى مزيدٌ

اتقوا الله تعالى واعلموا أنكم غدا بين يدي الله موقوفون وبأعمالكم مجزيون وعلى كسبكم محاسبون، وأن المصير إما إلى جنة المأوى وإما إلى نار تلظى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ).... اللهم.....

الخطبة السابعة : شُكْر النّعم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)،(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)،(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)، أما بعد:

أيها المؤمنون.... بينما كان أمير المؤمنين هارون الرشيد رحمه الله جالسا على سرير ملكه... هذا الملك العظيم الذي وصل إلى أطراف الشرق والغرب.. حتى إنه كَانَ رحمه الله يستلقى على قَفاهُ، وَينظر إِلَى السحابةِ، فَيَقُول: إذهبي إِلَى حَيْثُ شِئْتِ، يأتني خراجك[٧٠] ... بينما هو كذلك إذ دخل عليه أبو العباس ابن السمَّاك الواعظ [٧١]، فدعا الرشيد بماء ليشربه، فأُتى به، فلما رفعه ليشربه، قال له ابن السمَّاك: على رسلك يا أمير المؤمنين... لو منعت هذه الشَّربة؛ بكم كنت تشتريها؟ قال: بنصف ملكي. قال: اشرب هنَّاك الله. فلما شرِب، قال: لو منعت خروجها من بدنك؛ بم كنت تشتريها؟ قال: بنصف ملكي. قال ابن السمَّاك: ملك قيمته شَربة ماء؛ لجدير أن لا تُنَافَس فيه، فبكى الرشيد..ثم رفعه حتى أجلسه معه.[٧٢]

([٧٠]) ينظر: مآثر الإنافة في معالم الخلافة ١٩٢/١، وصبح الأعشى في صناعة الإنشاء ٢٨٥/٣، كلاهما للقلقشندي.

([٧١])الواعظ ابن السماك أبو العباس محمد بن صبيح الكوفى الزاهد مولى بنى عجل روى عن الأعمش وجماعة وكان كبير القدر دخل على الرشيد فوعظه وخوفه توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة.(العبر في خبر من غبر٢٨٧/١، شذرات الذهب ٣٠٣/١ في وفيات سنة ١٨٣).

([٧٢]) التدوين في أخبار قزوين ٤٥٦/٢، وتاريخ الطبري ٢٢/٥، الكامل في التاريخ ٣٥٨/٥، والبداية والنهاية ٢١٥/١٠.

شَربة واحدة...نعمة واحدة من نعم الله تعالى...لا تساوي الدنيا كلها...إنها نعمة واحدة يا عباد الله لو تأملناها حق التأمل لما استطعنا أن نشكرها ولا أن نقوم بحقها ...كيف وهي نعم لا تعدُّ ولا تحصى... كيف (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ... ومن هنا قال رسول الله ﷺ : (إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها) [٧٣]... لكن من الذي تفكر في هذا... ماذا لو مُنعتَ الماء وأنت عطشان... ماذا لو مُنعتَ الطعام وأنت جوعان... بل ماذا لو مُنعتَ خروج ذلك من بدنك... إنها نعم متكررة كل يوم... لا يستشعرها إلا القليل منا.. والنعم من هذا النوع لا تعد ولا تحصى.

عباد الله....إن مما يحبه الله تعالى من عباده أن يحمدوه ويشكروه على جميع نعمه...بل يحبُّ منا الإكثارَ من حمده وشكره..لماذا؟ ليس لحاجته لنا...ولكن لأن هذا مقتضى العبودية الحقَّة لله تعالى فهو يحبُّ منا هذا كما يحبُّ منا أن نعبده وحده لا شريك له، ويحبُّ منا أن نصلي له وحده لا شريك له، وأن نزكي أموالنا، وأن نَبَرَّ والدينا...فهو يحبُّ منا أن نحمده ونشكره... {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ }لقمان١٢... فلله الحمد وله الشكر كما ينبغي لوجهه وعظيم سلطانه.

عباد الله... من أجْلِ أن نحمدَ الله افتتح الله كتابه بالحمد...وفَرَضَ علينا أن نقرأ سورة الحمد في كل صلاة...ليعلِّمنا ويربّينا على إكثار الحمد...ليعلِّمنا حقيقة أنفسنا وحقيقة المنعِم علينا... قال الأسود بن سَريع التميمي رضي الله عنه[٧٤]: يا رسول الله ألا أنشدك محامد حمدت بها ربي تبارك وتعالى، قال: أمَا إن ربك يحب الحمد.

وفي رواية ابن جرير أن النبي ﷺ قال : ليس شيء أحب إليه الحمد من الله، ولذلك أثنى على نفسه فقال: الحمد لله . [٧٥]

([٧٣])رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب ٤/٢٠٩٥ (٢٧٣٤).

([٧٤])بفتح السين، صحابي نزل البصرة، ومات في أيام الجمل (التقريب ص١١١) .

([٧٥])أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد والنسائي والحاكم وصححه وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان وابن جرير، وغيرهم (الدر المنثور ١/٣٢).

وعن عبد اللَّهِ بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «لا أَحَدَ أَغْيَرُ من اللَّهِ، وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ، ولا شَيْءَ أَحَبُّ إليه الْمَدْحُ من اللَّهِ، وَلِذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ».متفق عليه.(٧٦)

أيها المؤمنون.... خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الرَّحْمَنِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا فَسَكَتُوا، فَقَالَ: «لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى الجِنِّ لَيْلَةَ الجِنِّ فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ، كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ: (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) [الرحمن: ١٣] قَالُوا: لا بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ، فَلَكَ الحَمْدُ».رواه الترمذي وغيره.(٧٧)

عباد الله.....إن فضل الحمد كبير عند الله تعالى فأكثروا من حمده وشكره، فعن أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآَنِ أو تَمْلأُ ما بين السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَالصَّلاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أو عَلَيْكَ، كُلُّ الناس يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أو مُوبِقُهَا».رواه مسلم.(٧٨)

وفي صحيح ابن حبان عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ».(٧٩)

عباد الله... يتكرر في كلام ربنا في كتابه الكريم.... (وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ)....حيث يأمرنا ربنا جل في علاه أن نتذكر نِعمَه علينا وأن نستشعرها ... وأن نشكرَها ولا

---

(٧٦)رواه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة المائدة، بَاب قَوْلِهِ ولا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ ١٦٩٦/٤(٤٣٥٨)، ومسلم في كتاب التوبة، بَاب غَيْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَحْرِيمِ الْفَوَاحِشِ ٢١١٣/٤(٢٧٦٠).

(٧٧) أخرجه الترمذي في أبواب تفسير القرآن، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الرَّحْمَنِ ٣٩٩/٥(٣٢٩١)، وقال: حَدِيثٌ غَرِيبٌ، ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٥١٥/٢، والبيهقي في شعب الإيمان ١١٥/٤(٢٢٦٤)، وإسناده ضعيف، وله شاهد من حديث ابن عمر رواه الطبري في تفسيره ٢٣/٢٢، والبزار في مسنده البحر الزخار ١٩٠/١٢، وبه حسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢١٥٠)، وقال السيوطي عن حديث ابن عمر: إسناده صحيح. (الدر المنثور ٦٩٠/٧).

(٧٨)رواه مسلم في كِتَاب الطَّهَارَةِ، بَاب فَضْلِ الْوُضُوءِ ٢٠٣/١(٢٢٣).

(٧٩) صحيح ابن حبان رقم (٨٤٦)، وأخرجه الترمذي (٣٣٨٣).

نكفرها....{وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ }المائدة٧

{وَلاَ تَتَّخِذُوَاْ آيَاتِ اللهِ هُزُواً وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُواْ اللهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }البقرة٢٣١

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ}فاطر٣

إن ذكر الإنسان لنعم الله يجعله دائما مستحضرا فضلَ الله عليه... وشاكرا لأنعمه، وعاملا بها، ونسيانَ ذلك يوجب جحودَ النعمة والكفرَ بها.... اللهم اجعلنا شاكرين لنعمك، مُثْنِينَ بها عليك، قابليها، وأَتِمَّها علينا يا أكرم الأكرمين.

أقول ما تسمعون وأسأل الله تعالى أن يغفر لي ولكم ولجميع المسلمين إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ، أما بعد:

أيها المؤمنون...سمع أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ رجلا وهو يصلي بالناس وهو يقول من خلفه: اللهم اجعلني من عبادك الأَقَلّين...فلما انصرف عمر قال: من صاحب الدعوة؟ قال الرجل: أنا، وما أردت بها إلا خيرا. قال: وما أردت بهذه الدعوة؟ قال: إني سمعت الله يقول: (وقليل من عبادي الشكور)، وقال: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم). قال: صدقت، فأعجبته من دعائه.(٨٠)

العجب يا عباد الله أنه مع كثرة نعم الله تعالى وتواليها على عباده إلا أن الشاكرين قليل...وهذا الإحصاء لا يقوله مسؤول في الإحصاءات العامة، ولا عالم، ولا شيخ... إنما الذي يقوله العليم الخبير...يقوله الذي خلق الخلق وعلم شاكرهم وكافرهم...يقوله الحق جل

(٨٠) الدعاء للطبراني ٢١٣/١ (٤٨).

في علاه الذي لا تحفى عليه من عباده خافية...(اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ).[٨١] نعم (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ)...وقال تعالى: (إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ) البقرة٢٤٣...فالشاكر قليل، والجاحد كثير، وأخبر الله تعالى عن جنس الإنسان أنه كافر بنعم الله عليه فقال تعالى: {وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ }إبراهيم٣٤ (إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ)...لقد قال قائلهم يوما: (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي)[٨٢]....ما هكذا تقابل النعم...إن الواجب علينا شكر النعم كما يحب مُسديها وواهبها...لا كما يحب الإنسان ويهوى... ولا كما يحب الناس...إن كثيرا من الناس أو أكثرهم إنما يشكر بالنعم ذَاتَهُ فَيُنَعِّمُها كما يشاء، ويضع لها احتفالاتٍ كما يحب ويهوى...إنه يشكر بذلك ذَاتَه ولا يشكر ربه...إن شكر نعم الله يكون بعبادته وطاعته، والازدياد من التذلل له والخضوع له...إإذا أنعم الله على العبد بالأولاد...استعان بهم على معصيته...وإذا أنعم عليه بالمال...جعله طريقا للحرام وأكل الربا...أتشكر النعم بتضييع الصلوات...بالنوم عن صلاة الفجر...وعقوق الوالدين... وبروزِ النساء كاسيات عاريات يبارزن الله بالمعاصي.....والسهرِ وراء الملذات المحرمة... ما هكذا تشكر النعم يا عباد الله ....فأين نحن من الشكر الحقيقي لنعم الله علينا...لقد وعد الله الشاكرين بالمزيد من النعم (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم)، وتهدد المعرضين الجاحدين بالعذاب الشديد، فقال تعالى: (ولئن كفرتم إن عذابي لشديد) [٨٣].

وأمر الله تعالى بالعمل الصالح شكرا له تعالى على نعمه، فقال تعالى: (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا)، قال محمد بن كعب القرظي رحمه الله معلقا على هذه الآية الكريمة: الشكر تقوى الله والعمل بطاعته. [٨٤]

([٨١]) سورة سبأ آية ١٣ .

(٨٢) سورة القصص آية ٧٨.

([٨٣]) سورة إبراهيم آية ٧ .

([٨٤]) تفسير الطبري ٣٦٨/٢٠.

أيها المؤمنون....فلنجتهد في شكر الله وحمده والثناء عليه بجميع نعمه الظاهرة والباطنة، ولنستعِن به جل وعلا في ذلك، فهذا رسول الله ﷺ يأخذ يَوْماً بيدِ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ رضي الله عنه ثُمَّ يقول: «يَا مُعَاذُ، إِنِّي لأُحِبُّكَ»، فقالَ لَهُ مُعَاذٌ: بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، وأنَا أُحِبُّكَ، قال: «أُوصِيكَ يا مُعَاذُ: لاَ تَدَعَنَّ في دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ أن تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ».رواه أحمد وأبو داود والنسائي، وصححه ابنُ خزيمة وابنُ حبان والحاكم والنووي، وقال الحافظ: سنده قوي.(٨٥)

إذا كُنتُ في نِعمَةٍ فَارعَها*****تَرى فَرعَها قَد نَما وَاستَتَم

وَخَلِّ الصَلاحَ لَها حافِظاً*****فَإِنَّ المِعاصي تُزيلُ النِعَم

وَداوِمْ عَلَيها بِشُكرِ الإِلَهِ*****فَكَم مِن شَكورٍ بِذَاكَ اغْتَنَم

وَحاذِر عَلَيها لِئَلاّ تَزول*****فَإِنَّ الإِلَهَ سَريعُ النِّقَم

عباد الله....اتقوا الله تعالى حقَّ التقوى، واستمسِكوا من الإسلام بالعُروة الوُثقَى، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَق تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُن إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)، واعلموا أن من اتَّقى الله وقاه، وكفاه وأسعدَه وآواه.

وتقوى الله خيرُ الزاد ذُخرًا******وعند الله للأتقَى مزيدُ

اتقوا الله تعالى واعلموا أنكم غدا بين يدي الله موقوفون وبأعمالكم مجزيون وعلى كسبكم محاسبون، وأن المصير إما إلى جنة المأوى وإما إلى نار تلظى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ).... اللهم.....

---

(٨٥) رواه أحمد ٥/٢٤٤، وأبو داود في أَبْوَابُ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَتَحْزِيبِهِ وَتَرْتِيلِهِ، بَاب في الاسْتِغْفَارِ ٢ / ٨٦(١٥٢٢)، والنسائي ٣/٥٣(١٣٠٣) ولفظه فيها: «أَنْ تَقُولَ في كلِّ صَلاةٍ»، ورواه أيضا في السنن الكبرى ٦/٣٢(٩٩٣٧)، والبخاري في الأدب المفرد ١/٢٣٩(٦٩٠)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ١/٤٠٧ وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين، وفي ٣/٣٠٧ وقال: صحيح الإسناد، وصححه ابن خزيمة ١/٣٦٩(٧٥١)، وابن حبان ٥/٣٦٤(٢٠٢٠)، وقال النووي (خلاصة الأحكام ١/٤٦٨، ورياض الصالحين ١/٨٨): إسناده صحيح، وقال الحافظ ابن حجر في البلوغ (سبل السلام ١/٢٠٠): سنده قوي.

الخطبة الثامنة : حُسْنُ الخُلُق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)،(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)،(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)، أما بعد:

أيها المؤمنون.. جاء التابعي الجليل سَعْدُ بن هِشَامٍ رحمه الله تعالى إلى أعظم مدرسة في تأريخ البشرية...إلى المدرسة التي تخرج فيها أعظم الطلاب على يدي أعظم المعلمين...جاء إلى مدينة النبيّ ﷺ يطلب العلم.. جاء إلى مدرسةِ محمدٍ ﷺ التي تعلم فيها الصحابة رضي الله عنهم... فقصد إلى الإمام الجليل الفقيه المفسر المحدث اللغوي حبر الأمة وترجمان القرآن... جاء إلى عبد الله بن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فَسَأَلَهُ عن وِتْرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال ابنُ عَبَّاسٍ: ألا أَدُلُّكَ عَلَى أَعْلَمِ أَهْلِ الأرض بِوِتْرِ رسول اللَّهِ ﷺ؟ قالَ: مَنْ؟ قالَ: عَائِشَةُ، فَأْتِهَا فَاسْأَلْهَا، ثُمَّ ائْتِنِي فَأَخْبِرْنِي بِرَدِّهَا عَلَيْكَ.. قال سَعْدُ بن هِشَامٍ: فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهَا... فسألهت عن وتر النبي ﷺ فأخبرته، ثم إنه سألها سؤالا عظيما فقال لها: يا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رسولِ اللَّهِ ﷺ. قالتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قلتُ: بَلَى. قالتْ: «فإنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كانَ الْقُرْآنَ».رواه مسلم.(٨٦)

الله أكبر...ياله من جواب...لقد تكلمت أم المؤمنين فأوجزت...ولو أردتَ أن تبحثَ عن جواب أحسن مِن هذا لما وجدت..كان خلقه القرآن... هذا حديث عظيم شريف في وصف أخلاق رسول الله ﷺ الذي هو قدوتنا ومعلِّمنا ... فما معنى «فإنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ

(٨٦) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بَاب جَامِعِ صَلاةِ اللَّيْلِ وَمَنْ نَامَ عنه أو مَرِضَ ١/٥١٢-٥١٣(٧٤٦).

كانَ الْقُرْآنَ»؟....يوضح ذلك العلماء الربانيون فيقول الإمام الطحاوي رحمه الله: مَعناهُ أنه ممتثلٌ لأوامِرِه، مُنْتَهٍ عن نواهِيهِ[٨٧]، ويقول الإمام ابنُ الأثير رحمه الله في مَعناهُ: مَتَمَسِّكًا بآدابه وأوامره ونواهيه، وما يشتمل عليه من المكارم و المحاسن.اهـ[٨٨]

عباد الله... إن لحسن الخلق مكانة عالية في الإسلام... فهذا رسول الله ﷺ يضمَن بيتًا في أعالي الجنة لمن حسَّنَ خلقَه...فيحدثنا الصحابي الجليل أبو أُمَامَةَ صُدَيُّ بنُ عجلان الباهلي رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كان مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كان مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ».رواه أبوداود.[٨٩].. وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: سُئِلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ عن أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ الناسَ الْجَنَّةَ، فقالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ».[٩٠] ... لقد بلغ من اهتمام النبي ﷺ بحسن الخلق أن قال ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ».رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد.[٩١]

عباد الله... لماذا كل هذه المكانة لحسن الخلق... حُسن الخلق مظهر عظيم من مظاهر الإسلام.. مظهر جليل من مظاهر تجلّي هذا الدين وأثره على صاحبه...حُسن الخلق ألفة ومحبة يدعو إليها هذا الدين العظيم... حُسن الخلق يدعو إلى الاجتماع والتآلف ... حُسن الخلق يدعو إلى الإسلام...يدعو الناس إلى هذا الدين ... وأما سوء الخلق فعلى العكس مِن

---

(٨٧) معتصر المختصر ٢٠٩/٢.

(٨٨) النهاية في غريب الحديث والأثر ٧٠/٢.

(٨٩) رواه أبوداود في كتاب الأدب، باب في حسن الخلق ٢٥٣/٤(٤٨٠٠)، والطبراني في المعجم الكبير ٩٨/٨، والرُّويَاني في مسنده ٢٧٩/٢(١٢٠٠)، والبيهقي في السنن الكبرى ٢٤٩/١٠، قال النووي(رياض الصالحين ص١٧٤): حديث صحيح رواه أبو داود بإسناد صحيح، وقال ابن مفلح(الفروع ٣٢٩/٣، والآداب الشرعية ١٩٢/٢): حَدِيثٌ حَسَنٌ.

(٩٠) رواه أحمد ٣٩٢/٢،٤٤٢، والترمذي في كتاب البر والصلة، بَاب ما جاء في حُسْنِ الْخُلُقِ ٣٦٣/٤(٢٠٠٤) وهذا لفظه، وابن ماجه في كتاب الزهد، بَاب ذِكْرِ الذُّنُوبِ ١٤١٨/٢(٤٢٤٦) والبخاري في الأدب المفرد ص١٠٨(٢٨٩)، قال الترمذي: حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، وصححه ابن حبان ٢٢٤/٢(٤٧٦)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة(٩٧٧).

(٩١) رواه أحمد ٥١٢/١٤ (٨٩٥٢) ، والبخاري في الأدب المفرد ص ١٠٤ (٢٧٣) كلاهما بلفظ (صالح الأخلاق) ورواه البزار في مسنده ٣٦٤/١٥ (٨٩٤٩) والبيهقي في السنن الكبرى ٣٢٣/١٠ (٢٠٧٨٢) كلاهما بلفظ(مكارم الأخلاق) . وصححه الحاكم في المستدرك ٦١٢/٢ ، وابن عبدالبر في التمهيد ٣٣٣/٢٤، وفي الاستذكار ٢٨٠/٨ ،والألباني في السلسلة الصحيحة ١١٢/١ (٤٥) .

ذلك تماما... (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)(٩٢)

وهذا رسول الله ﷺ يجعل البرَّ كلَّه في حسن الخلق وما ذاك إلا لأهميته الكبرى... فعن النَّوَّاسِ بن سِمْعَانَ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عنِ الْبِرِّ وَالإِثْمِ فقالَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ في صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عليهِ الناسُ».رواه مسلم.(٩٣)

قالَ العُلمَاءُ رحمنا الله تعالى وإياهم: الْبِرُّ يكونُ بِمعنَى الصِّلَةِ، وبِمعنَى اللُّطفِ والْمَبَرَّةِ وحُسنِ الصُّحبَةِ والعِشْرَةِ، وبِمعنَى الطاعةِ، وهذِهِ الأمورُ هي مَجامِعُ حُسْنِ الْخُلُقِ(٩٤)، وقد أوجز الصحابي الجليل عبدالله بن عمر رضي الله عنهما معنى البر في كلمتين فقال: البِرُّ شيءٌ هيّنٌ: وَجْهٌ طَلِيْقٌ، وَكَلامٌ لَيِّنٌ.(٩٥)... وأما سَليلُ بيتِ النبوَّةِ الإمامُ السُّنِّيُّ جعفرٌ الصادقُ رحمه الله تعالى فيقول: ليسَ في القرآنِ الكريمِ آيةٌ أجمعَ لِمَكارِمِ الأخلاقِ مِن قولِ اللهِ تعالى: (خُذ العفوَ وأمُرْ بالعُرْفِ وأعرِضْ عن الجاهلين)(٩٦)، قيلَ في معنَاهَا: أن تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ(٩٧).

وقالَ القاضي عياضٌ رحمه الله تعالى: حُسْنِ الْخُلُقِ هو: مُخَالَطَةُ الناسِ بالجمِيلِ والبِشْرِ، والتَّوَدُّدُ لَهُمْ، والإِشفاقُ، والْحِلْمُ عَنهُمْ، والصَّبْرُ عليهِمْ في الْمَكارِهِ، وتَرْكُ الكِبْرِ والاستطالَةِ عَليهِمْ،

---

(٩٢)الآية١٥٩ من سورة آل عمران

(٩٣) رواه مسلم في كتاب البر والآداب والصلة، بَاب تَفْسِيرِ الْبِرِّ وَالإِثْمِ ١٩٨٠/٤(٢٥٥٣).

(٩٤) شرح النووي على صحيح مسلم ١١١/١٦.

(٩٥) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٢٥٥/٦(٨٠٥٩)، وابن عساكر في تأريخ مدينة دمشق ١٧٦/٣١، وابن أبي الدنيا في الصمت وآداب اللسان ص١٨٠(٣١٦).

(٩٦) سورة الأعراف آية ١٩٩.

(٩٧) فيض القدير ٤٨٩/٣.

ومُجَانَبَةُ الغِلظَةِ والغَضَبِ والْمُؤاخَذَةِ(٩٨). وأوجز بعض العلماء رحمنا الله تعالى وإياهم حُسْنَ الْخُلُقِ في أربع كلمات فقال: هو: بذْلُ الْمَعْروفِ، وكَفُّ الأذى، وطلاقةُ الوجه، والتواضعُ.

عباد الله... إن مِن حُسْنِ الْخُلُقِ: البَشَاشَةُ عندَ اللقاءِ، وتَرْكُ العُبوسِ، رَوَى مسلم في صحيحه عن النبيّ ﷺ أنه قالَ: «لا تَحْقِرَنَّ مِن الْمَعْرُوفِ شَيئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»(٩٩)، وهكذا كان النبيُّ ﷺ يفعل، قالَ جَرِيرُ بنُ عبدِ اللَّهِ البَجَليُّ ﷺ: «مَا حَجَبَنِي النبيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، ولا رَآنِي إلا تَبَسَّمَ في وَجْهِي».متفق عليه(١٠٠) فالابتسامة وطلاقة الوجه من أحسن ما يلقي به المسلم إخوانه المسلمين، ولذلك أثر عظيم في النفوس...سُئِلَ سَلاَّمُ بنُ أبي مُطيع عن حُسْنِ الْخُلُقِ: فأنشدَ شِعرًا، فقالَ:(١٠١)

تَرَاهُ إذا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كَأَنَّكَ تُعطيهِ الذي أَنْتَ سَائِلُهُ
ولَو لَمْ يَكُنْ في كَفِّهِ غيرُ رُوحِهِ لَجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ اللهَ سَائِلُهُ
هَوَ الْبَحْرُ منْ أيِّ النَّوَاحي أَتَيْتَهُ فَلُجَّتُهُ الْمَعروفُ والْجودُ سَاحِلُهُ

وقال الشافعيُّ:

يُخَاطِبُنِي السَّفِيهُ بِكُلِّ قُبحٍ فَأَكرَهُ أَن أَكونَ لَهُ مُجيبًا
يَزيدُ سَفاهَةً فَأَزيدُ حِلْماً كَعودٍ زادَهُ الإِحراقُ طيبًا

عباد الله... إن مِن حسن الخلق: الإعراض عن الجاهلين.. قال عَبْدُاللَّهِ بن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بن حِصْنِ بن حُذَيْفَةَ بن بَدْرٍ فَنَزَلَ على بن أَخِيهِ الْحُرِّ بن قَيْسِ بن حِصْنٍ، وكان مِن النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وكان الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولا

---

(٩٨) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٧٨/١٥ ، وفيض القدير ١/ ١٧٤.

(٩٩) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء ٢٠٢٦/٤(٢٦٢٦).

(١٠٠) رواه البخاري في كتاب الأدب، بَاب التَّبَسُّمِ وَالضَّحِكِ ٢٢٦٠/٥ (٥٧٣٩)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، بَاب من فَضَائِلِ جَرِيرِ بن عبد اللَّهِ ﷺ ١٩٢٥/٤(٢٤٧٥).

(١٠١) جامع العلوم والحكم ١٨٢/١.

كَانُوا أو شُبَّانًا، فقال عُيَيْنَةُ لابن أَخِيهِ: يا بن أَخِي، هلْ لكَ وَجْهٌ عِنْدَ هذا الأَمِيرِ فَتَسْتَأْذِنَ لي عليه؟ قال: سَأَسْتَأْذِنُ لكَ عليه. قالَ ابنُ عَبَّاسٍ: فأستأذن لِعُيَيْنَةَ، فلمَّا دخلَ قال: يا ابن الْخَطَّابِ، والله ما تُعْطِينَا الْجَزْلَ، ولا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ! فَغَضِبَ عُمَرُ حتى هَمَّ بِأَنْ يَقَعَ بِهِ، فقال الْحُرُّ: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قال لِنَبِيِّهِ ﷺ: (خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عن الْجَاهِلِينَ)، وَإِنَّ هذا مِن الْجَاهِلِينَ، فَوَاللَّهِ ما جَاوَزَهَا عُمَرُ حين تَلاهَا عليه، وكانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ.رواه البخاري.(١٠٢)

عباد الله... قام أبو الدرداء ﷺ ليلة يصلي، فجعل يبكى ويقول: اللهم أحسنتَ خَلْقِي فحسِّن خُلُقي [فما زال يكرر ذلك]حتى أصبح، فقالت له زوجته أم الدرداء رضي الله عنها: يا أبا الدرداء، ما كان دعاؤك منذ الليلة إلا في حسن الخلق! فقال: يا أم الدرداء، إن العبد المسلم يُحسِّنُ خلقَهُ حتى يدخلَهُ حسنُ خُلقِهِ الجنةَ، ويسيءُ خلقَهُ حتى يدخلَهُ سوءُ خلقِهِ النارَ. (١٠٣)

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ، أما بعد:

أيها المؤمن... ها هنا سؤال يجب أن تَعِيَهُ جيّدا...سؤال يجب أن تقف وتسأله نفسك وتنظر في جوابك... مَن أحق الناس بحسن أخلاقك؟ سوف ترى أو تسمع جواب بعض الناس عمليًّا أو قوليًّا: أحق الناس بحسن خلقي أصحابي وزملائي، أحق الناس بحس خلقي مُدِيري، وآخر: زَوْجَتي وآخر: أولادي، ... هكذا يجيب الناس...أما الصادق المصدوق...أما وحيُ السماء فله جواب أرفع من هذا كله...فاسمع إلى جواب من لا ينطق عن الهوى إن هو إلا

(١٠٢)رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، بَاب الاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رسول اللَّهِ ﷺ ٦/٢٦٥٧(٦٨٥٦).

(١٠٣) رواه البخاري في الأدب المفرد ص١٠٨(٢٩٠)، والبيهقي في شعب الإيمان ٦/٣٦٥(٨٥٤٥)، وفي إسناده شهر بن حوشب متكلم فيه.

وحي يوحى...جاءَ رَجُلٌ إلى رَسولِ اللَّهِ ﷺ فقالَ: يا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ الناسِ بِحُسْنِ صَحابَتِي؟ قالَ: «أُمُّكَ»، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ»، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ»، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ».متفق عليه[١٠٤]، وفي روايةٍ لِمُسلِم: «ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ»...نعم هذا هو الجواب الصواب أحَقّ الناسِ بِحُسْنِ خُلقكَ مَنْ كَلِفَا بِكَ، وَتَعِبَا عَلَيْكَ، واجْتَهَدَا في تَربِيتِكَ، والنفقَةِ عليكَ، ومَنْ رَفَعَ اللهُ حَقَّهمْ حَتَّى جَعَلَهُ مقرونًا بِحَقِّهِ جَلَّ في عُلاهُ في أكثرَ مِنْ مَوضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ الذي يُتْلَى آناءَ اللَّيلِ وأطرافَ النَّهارِ، إنهمَا: والداكَ الكريمانِ، قال الله تعالى: (وقضى ربُّك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا)[١٠٥]، وقال: (قل تعالَوا أتْلُ ما حرَّم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا)[١٠٦]، فواجِبٌ عَلَى الأولادِ وجوبًا مُتَأَكِّدًا أنْ يُحْسِنوا أخلاقهم مع والِدَيْهِمْ؛ لِيَنَالُوا بِذلكَ رضَا اللهِ تعالى وَجَنَّتَهُ.

عباد الله... طِيبُ الكلام وحسن الحديث من أهم ما ينبغي أن يسلكه المسلم في تعامله مع الناس، وقد أمر الله تعالى بذلك فقال: (وقولوا للناس حسنا) [١٠٧]، وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ».متفق عليه.[١٠٨]، ولذلك أثر كبير في إشاعة المحبة بين المسلمين، يُروى عن عليٍّ ﷺ أنه قال: مَنْ لاَنَتْ كَلِمَتُهُ وَجَبَتْ مَحَبَّتُهُ.[١٠٩]

عباد الله... ومن أهمّ المواقفِ والأحوالِ وأحوجِها إلى حسنِ الخلق مواقفُ الدعوة إلى الله تعالى.. (فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)[١١٠].. قال ثابت البُناني: إن صِلةَ بنَ أشيمَ

---

(١٠٤) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة ٢٢٢٧/٥ (٥٦٢٦)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به ١٩٧٤/٤(٢٥٤٨).

(١٠٥) سورة الإسراء آية ٢٣.

(١٠٦) سورة الأنعام آية ١٥١.

(١٠٧) سورة البقرة آية ٨٣.

(١٠٨) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، بَاب من أَخَذَ بِالرِّكَابِ وَنَحْوِهِ ١٠٩٠/٣(٢٨٢٧)، ومسلم في كتاب الزكاة، بَاب بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ على كل نَوْعٍ من الْمَعْرُوفِ ٦٩٩/٢(١٠٠٩).

(١٠٩) رواه الخطيب في الفقيه والمتفقه ٢٣١/٢.

(١١٠) سورة طه آية ٤٤.

وأصحابَه مرّ بِهم فتىً يجرُّ ثوبه، فهَمَّ أصحابُ صِلةَ أن يأخذوه بألسنتهم أخذا شديدا، فقال صِلةُ: دعوني أَكفِكُم أمره، فقال له: يا ابن أخي؛ إن لي إليك حاجة! قال: وما حاجتك؟ قال: أحب أن ترفع إزارك. قال: نعم ونُعمى عينٍ، فرفعَ إزاره، فقال صلة لأصحابه: هذا كان أمثلُ مما أردتم، لو شتمتموه وآذيتموه لشتمكم .(١١١)

عباد الله... ينبغي للمسلم أن يتعلم حسن الخلق، ويعود النفس ويروضها على الخلق الحسن ويحسن تدريبها عليها فإن حسن الخلق يأتي بالتعلم والتدريب...والخير عادة والشر لجاجة.. عن أبي الدَّرْدَاءِ ﷺ أَنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ في مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يومَ الْقِيَامَةِ مِن خُلُقٍ حَسَنٍ». رواه أبو داود والترمذي، وصححه الترمذي ابن حبان.(١١٢)، وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قالَ: سُئِلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ عن أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ الناسَ الْجَنَّةَ، فقالَ: «تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ».(١١٣)

عباد الله... (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)... ولقد كان رسول الله ﷺ كما وصفه ربه جل وعلا (وإنك لعلى خلق عظيم)، وكما وصفه أصحابه ﷺ حيث يقول عبد اللَّهِ بن عَمْرٍو رضي الله عنهما: «لَمْ يَكُنْ النبيُّ ﷺ فَاحِشًا ولا مُتَفَحِّشًا»، وكانَ يقول: «إِنَّ من خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاقًا».متفق عليه.(١١٤)

عباد الله....اتقوا الله تعالى حقَّ التقوى، واستمسِكوا من الإسلام بالعُروة الوُثقَى، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَق تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُن إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)، واعلموا أن من اتَّقى الله وقاه، وكفاه وأسعدَه وآواه.

---

(١١١) حلية الأولياء٢/٢٣٨ .

(١١٢) رواه أبو داود كِتَاب الأَدَبِ، بَابٌ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ برقم (٤٧٩٩)، والترمذي في كتاب البر والصلة، بَاب ما جاء في حُسْنِ الْخُلُقِ برقم (٢٠٠٢)، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وصححه ابن حبان (٤٨١) والألباني في السلسلة الصحيحة (٨٧٦).

(١١٣) رواه أحمد ٢/٣٩٢،٤٤٢، والترمذي في كتاب البر والصلة، بَاب ما جاء في حُسْنِ الْخُلُقِ ٤/٣٦٣(٢٠٠٤) وهذا لفظه، وابن ماجه في كتاب الزهد، بَاب ذِكْرِ الذُّنُوبِ ٢/١٤١٨(٤٢٤٦) والبخاري في الأدب المفرد ص١٠٨(٢٨٩)، قال الترمذي: حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، وصححه ابن حبان ٢/٢٢٤(٤٧٦)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة(٩٧٧).

(١١٤) رواه البخاري في كتاب المناقب، بَاب صِفَةِ النبي ﷺ ٣/١٣٠٥(٣٣٦٦)، ومسلم في كتاب الفضائل، بَاب كَثْرَةِ حَيَائِهِ ﷺ ٤/١٨١٠(٢٣٢١).

وتقوى الله خيرُ الزاد ذُخرًا*****وعند الله للأتقَى مزيدٌ

اتقوا الله تعالى واعلموا أنكم غدا بين يدي الله موقوفون وبأعمالكم مجزيون وعلى كسبكم محاسبون، وأن المصير إما إلى جنة المأوى وإما إلى نار تلظى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ).... اللهم.....

الخطبة التاسعة : تعظيم قدر الصلاة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)،(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)،(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)، أما بعد:

عباد الله... تعالوا بنا نشهدُ هذا الحدثَ العظيم.. إنه حدث لم يحصل في التأريخ إلا مرة واحدة...أين وقع هذا الحدث.. إنه ليس في أرضنا .. بل ولا حتى في سمائنا.. فأين يكون إذن؟ إنه... في «السَّمَاءِ السَّابِعَةِ...بل فوق ذلك... ها هو سيد الملائكة وكبيرهم ومقدَّمهم... يستفتح باب السماء السابعة لمحمد صلى الله عليه وسلم...«اسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَقِيلَ: من هذا؟ قال: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قال: مُحَمَّدٌ ﷺ. قِيلَ: وقد بُعِثَ إليه؟ قال: قد بُعِثَ إليه»، قال صلى الله عليه وسلم: «فَفُتِحَ لنا.. قال: ثُمَّ ذَهَبَ بِي إلى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى.. فَأَوْحَى الله إلَيَّ ما أَوْحَى فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاةً في كل يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إلى مُوسَى صلى الله عليه وسلم (في السَّمَاءِ السَّادِسَةِ) فقال: ما فَرَضَ رَبُّكَ على أُمَّتِكَ؟ قلتُ: خَمْسِينَ صَلاةً. قال: ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ؛ فإن أُمَّتَكَ لا يُطِيقُونَ ذلك، فَإِنِّي قد بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ. قال: فَرَجَعْتُ إلى رَبِّي فقلت: يا رَبِّ خَفِّفْ علَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا.. فَرَجَعْتُ إلى مُوسَى فقلت: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا. قال: إِنَّ أُمَّتَكَ لا يُطِيقُونَ ذلك فَارْجِعْ إلى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. قال: فلم أَزَلْ أرجع بين رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى عليه السَّلام، حتى قال: يا محمد إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلاةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلاةً. قال: فَنَزَلْتُ حتى انْتَهَيْتُ إلى مُوسَى صلى الله عليه وسلم

فَأَخْبَرْتُهُ فقال: ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فقال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: فقلت: قد رَجَعْتُ إلى رَبِّي حتى اسْتَحْيَيْتُ منه».رواه مسلم.([١١٥])

عباد الله.. هذا الحديث العظيم يدلنا على عِظم قدر الصلاة عند الله تعالى حيث فرضها الله تعالى على عباده في ليلة الإسراء لما عُرج بالنبي صلى الله عليه وسلم وما ذلك إلا لعظم شأنها عند الله تعالى وعظيم مكانتها في شريعته.. فلنعظم ما عظمه الله تعالى فإن ذلك من علامة التقوى (ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ) الحج٣٢

عباد الله.. ألا وإن من تعظيم الصلاة أن ندرك ونستشعر بقلوبنا وأفئدتنا أنها الركن الثاني من أركان الإسلام فنعطيها حقها من الاهتمام والتعظيم فليست الصلاة مجرد واجب من الواجبات بل هي أعظم واجب بعد توحيد الله تعالى؛ فما مكانتها من قلوبنا؟ وأين هي في سُلَّم الأوَّليَّات في قلوبنا وأعمالنا وحياتنا؟ ألم نسمع قول النبي صلى الله عليه وسلم: «بُنِيَ الإِسْلامُ على خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ».متفق عليه([١١٦])... إياك أيها الموفق أن تكون الصلاة في آخر اهتماماتك... تصلي إن تيسَّر... وحسب فراغك من أمور دنياك..إياك أن تعطيها فضول وقتك.. تصلي متى استيقظت...وتصلي متى فرغت...وإذا صليت خففتها واستعجلت فيها...كما يفعل ذلك المنافق...الذي «يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ؛ حتى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيْ الشَّيْطَانِ قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا، لا يَذْكُرُ اللَّهَ فيها إلا قَلِيلا»،كما أخبر بذلك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، وقال: «تِلْكَ صَلاةُ الْمُنَافِقِ»([١١٧])، نعم تلك صلاة المنافق التي قال الله فيها (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى)...أليس فينا اليوم من إذا رأيتَ صلاتَه قلت: ما أشبهها بصلاة المنافق تلك...يصلي مستعجلا...ينقرها نقرا كما ينقر الديك الحب... يصلي متكاسلا...في قيامه... متكاسلا في ركوعه...متكاسلا في سجوده....الصلاة عنده

([١١٥])رواه مسلم في كتاب الإيمان، بَاب الإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إلى السَّمَاوَاتِ وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ ١/١٤٥- ١٤٦(١٦٢).

([١١٦])رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب الإيمان وقول النبي ﷺ:«بني الإسلام على خمس» ١/١٢(٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام ١/ ٤٥(١٦).

([١١٧]) رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التبكير بالعصر برقم (٦٢٢).

آخر ما يهتم به...الصلاة عنده عادة مجبر عليها يريد أن يتخلص منها وحسب...فاحذر أيها المؤمن من صلاة المنافق تلك.

عباد الله.. إن من تعظيم الصلاة: الحرصُ على خشوعها..خشوع القلب وخشوع الجوارح.. ألم نسمع قول الله تعالى لما ذكر أهمَّ صفاتِ المؤمنين المفلحين فما هي أول هذه الصفات (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون)... وهذا يشمل خشوع القلب والجوارح..

فلا بد أن يدرك المصلي أنه إنما يقف بين يدي ربه في الصلاة ويناجيه بالقرآن والذكر والدعاء، ويخضع له بالركوع والسجود، ويعلن عبوديته لربه وخضوعَه له واستجابته لأمره .. يحدثنا أبو هريرة رضي الله عنه عن مشهد حضره مع النبي صلى الله عليه وسلم فيه العبرة والعظة، يقول: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر، فلما سلَّم نادى رجلا كان في آخر الصفوف؛ فقال: يا فلان، ألا تتقي الله؟ ألا تنظر كيف تصلي؟ إن أحدكم إذا قام يصلي إنما يقوم يناجي ربَّه فلينظر كيف يناجيه، إنكم ترون أني لا أراكم! إني والله لأرى مِن خلف ظهري كما أرى مِن بين يدي.[١١٨]

ومن عجائب مارُوي عن السلف في تعظيمهم أمر الخشوع في الصلاة ما ذكره الإمام مالك في موطئه أن أبا طلحة الأنصاري رضي الله عنه كان يصلي في حائطه فطار دُبْسي[١١٩] فطفق يتردد يلتمس مخرجا فأعجبه ذلك فجعل يتبعه بصره ساعة ثم رجع إلى صلاته فإذا هو لا يدري كم صلى فقال: لقد أصابتني في مالي هذا فتنة، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له الذي أصابه في حائطه من الفتنة وقال: يا رسول الله هو صدقة لله فضعه حيث شئت. [١٢٠]

([١١٨])رواه ابن خزيمة ٢٤١/١ (٤٧٤)، وبوب عليه: باب الأمر بالخشوع في الصلاة؛ إذ المصلي يناجي ربه، والمناجي ربه يجب عليه أن يفرغ قلبه لمناجاة خالقه عز وجل ،ولا يشغل قلبه التعلق بشيء من أمور الدنيا يشغله عن مناجاة خالقه.

([١١٩])دُبْسي بضم الدال المهملة وإسكان الموحدة وسين مهملة، قال ابن عبد البر: طائر يشبه اليمامة، وقيل هو اليمامة نفسها، وقال الدميري منسوب إلى دبس الرطب لأنهم يغيرون في النسب (شرح الزرقاني على الموطأ ٢٩١/١)، والأنثى دبسية و جمعه الدباس (كشاف القناع ٤٦٤/٢-٤٦٥).

([١٢٠])موطأ مالك ٩٨/١ (٢٢٢)،قال في التمهيد (٣٨٩/١٧):هذا الحديث لا أعلمه يروى من غير هذا الوجه وهو منقطع.

أما الإمام منصور بن زاذان فيحدث عنه أحد جيرانه يقول: رأيت منصورا توضأ يوما فلما فرغ دمعت عيناه، ثم جعل يبكى حتى ارتفع صوته، قلت: رحمك الله، ما شأنك ؟ فقال: وأي شيء أعظم من شأني؟! إني أريد أن أقوم بين يدي من لا تأخذه سنة ولا نوم، فلعله أن يعرض عني.[١٢١]

عباد الله... يحدثنا جَابِرُ بن سَمُرَةَ السُّوائي[١٢٢] رضي الله عنهما قال: كنا إذا صَلَّيْنَا مع رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قُلْنَا: السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، وَأَشَارَ بيده إلى الْجَانِبَيْنِ فقال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «عَلامَ تُومِئُونَ بِأَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ، إنما يَكْفِي أَحَدَكُمْ أَنْ يَضَعَ يَدَهُ على فَخِذِهِ، ثُمَّ يُسَلِّمُ على أَخِيهِ من على يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ».رواه مسلم[١٢٣]، وفي لفظ له: «إذا سَلَّمَ أحدكم فَلْيَلْتَفِتْ إلى صَاحِبِهِ ولا يُومِئْ بيده»، وفي لفظ له: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: «اسْكُنُوا في الصَّلاةِ»رواه مسلم.[١٢٤]

كان الإمام منصور بن المعتمر من أحسن الناس قيامًا في الصلاة، فكان إذا قام في الصلاة وضع لحيته على صدره، وكان يقوم الليل يصلي في سطح بيته، فلما مات قال غلام لأمه: يا أماه أين الخشبة أو الجذع الذي كان في بيت منصور ليس أراه؟! قالت: يا بني ليس ذلك جذع، ذلك منصور كان يقوم بالليل، وقد مات. قال الثوري وهو يصف حاله في الصلاة: لو رأيتَ منصورا يصلي لقلتَ: يموت الساعة؛ وذلك من خشوعه وخضوعه في الصلاة.[١٢٥]

([١٢١])صفة الصفوة ١٢/٣.

([١٢٢])جَابِرِ بن سَمُرَةَ بن جُنادة السُّوائي، هو وأبوه صحابيان رضي الله عنهما، مات بالكوفة سنة (٧٠هـ). التقريب ص١٣٦.

([١٢٣])رواه مسلم في كتاب الصلاة، بَاب الْأَمْرِ بِالسُّكُونِ فِي الصَّلَاةِ وَالنَّهْيِ عن الْإِشَارَةِ بِالْيَدِ وَرَفْعِهَا عِنْدَ السَّلَامِ وَإِتْمَامِ الصُّفُوفِ الْأُوَلِ وَالتَّرَاصِّ فيها وَالْأَمْرِ بِالِاجْتِمَاعِ ٣٢٢/١(٤٣١).

([١٢٤])رواه مسلم في الموضع السابق رقم:(٤٣٠).

([١٢٥])ينظر: حلية الأولياء ٤٠/٥، مسند ابن الجعد ص١٤٣(٩٢٠)، المنتظم ٣١٩/٧ -٣٢٠ .

وأما الشيخ الإمام الجليل محمد بن نصر المروزي الفقيه المحدث فيقول محمد بن الأخرم: ما رأيت أحسن صلاة من محمد بن نصر، ولقد كنا نتعجب من حسن صلاته وخشوعه وهيئته للصلاة، لقد كان يضع ذَقَنَهُ على صدره فينتصب كأنه خشبة منصوبة، ولقد كان الذباب يقع على أذنه فيسيل الدم ولا يذبُّه عن نفسه. وقال أبو بكر الصِّبْغِي: بلغني أن زنبورًا قعد على جبهته فسال الدم على وجهه ولم يتحرك.(١٢٦)

لقد أَمَرَ النبي صلى الله عليه وسلم بخشوع القلب والجوارح في الذهاب إلى الصلاة فقال: «إذا سَمِعْتُمْ الإِقَامَةَ فَامْشُوا إلى الصَّلاةِ، وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، ولا تُسْرِعُوا، فما أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وما فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا».متفق عليه.(١٢٧) فأَمَرَ بالسكينة والوقار في الطريق إليها فكيف بالخشوع والخضوع في أثناء الصلاة... أبعد هذا نرى مَن إذا وقف بين يدي ربه يتحرك الحركة الكثيرة كما لو كان واقفا أمام الخباز أو في الملاهي فلا هو يراعي حرمة الصلاة ولا هو يراعي حرمة من هو واقف بين يديه.. فليكن لنا في سلفنا قدوة.. وبأمر النبي صلى الله عليه وسلم عملا وتمسكا (اسكنوا في الصلاة).

عباد الله... إن من تعظيم الصلاة: الحرصُ على تكبيرة الإحرام وعدم التهاون فيها؛ قال الإمام إبراهيم التيمي قال: إذا رأيت الرجل يتهاون في التكبيرة الأولى فاغسل يدك منه.(١٢٨) وقال وكيع: كان الأعمش قريبا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى، واختلفت إليه قريبا من سنتين فما رأيته يقضي ركعة.(١٢٩).. إنك تتعجب ممن لا يقوم حتى تقام الصلاة فيتوضأ ثم يخرج إلى المسجد غير مهتم بما يفوته من صلاته، وليس عنده أدنى عذر، بل ترى بعض الناس يتصل بالجوال أو يتحدث أمام المسجد مع صاحب له والصلاة تقام ولا يبالي، بل لعله لم يتوضأ بعد، فأين هو تعظيم الصلاة في قلبه؟!

---

(١٢٦)ينظر: سير أعلام النبلاء ١٤/٣٦-٣٧.

(١٢٧)رواه البخاري في كتاب الأذان، باب لا يسعى إلى الصلاة وليأت بالسكينة والوقار ١/٢٢٨ (٦١٠)،، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة والنهي عن إتيانها سعيا ١/٤٢٠ (٦٠٢).

(١٢٨)حلية الأولياء ٤/٢١٥، سير أعلام النبلاء ٥/٦٢.

(١٢٩)المنتظم ٨/١١٣، العبر في خبر من غبر ١/٢٠٩.

قال مجاهد: سمعت رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا أعلمه إلا ممن شهد بدرا قال لابنه: أدركتَ الصلاة معنا؟ قال: نعم، قال: أدركت التكبيرة الأولى؟ قال: لا، قال: لَمَا فاتك منها خيرٌ من مئة ناقة كلِّها سود العيون.[١٣٠]

عباد الله.. إن من تعظيم الصلاة: الحرص عليها في المساجد مع الجماعة. رُوي عن أبي عبد الله محمد بن خفيف[١٣١] أنه كان به وجع الخاصره فكان إذا أصابه أقعده عن الحركة، فكان إذا نودي بالصلاة يُحمل على ظهر رجل، فقيل له: لو خففت على نفسك... فماذا قال رحمه الله... اسمعوا ماذا قال... قال: إذا سمعتم حي على الصلاة ولم تروني في الصف... فاطلبوني في المقبرة.[١٣٢] ... أما الإمام سعيد بن المسيب رحمه الله فيقول: ما فاتتني الصلاة في جماعة منذ أربعين سنة.[١٣٣] ... بل إن له شأنا آخر فلنستمع إليه رحمه الله وهو يقول: ما أذَّن المؤذِّن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد.[١٣٤]

أما أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلنستمع إلى ما يقوله الحبر الإمام الجليل عبد اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه يقول: «من سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ على هَؤُلاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فإن اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ صلى الله عليه وسلم سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ من سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ في بُيُوتِكُمْ كما يُصَلِّي هذا الْمُتَخَلِّفُ في بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وما من رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَعْمِدُ إلى مَسْجِدٍ من هذه الْمَسَاجِدِ إلا كَتَبَ الله له بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بها دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عنه بها سَيِّئَةً»....بعد أن ذكر عظمة الصلاة ووجوبها في المساجد بدأ يذكر حالهم في الصلاة رضي الله عنهم قال رضي الله عنه: «وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وما يَتَخَلَّفُ عنها إلا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ

---

(١٣٠)رواه عبد الرزاق في مصنفه ٥٢٨/١(٢٠٢١).

(١٣١)أبو عبد الله محمد بن خفيف بن اسفكشار الضبي الفارسي الشيرازي شيخ الصوفيه، توفي سنة احدى وسبعين وثلاث مئة.

(١٣٢)سير أعلام النبلاء ٣٤٦/١٦.

(١٣٣)المرجع السابق ٢٢١/٤ .

(١٣٤)سير أعلام النبلاء ٢٢١/٤ قال الذهبي: إسناده ثابت.

النِّفَاقِ[أو مَرِيضٌ]، وَلَقَدْ كان الرَّجُلُ يؤتي بِهِ يُهَادَى بين الرَّجُلَيْنِ حتى يُقَامَ في الصَّفِّ».رواه مسلم.(١٣٥)

قال غالب بن خطاف القطان: فاتتني صلاة العشاء في جماعة، فصليت خمسا وعشرين مرة أبتغي به الفضل، ثم نمت، فرأيت في منامي كأني على فرس جواد أركض وهؤلاء في المحامل لا ألحقهم، فقيل: إنهم صلوا في جماعة وصليت وحدك.(١٣٦)

عن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: «صَلاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ من صَلاةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً».متفق عليه.(١٣٧) وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ أَعْمَى، فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إنَّهُ لَيْسَ لي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ؛ فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ يُرَخِّصَ له فَيُصَلِّيَ في بَيْتِهِ، فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ، فقال: «هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلاةِ؟»، فقال: نَعَمْ، قال: «فَأَجِبْ».رواه مسلم.(١٣٨)

عباد الله.. لقد اتفق الصحابةُ رضي الله عنهم على وجوبِ صلاةِ الجماعةِ، قال الإمامُ ابنُ القيم- رحمه الله تعالى- في ذِكْرِ أدِلَّةِ وجوب الجماعة: الدليل الثاني عشر: إجماعُ الصحابةِ رضي الله عنهم ونحن نذكر نصوصَهُم، ثم نَقَلَ أقوالَ الصحابةِ رضي الله عنهم في الوجوب، وهُم: عليٌّ وعائشةُ والحسنُ بنُ عليٍّ وابنُ مسعودٍ و أبو موسى الأشعريُّ وأبو هُرَيْرَةَ وابنُ عباسٍ رضي الله عنهم، ثم قال: فهذه نصوصُ الصحابةِ كما تَراها صِحَّةً وشُهْرَةً وانتشارًا، ولَمْ يَجِيءَ عن صحابِيٍّ واحدٍ خلافُ ذلك. (١٣٩) أبعد هذا نتهاون في صلاة الجماعة ؟!

---

(١٣٥)رواه مسلم في كِتَاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَاب صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ من سُنَنِ الْهُدَى ٤٥٣/١(٦٥٤)، والزيادة بين معقوفين من رواية أخرى له.

(١٣٦)حلية الأولياء ١٨٥/٦ ولها عنده ألفاظ وروايات هذه أخصرها.

(١٣٧)رواه البخاري في كتاب الجماعة والإمامة، باب فضل صلاة الجماعة ٢٣١/١(٦١٩)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها ٤٥٠/١(٦٥٠).

(١٣٨)رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب يجب إتيان المسجد على من سمع النداء ٤٥٢/١ (٦٥٣).

(١٣٩)الصلاة وحكم تاركها لابن قيم الجوزية ص ١٥٣.

أقول ما تسمعون وأسأل الله تعالى أن يغفر لي ولكم ولجميع المسلمين إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

عباد الله.. يحدثنا النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «[رأيت]إنه أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي[فَأَخَذَا بِيَدِي]، وَإِنَّهُمَا قالا لي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا[فَأَخْرَجَانِي إلى الأرض الْمُقَدَّسَةِ]، وَإِنَّا أَتَيْنَا على رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وإذا آخَرُ قَائِمٌ عليه بِصَخْرَةٍ، وإذا هو يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ فيَتدَهدَهُ الْحَجَرُ هَا هُنَا، فَيَتْبَعُ الْحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فلا يَرْجِعُ إليه حتى يَصِحَّ رَأْسُهُ كما كان، ثُمَّ يَعُودُ عليه فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ ما فَعَلَ به مرة الأُولَى. قال: قلت لَهُمَا: سُبْحَانَ اللَّهِ، ما هَذَانِ؟ قال: قالا لي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ. قال: فَانْطَلَقْنَا»...

عباد الله .. أتدرون لمن هذه العقوبة الشنيعة الشديدة؟ أتدرون من يستحقها؟ إنه الذي يضيع صلاة الفجر في وقتها إنه الذي ينام عن صلاة الفجر... إنه الذي ينام عن صلاة العصر... إنه الذي لا يبالي متى صلى فينام ملئ عينيه ولا يصلي حتى يستيقظ.. اسمع إلى ما يقول النبي صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث.. قال: «قلت لَهُمَا: فَإِنِّي قد رأيت مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا؛ فما هذا الذي رأيت؟ قال: قالا لي: أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ: أَمَّا الرَّجُلُ الأَوَّلُ الذي أَتَيْتَ عليه يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ؛ فإنه الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عن الصَّلاةِ الْمَكْتُوبَةِ». رواه البخاري.(١٤٠)

عباد الله... إن من تعظيم الصلاة..الاهتمام بصلاة الفجر في المسجد.. الاهتمام بالصلاة المشهودة التي تشهدها الملائكة..{أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً}الإسراء٧٨... ماذا أعددت من الجواب حين يسألك الله عن صلاة الفجر لم ضيعتها.. هل ستقول له كنت أسهر في الاستراحة مع شياطين الإنس..

---

(١٤٠)رواه البخاري في كتاب التعبير، بَاب تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا بَعْدَ صَلاةِ الصُّبْحِ ٢٥٨٣/٦(٦٦٤٠)، والزيادات المذكورة من رواية أخرى له في كتاب الجنائز، بَاب ما قِيلَ فِي أَوْلادِ الْمُشْرِكِينَ ٤٦٥/١- ٤٦٦ (١٣٢٠).

كنت أتابع القنوات الفضائحية..كنت ألهو..كنت ألعب البلوت..كنت في مقاهي الانترنت...كنت أشرب الشيشة..كنت ألعب الكرة حتى إذا قرب الفجر نِمتُ نومة البهائم لا أبالي متى استيقظت ..كلها أعذار واهية... بماذا ستواجه ربك ولك أسبوع ... لا بل لك أسبوعان...بل لك من اليوم شهر ما ركعت صلاة الفجر في المسجد...هل أنت مريض..هل أنت مصاب.. كلا...ليس عندي عذر إلا التكاسلُ وقلَّةُ الاهتمام بالصلاة.. ها أنا أصحو سريعا إذا حضر وقت الدوام.. ها أنا أهتمُّ كثيرا إذا كان لديّ موعد مع مَن كان...أمَّا الفجر ففي آخر اهتماماتي.. ويحك.. أما لك قلب حيٌّ.. أما لك إيمان يوقظك؟ أين الحياء من الله تعالى الذي خلقك ورزقك وأنعم عليك لكي تعبدَه وتطيعَه، وأنت لاهٍ غافل عن مولاك شاردٌ من طاعته.. قال عبدُ الله بن عُمَرَ رضي الله عنهما: «كُنَّا إِذَا فَقَدْنَا الرَّجُلَ فِي صَلاَةِ الْعِشَاءِ وَصَلاَةِ الْفَجْرِ أَسَأْنَا بِهِ الظَّنَّ».رواه ابن أبي شيبة وغيره.([١٤١])

عباد الله... ومن تعظيم الصلاة أمر الأولاد بها وتربيتهم عليها منذ بلوغ سبع سنوات، وملاحظتهم أثناء فعلها حتى يحسنوها {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى}طه١٣٢

قال مصعب بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: صليت إلى جنب أبي، وجعلت يدي بين ركبتي، فقال لي أبي: اضرب بكفيك على ركبتيك. قال: ثم فعلت ذلك مرة أخرى؛ فضرب يدي، وقال: إنا نهينا عن هذا، وأمرنا أن نضرب بالأكف على الركب.([١٤٢])

عباد الله.. لقد كانت وصية النبيّ صلى الله عليه وسلم قبل موته لجميع أمته: (الصلاةَ الصلاةَ، واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم)(١٤٣). فانظركيف عظَّمها الرسول صلى الله عليه

([١٤١])رواه ابن أبي شيبة ٢٩٢/١(٣٣٥٣)، وابن خزيمة ٣٧٠/٢(١٤٨٥)، و ابن حبان ٤٥٥/٥(٢٠٩٩)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ٣٣٠/١ وقال: صحيح على شرط الشيخين، والطبراني في المعجم الكبير ٢٧١/١٢.

([١٤٢])رواه البخاري في كتاب صفة الصلاة،باب وضع الأكف على الركب في الركوع ٢٧٣/١(٧٥٧)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الندب إلى وضع الأيدي على الركب في الركوع ونسخ التطبيق ٣٨٠/١ (٥٣٥)، وهذا لفظه.

(١٤٣) أخرجه أبو داود (٦٤/١٤) رقم (٥١٣٤) أبواب النوم . باب في حق المملوك، وابن ماجه بلفظ : " الصلاة وما ملكت أيمانكم " (٩٠١/٢) رقم (٥١٣٤) أبواب النوم . باب هل أوصى النبي ﷺ، وأحمد بلفظ ابن ماجه (٧٨/١)،وقال أحمد شاكر :" إسناد صحيح "(شرح المسند ٥٨٧/١) . وصححه الألباني (انظر إرواء الغليل ٢٣٧/٧-٢٣٨) .

وسلم ... قال عبد اللَّهِ بن شَقِيقٍ الْعُقَيْلِيّ: كان أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم لا يَرَوْنَ شيئا من الأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غير الصَّلاةِ. (١٤٤)

فالله الله بالصلاة وتعظيم شأنها .... الصلاةَ الصلاةَ يا عباد الله.

أيه المؤمنون....اتقوا الله تعالى حقَّ التقوى، واستمسِكوا من الإسلام بالعُروة الوُثقَى، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)، واعلموا أن من اتَّقى الله وقاه، وكفاه وأسعدَه وآواه.

وتقوى الله خيرُ الزاد ذُخرًا******وعند الله للأتقَى مزيدُ

اتقوا الله تعالى واعلموا أنكم غدا بين يدي الله موقوفون وبأعمالكم مجزيون وعلى كسبكم محاسبون، وأن المصير إما إلى جنة المأوى وإما إلى نار تلظى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ).... اللهم.....

(١٤٤)رواه الترمذي في كتاب الإيمان، بَاب ما جاء في تَرْكِ الصَّلَاةِ ٥/١٤(٢٦٢٢)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ١/٤٨، قال النووي(خلاصة الأحكام ١/٢٤٥) والعراقي(طرح التثريب ٢/١٣٤): سنده صحيح .

الخطبة العاشرة : تربية النفس وتزكيتها

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)،(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)،(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)، أما بعد:

أيها المؤمنون...في بداية الهجرة النبوية...آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ[الفارسيَّ] وَأَبِي الدَّرْدَاءِ[رضي الله عنهما]، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أبو الدَّرْدَاءِ ليس له حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا. فَجَاءَ أبو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ له طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ فَإِنِّي صَائِمٌ. قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أبو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ آخِرُ اللَّيْلِ، قَالَ سَلْمَانُ: قُمِ الآنَ، قَالَ: فَصَلَّيَا. فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: «إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ». فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ».رواه البخاري.([١٤٥])

عباد الله... نفس الإنسان هي مطيته التي يسير بها إلى عَالَمِهِ كُلِّهِ، وتوصله إلى سعادة الدارين، فلذلك يجب عليه الاهتمام بها ورعايتها وحفظها من كل ما يسيء إليها أو يتلفها أو ينقص من أهليتها، وذلك يشمل أمرين:

([١٤٥]) رواه البخاري في كتاب الأدب، بَاب صُنْعِ الطَّعَامِ وَالتَّكَلُّفِ لِلضَّيْفِ ٥/٢٢٧٣(٥٧٨٨)، وفي كتاب الصوم، بَاب من أَقْسَمَ على أَخِيهِ لِيُفْطِرَ في التَّطَوُّعِ ولم يَرَ عليه قَضَاءً إذا كان أَوْفَقَ له ٢/٦٩٤(١٨٦٧).

الأول: حِفْظُهَا مِنْ كُلِّ مَا يؤدي إلى عذابها في الآخرة، ويكون ذلك بالاستقامة على دين الله تعالى بفعل ما أمر الله به ورسوله ﷺ، واجتناب ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ حتى يبلغ الإنسان إلى الأمان والنجاة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)([١٤٦]).

عبد الله...أيها المؤمن... (إن لنفسك عليك حقا).. وإن أعظم حقوق الإنسان على نفسه أن يقيها عذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)([١٤٧])، وإنما تحصل وقاية النفس من النار بتقوى الله تعالى، بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه.

الثاني: حِفْظُهَا مِنْ كُلِّ ما يؤذيها في الدنيا ويؤدي بها إلى التهلكة الكاملة، بالانتحار وقتل النفس، وسواء أكان ذلك قتلا مباشرا، أم قتلا بطيئا كما هو الحال في شرب الدخان أو تعاطي المخدرات بأنواعها، واسمع إلى مولاك وهو يقول: (وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)([١٤٨])... كما يجب حفظها من إهلاك جزء منها، بقطع عضو من الأعضاء أو إتلافه بأي وسيلة... أو الإضرار بها، أو إمراضها، أو تعريضها لأسباب المرض، أو التهاون في أسباب حفظها.... ولهذا اعتبر الشرع: (حفظ النفس) من الضروريات الخمس التي يجب الحفاظ عليها؛ فلا يحل للإنسان التَّعَدِّي على نفسه بأي نوع من التَّعَدِّي القتل فما دونه؛ وليست نفسه ملكا له يتصرف فيها بما يشاء، وإنما في حدود ما أذن فيه الشرع.

عباد الله... المسلم مأمور شرعا بتزكية نفسه ، قال تعالى (قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا)([١٤٩]). وتزكيتها يكون بأمرين: الأول: تطهيرها من جميع الرذائل. والثاني: إكسابها عموم الفضائل.

---

(١٤٦) سورة التحريم آية ٦.

(١٤٧) سورة التحريم آية ٦ .

(١٤٨) سورة البقرة آية ١٩٥.

(١٤٩) سورة الشمس آية ٩.

وتزكية النفس يكون باتباعها ما جاء به النبي ﷺ من ربه جل وعلا كما قال تعالى (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)([١٥٠])، ولا تتزكى النفس بغير ذلك من الطرق المجانبة للسنة مما أحدثه الناس من أهل البدع كالصوفية وغيرهم.

ولما كانت تزكية الإنسان لنفسه من الواجبات الشرعية التي يجب الحرص عليها، فقد أثنى الله تعالى على من زكى نفسها وهذبها، وذم من ترك تزكية نفسه وأهملها، فقال تعالى: (قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها)([١٥١]).

فإن سألت أيها المؤمن: كيف أزكي نفسي؟

فإني أقول لك: تحصل تزكية النفس بسلوك خمس مراتب:

المرتبة الأولى: الْعِلْمُ، وذلك بمعرفة ما للنفس وما عليها، ومعرفة الواجبات والمحرمات، والمسنونات والمكروهات، وبالجملة: فلا بد من معرفة النفس بما يريده الله منها حتى تعمل على بينة من الشرع، وبقدر ما يكون عند الإنسان من العلم والمعرفة بمرادات الله تعالى، وكيفية العمل بها، يكون مقدار تزكيته لنفسه التزكية الشرعية، ويتجنب التزكية البدعية.

المرتبة الثانية: الْمُجَاهَدَةُ، وذلك بتربية النفس ومدافعتها للعمل بما علمته مما أمر الله به ورسوله ﷺ أو نهى عنه الله ورسوله ﷺ، سواء أكان ذلك من حقوق الله تعالى التي أوجبها لنفسه، أو من الحقوق التي أوجبها لبعض خلقه.

المرتبة الثالثة: المراقبة، ويدخل في ذلك:

- مراقبةُ الله في أصل العمل، فإذا كان مأمورا به هل أتيت به كما أمرك، وإذا كان منهيا عنه فتراقب الله أن لا تعمله، وتحذرُ منه أن يفقدك حيث أمرك، أو يراك حيث نهاك.

---

(١٥٠) سورة الجمعة آية ٢.

(١٥١) سورة الشمس آيتا ٩- ١٠.

عن عبد اللَّهِ بن مُعَاوِيَةَ الْغَاضِرِيّ ﷺ قالَ: قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ثَلاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الإِيمَانِ: مَنْ عَبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ فإِنَّهُ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ، وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بها نَفْسُهُ، رَافِدَةً عَلَيْهِ فِي كُلِّ عَامٍ، وَلَمْ يُعْطِ الْهَرِمَةَ ولاَ الدَّرِنَةَ ولاَ الشَّرَطَ اللاَّئِمَةَ، ولاَ الْمَرِيضَةَ، وَلَكِنْ من أَوْسَطِ أَمْوَالِكُمْ فإن اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَسْأَلْكُمْ خَيْرَهُ، وَلَمْ يَأْمُرْكُمْ بِشَرِّهِ، وَزَكَّى عَبْدٌ نَفْسَهُ»، فَقَالَ رَجُلٌ: مَا تَزْكِيَةُ الْمَرْءِ نَفْسَهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قال: «يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ مَعَهُ حَيْثُ مَا كَانَ».رواه أبو داود والبيهقي.([١٥٢])

– كما يدخل فيه مراقبة الله في العمل بإخلاصه لله تعالى، وتوحيد الإرادة وتجريدها من كل ما يشوبها، فإذا كان مأمورا به فهل فتجرد العمل له وحده، وإذا كان منهيا عنه فتجرد الترك لله وحده، وتستشعر أنه يراك في فعلك وتركك.

– كما يدخل فيه مراقبة العمل نفسه من حيثُ موافقتُهُ للهدي النبوي من عدمه، وهذا هو توحيد المتابعة.

أما المرتبة الرابعة من مراتب تزكية النفس فهي: المحاسبة، وذلك بأن تسأل نفسك: هل قامت بالعمل الذي أمرت به؟ وإذا قامت به، هل كان لله؟ وإذا كان لله، فهل هو موافق لشريعة محمد ﷺ؟ وإذا كان موافقًا فهل أتت به على أكمل الوجوه؟

وهكذا فيما نُهيت عنه: هل تركته؟ وهل كان الترك لله تعالى؟ وهل كان الترك كاملا؟

وأما المرتبة الخامسة من مراتب تزكية النفس فهي: التوبة والإنابة، توبةٌ من ترك الواجبات أو التقصير فيها، أو فعل المنكرات، أو من التقصير في فعل الحسنات، وفي ترك المكروهات، ثم العزم على ترك كل تقصير، والسعي في استدراك ذلك في مستقبل الحال.

ويجمع ذلك كلَّه إصلاح القلب فإذا صلح القلب صلحت النفس...

والنفس كالطفل إن تهمله شب على**حب الرَّضاع أو تفطمه ينفطم

([١٥٢])رواه أبو داود في كتاب الزكاة، بَاب فِي زَكَاةِ السَّائِمَةِ ١٠٣/٢(١٥٨٢) والبيهقي في السنن الكبرى ٩٥/٤ وهذا لفظه ولم يذكر أبو داود الثالثة وما بعدها، والطبراني في المعجم الصغير (الروض الداني) ص٣٣٤(٥٥٥) ومسند الشاميين ٩٧/٣(١٨٧٠)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ٣٠٠/٢(١٠٦٢)، والبخاري في التاريخ الكبير ٣١/٥، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣٨/٣(١٠٤٦).

أقول ما تسمعون وأسأل الله تعالى أن يغفر لي ولكم ولجميع المسلمين إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ، أما بعد:

أيها المؤمنون...إن النفوس على ثلاث درجات، قد تستقر النفس في أحد الدرجات زمنا طويلا أو قصيرا، وقد تتلوَّن في اليوم الواحد بين أكثر من درجة:

أما الدرجة الأولى فهي النفس المطمئنة، وهي النفس التي وصلت أعلى درجات الكمال فرضيت بالله تعالى وبشرعه فلم تعترض عليه، ورضيت بقضائه وقدره فسلَّمت له، واطمأنت بفعل الطاعات وهي راضية شاكرة، وبترك المنكرات وهي منقادة مستسلمة.

وأما الدرجة الثانية فهي النفس اللوامة، وهي التي تلوم صاحبها على التقصير في المأمورات، وتلومه على الإتيان بالمنهيات، وتزين له فعل الخيرات وترك المنكرات.

وأما الدرجة الثالثة فهي النفس الأمارة بالسوء، وهي التي تأمر صاحبها بالسوء، وتزينه له، وتسهل عليه الإقدام عليه، وتُكَرِّهُ لَهُ فعل الخير وتنهاه عنه، وتثقله عليه، وتوصد دونه أبوابه.

أيها المؤمن...احرص على تربية نفسك وتهذيبها لتوصلها إلى أكمل الدرجات....(يا أيتها النفس المطمئنة. ارجعي إلى ربك راضية مرضية. فادخلي في عبادي. وادخلي جنتي).

عبد الله...أيها المؤمن...إن من أهم ما يعينك في تزكية نفسك وتهذيبها... أن تتذكر دائما..ولا تغفل عن حقيقة الحياة الدنيا بالنسبة لك... فما هي إلا دار مرور وليست دار استقرار، فلذلك يجب عليك أن تتنبه لهذا فلا تتخذها دار قرار فتركن إليها وتنسى الدار الحقيقية، وبذلك تضر بنفسك، وتخسر آخرتك: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا

مَتَاعُ الْغُرُورِ)([١٥٣]).. يقول عبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ». وَكَانَ ابنُ عُمَرَ- رضي الله عنهما- يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. رواه البخاري.([١٥٤])

عبد الله...أيها المؤمن...احرص على ما ينفعك.. وأهم ذلك تنمية إيمانك وتقويته، وتجنب ما من شأنه أن يضعفه... وأن يكون لك نصيب من العلم النافع، وهو علم الكتاب والسنة... وأن تكون مشاركا بما يمكنك في الدعوة إلى الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..حريصا على إصلاح قلبك وتزكيته.. وتهذيب أخلاقك وتنميتها.

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها...

عباد الله....اتقوا الله تعالى حقَّ التقوى، واستمسِكوا من الإسلام بالعُروة الوُثقَى، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَق تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُن إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)، واعلموا أن من اتَّقى الله وقاه، وكفاه وأسعدَه وآواه.

وتقوى الله خيرُ الزاد ذُخرًا******وعند الله للأتقَى مزيدٌ

اتقوا الله تعالى واعلموا أنكم غدا بين يدي الله موقوفون وبأعمالكم مجزيون وعلى كسبكم محاسبون، وأن المصير إما إلى جنة المأوى وإما إلى نار تلظى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ).... اللهم.....

---

(١٥٣) سورة الحديد آية ٢٠.

([١٥٤]) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» ٥/٢٣٥٨(٦٠٥٣).

الخطبة الحادية عشرة : محبّة الرسول ﷺ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)،(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)،(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)، أما بعد:

أيها المؤمنون.... بينما كانت يده في يد سيد البشر وخير البشر وأحب بشر إلى بشر جاشت وفاضت مشاعر ذلك الرجل الجلد القوي الشديد فباح بما تردد في خاطره من المحبة العظيمة لسيده وحبيبه وقائده والذي أنقذه الله به من النار...ذاك الرجل الذي كان يقال فيه: لا يسلم عمر ولو أسلم حمار الخطاب وكان النبي ﷺ يدعو له بالهداية فيأتيه في دار الأرقم غاضبا يريد أن يقتله فيأخذه النبي ﷺ بتلابيبه ويهزه ويقول أما آن لك أن تسلم يا ابن الخطاب... أما آن لك أن تسلم يا بن الخطاب....تحركت هذه المشاعر الفياضة ويد عمر بن الخطاب في يد حبيبه ومنقذه من النار فقال: يا رَسُولَ اللهِ، لأَنْتَ أَحَبُّ إلي من كل شَيْءٍ إلا من نَفْسِي! فقال النبي ﷺ: «لا وَالَّذِي نَفْسِي بيده حتى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ من نَفْسِكَ»، فقال له عُمَرُ: فإنه الآنَ والله لَأَنْتَ أَحَبُّ إلي من نَفْسِي. فقال النبي ﷺ: «الآنَ يا عُمَرُ».(١٥٥)

لم تقتصر هذه المحبة يا عباد الله على بني آدم بل تعدت ذلك إلى الجمادات....ففي ذلك اليوم المبارك من أيام إحدى الجمع النبوية وكانوا قد صنعوا للنبي ﷺ منبرا يخطب عليها...فلما شرع في خطبته ﷺ ما راعه وراع الناس إلا ذلك الصوت العجيب...صوت بكاء حزين كبكاء طفل حزين وحنين وانين كحنين الناقة الخلوج الَّتِي انْتُزِعَ مِنْهَا

---

(١٥٥)رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، بَاب كَيْفَ كانت يَمِينُ النبي ﷺ ٦/٢٤٤٥(٦٢٥٧).

وَلَدُهَا...فتعجب الناس من هذا الصوت وما مصدره فلما التفتوا إليه وجدوه صادر من ذلك الجذع من النخلة التي كان النبي ﷺ يتكئ عليه إذا خطب يوم الجمعة....إنه حزين على فراق رسول الله ﷺ...فنزل النبي ﷺ من منبره فوضع يده عليه واحتضنه حتى سكن صوته، ثم قال: والله لو لم أحتضنه لصاح إلى يوم القيامة، الله أكبر كان الإمام الحسن البصري رحمه الله تعالى إذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال: يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقا إليه لمكانه من الله فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه.(١٥٦)

يحن الجذع من شوق إليك **** و يذرف دمعه حزناً عليك
و يجهش بالبكاء و بالنحيب **** لفقد حديثكم و كذا يديك
فمالي لا يحن إليك قلبي **** و حلمي أن أقبل مقلتيك
و أن ألقاك في يوم المعاد **** وأنعم ناظري من وجنتيك

وللحيوانات نصيب من محبة رسول الله ﷺ...فقد دَخَلَ النبي ﷺ يَوْمًا حَائِطًا مِنْ حِيطَانِ الأَنْصَارِ، فَإِذَا جَمَلٌ قَدِ أتَاهُ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَمَسَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَرَاتَهُ وَذِفْرَاهُ، فَسَكَنَ، فَقَالَ: " مَنْ صَاحِبُ الْجَمَلِ؟ " فَجَاءَ فَتًى مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: هُوَ لِي يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: " أَمَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَهَا اللهُ، إِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ.رواه أحمد

وفي موقف آخر نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنْزِلا، فَانْطَلَقَ إِنْسَانٌ إِلَى غَيْضَةٍ، فَأَخْرَجَ مِنْهَا بَيْضَ حُمَّرَةٍ، فَجَاءَتِ الْحُمَّرَةُ تَرِفُّ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرُءُوسِ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: " أَيُّكُمْ فَجَعَ هَذِهِ؟ " فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا أَصَبْتُ لَهَا بَيْضًا، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ارْدُدْهُ "

جاءت إليك حمامة مشتاقة *** تشكو إليك بقلب صب واجف
من أخبر الورقاء أن مقامكم *** حرم و أنك منزل للخائف

عباد الله... جاء رجل من الأنصار إلى النبي ﷺ وهو يبكي فقال له النبي ﷺ: ما أبكاك؟ فقال يا رسول الله إنك لأحب إليَّ من نفسي، وإنك لأحب إلي من ولدي وإني لأكون في

(١٥٦) أصل الخبر في صحيح البخاري عن ابن عمر وجابر ﷺ، وهو خبر مشهور يبلغ مبلغ التواتر، وما ذكر مجموع من عدة روايات في الصحيح وخارجه عن جماعة من الصحابة ﷺ.

البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك وعرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وأني إذا دخلت الجنة كنت دونك فخشيت أن لا أراك، فلم يردَّ عليه النبي ﷺ شيئا حتى نزل جبريل بهذه الآية: (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا). فبعث إليه النبي ﷺ وبشره.(١٥٧)

عباد الله... سأل رجل أسد بن الفرات عن حديث النبي ﷺ لا يكون الرجل مؤمنا حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده وأهله والناس أجمعين ، وقال له: أخاف أن لا أكون كذلك؟

فقال له: أرأيت لو كان النبي ﷺ بين أظهرنا فقرب ليقتل أكنت تفديه بنفسك؟

قال: نعم. قال: وولدك؟ قال: نعم. فقال: لا بأس. فقال له الرجل: فرجتها عني فرج الله عنك(١٥٨).

فأين أنتم معاشر الشباب من محبة النبي ﷺ ...لقد صد كثير من شبابنا عن التعرف على رسول الله ﷺ ومحبته اللهو في هذه الدنيا والركض وراء الفتن التي لا تنفع بل تضر باصحابها.

أيها المؤمنون.... أين نحن من قول النبي: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بيده، لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إليه من وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ».(١٥٩) ... وأين نحن من قول النبي ﷺ: «لاَ يُؤْمِنُ أحدُكم حتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إليه مِن وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ».متفق عليه.(١٦٠) ... وأين نحن من قول النبي ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار».متفق عليه.

---

(١٥٧)رواه الطبراني في الأوسط والصغير، وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية والضياء المقدسي في صفة الجنة، قال السيوطي: وحسنه ، وقال ابن كثير : وقال الضياء: لا أرى بإسناده بأسا، ورواه الطبراني أيضا عن ابن عباس ، وروي مرسلا عن جماعة ، منهم: مسروق و عكرمة وعامر الشعبي وسعيد بن جبير وقتادة والسدي، وعن الربيع بن أنس قال ابن كثير:وهو من أحسنها سندا(انظر:الدر المنثور ٥٨٨/٢، تفسير ابن كثير ٥٢٣/١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد(٧/٧):رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله رجال الصحيح غير عبدالله بن عمران العابدي وهو ثقة.

(١٥٨)ترتيب المدارك للقاضي عياض ٤٧٥/١- ٤٧٦.

(١٥٩)رواه البخاري في كتاب الإيمان، بَاب حُبُّ الرَّسُولِ ﷺ من الإِيمَانِ ١٤/١(١٤).

(١٦٠)رواه البخاري في كتاب الإيمان، بَاب حُبُّ الرَّسُولِ ﷺ من الْإِيمَانِ ١٤/١(١٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، بَاب وُجُوبِ مَحَبَّةِ رسول اللَّهِ ﷺ أَكْثَرَ من الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَالْوَالِدِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ وَإِطْلَاقِ عَدَمِ الْإِيمَانِ على من لم يُحِبُّهُ هذه المحبه ٦٧/١(٤٤).

قال تعالى: {قُلْ إِن كَانَ ءابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وإخوانُكُمْ وأزواجكم وَعَشِيرَتُكُمْ وأموالٌ قْتَرَفْتُمُوهَا وتجارة تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ومساكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حتى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِى القوم الفاسِقِينَ} ([١٦١])

عباد الله... كيف لا نحب النبي ﷺ أعظم المحبة وهو الذي يقول الله تعالى في وصفه بالنسبة لنا {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ }التوبة١٢٨

كيف لا نحبه ﷺ أعظم المحبة وهو الذي يقول في ذلك المقام العظيم مقام الشفاعة العظمى... «فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عزَّ وجلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ الله عَلَيَّ مِن مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عليه شيئًا لم يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يا محمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يا رَبِّ، أُمَّتِي يا رَبِّ، فَيُقَالُ: يا محمَّدُ، أَدْخِلْ مِن أُمَّتِكَ مَن لا حِسَابَ عليهِمْ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ الناسِ فِيمَا سِوَى ذلك مِنَ الأَبْوَابِ».متفق عليه.(١٦٢)

كيف لا نحبه (ولا نجاة لأحد من عذاب الله ولا وصول له إلى رحمة الله إلا بواسطة الرسول؛ بالإيمان به ومحبته وموالاته واتباعه، وهو الذي ينجيه الله به من عذاب الدنيا والآخرة، فأعظم النعم وأنفعها نعمة الإيمان، ولا تحصل إلا به، وهو أنصح وأنفع لكل أحد من نفسه وماله؛ فإنه الذي يخرج الله به من الظلمات إلى النور، لا طريق له إلا هو، وأما نفسه وأهله فلا يغنون عنه من الله شيئًا)(١٦٣) .

([١٦١]) سورة التوبة: ٢٤.

([١٦٢]) رواه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة الإسراء، بَاب (ذُرِّيَّةَ من حَمَلْنَا مع نُوحٍ إنه كان عَبْدًا شَكُورًا) ٤/١٧٤٥-١٧٤٦(٤٤٣٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، بَاب أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فيها ١/١٨٤- ١٨٥(١٩٤)، ولفظه في آخره: «كما بينَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ»، والزيادة الأولى والثانية بين قوسين من روايةٍ لمسلم، والثالثة من روايةٍ للبخاري في كتاب الأنبياء، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إلى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ من قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ٣/١٢١٥(٣١٦٢).

([١٦٣]) من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية مجموع الفتاوى (٢٧/٤٢٦).

عباد الله.... سئل علي بن أبي طالب ﷺ: كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ فقال: كان رسول الله ﷺ أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا وأحب إلينا من الماء البارد على الظمأ. (١٦٤)

أقول ما تسمعون وأسأل الله تعالى أن يغفر لي ولكم ولجميع المسلمين إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ، أما بعد:

أيها المؤمن.... كيف نزداد حبا لرسول الله ﷺ....تعرف عليه اقرأ سيرته اقرأ أحاديثه عش معه ﷺ...كيف يحبه من لا يعرف إلا اسمه...كيف يحبه من لا يعرف سيرته....كيف يحبه من امتلأ قلبه بمحبة أعدائه...طبق سنته في حياتك يكن معك في كل أحوالك هنا سوف تشعر بمحبته سوف تشعر بالرضى منك على نفسك في محبته ﷺ....لا تعرض عن سنته...اعمل بها ما استطعت في جميع أمورك المشروعة، فأين أنت منه في عباداتك تصلي كما صلي وتجتهد في تتبع ذلك وتستشعر اقتداءك به في كل حركة هكذا فعل الحبيب ، فتعمل كما عمل ، في نفقتك وصدقتك ، في صيامك ، وغير ذلك، وكذلك في ذكره لله تعالى واستغفاره وقيام الليل.... وكذلك في غير العبادات المحضة، كاللباس والزينة من سنن الفطرة والنوم ومعاملة الناس، وغيرها.

يقول الحسن البصريّ وغيره من سلف هذه الأمة: إنّ قومًا زعموا محبّةَ الله ومحبّةَ رسولِه ﷺ فابتلاهم الله بهذه الآية: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ).

يقول بعض العلماء: هذه الآية هي الميزان، وفى البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال أن رسول الله ﷺ قال: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا ومن يأبى يا رسول الله قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى).

معاشر الآباء الكرام...لابد من غرس محبة النبي ﷺ في قلوب أولادنا منذ الصغر...لقنهم أن يحبوه وأن يحبوه أكثر منك ومن أمهم...ومن الناس أجمعين بين لهم لماذا هذا...أخبرهم عن

---

(١٦٤) ذكره القاضي عياض في الشفا بتعريف حقوق المصطفى بدون سند ٢٢/٢ .

رسول الله ﷺ وحدثهم عن سيرته لقنهم إذا عملوا شيئا هذا أمر به الرسول ﷺ هذا نهى عنه الرسول ﷺ وهكذا يعيشون حياتهم مع الرسول ﷺ...فتترسخ محبته ومعرفته في قلوبهم.

عباد الله....اتقوا الله تعالى حقَّ التقوى، واستمسِكوا من الإسلام بالعُروة الوُثقَى، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَق تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُن إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)، واعلموا أن من اتَّقى الله وقاه، وكفاه وأسعدَه وآواه.

وتقوى الله خيرُ الزاد ذُخرًا******وعند الله للأتقَى مزيدٌ

اتقوا الله تعالى واعلموا أنكم غدا بين يدي الله موقوفون وبأعمالكم مجزيون وعلى كسبكم محاسبون، وأن المصير إما إلى جنة المأوى وإما إلى نار تلظى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ).... اللهم.....

الخطبة الثانية عشرة :العمل للإسلام

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن مضلل فلا هادى له، اللهم ربنا لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض، ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، أنت الحق، وقولك الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك الحق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، والساعة حق،اللهم لك أسلمنا، وبك آمنا، وعليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك خاصمنا، وبك حاكمنا، فاغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وأسررنا وأعلنا، وما أنت أعلم به منا، لا إله إلا أنت،أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد:

عباد الله... سؤال عظيم ينبغي أن نطرحه اليوم على أنفسنا ... سؤال ينبغي أن يستثير الهمة في نفوسنا.. اسمع أيها الموفق هذا السؤال... سله لنفسك... ما جوابك.... أيها المسلم ماذا قدمت للإسلام.. نعم أيها المسلم المنتمي لهذا الدين العظيم....ماذا قدمت للإسلام..لا تقل إن الإسلام لا يحتاج إلي من أنا حتى يحتاج لي.. فإن الإسلام يحتاج إلى كل ابن من أبنائه ول عضو من أعضائه حتى يستقر في الأرض..وينتشر..فأبناؤه هم حملته وهم رعاته...يحتاج إليهم **أولاً**: ليحملوه.. وليكون بناة فيه...ويحتاج إليهم **ثانيًا**: ألا يخذلوه ويكون هادمين في صرحه الشامخ.... أنت تنتسب لأعظم دين أنزله الله في هذه الأرض..ولأعظم نبي أرسله الله للناس...الناس كلهم بحاجة إليك... بحاجة إلى ما عندَك... فماذا قدمت لهذا الدين...

أيها المؤمن... الإسلام لا يقوم بنفسه بل يقوم بأصحابه وحملته... (وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً)[١٦٥]...الله تعالى وَكَلَ إرشاد الناس إلينا.. وأَمَرَنَا بدلالتهم على الهدى...إن كل مسلم ينبغي أن يكون مشعل هداية.. ونورًا يستضاءُ به (الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ

([١٦٥]) سورة يونس آية ٩٩.

إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)[١٦٦](وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ)[١٦٧]

سل نفسك يا أخي...هل أنت مِشعلُ نور وهداية...هل أنت عاملُ بناء يبني صَرْحا لهذا الدين أين ما كان وحيثُما حلَّ (وجعلني مباركا أينما كنت)...سل نفسك...هل أنت ممن يُطفؤون مشاعل الهداية.. هل أنت عامل هدم ... سل نفسك... هل أنت مجرد متفَرّجٍ.. لا يعنيك الأمر...وكأن العمل لهذا الدين شيء لا يخصك.. لا تبالي به.. لا يُهمك عَزَّ هذا الدين أو ذَلَّ...نُصر أو خُذل..الأمران عندك سواء...أيُّ رجل أنت من هؤلاء الثلاثة...

سل نفسك...هل أسلم على يديك كافرٌ..هل تاب على يديك عاصٍ..هل اهتدى على يديك ضالٌّ.. هل أرشدت تائهًا...هل أمرتَ بالمعروف...هل نهيتَ عن المنكر..هل تكلمتَ أو كتبتَ عن عظمة الإسلام..هل رددتَ على من أساء إلى الدين أو حَمَلتِهِ بلسانك أو بقلمك...هل أرشدتَ إلى سنة النبي ﷺ...هل وعظتَ..هل ذكَّرتَ..هل حافظَ شخص على الصلاة بدعوتك..هل صَلَحَتْ أسرة واجتمعت بعد فرقة على يديك هل وهل...هل حاولت ذلك كله أو بعضه وإن لم تكن هناك نتيجة ظاهرة فالنتيجة لست تملكها وإنما تملك الدعوة والبلاغ..ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فَجَعَلَ يَمُرُّ النبي معه الرَّجُلُ وَالنَّبِيُّ معه الرَّجُلانِ وَالنَّبِيُّ معه الرَّهْطُ وَالنَّبِيُّ ليس معه أَحَدٌ».

إن أول عمل تقدمه للإسلام هو في نفسُك ذاتُها... ببنائها وإصلاحها وتهذيبها... وإبعادها عن أن تكون عاملَ هدمٍ في المجتمع وسببَ تَنفيرٍ من الدين.. فأنت أولُ الصلاحِ وأنتَ أول الإصلاح (ونفسٍ وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها).

---

(١٦٦) سورة إبراهيم آية ١.

(١٦٧) سورة إبراهيم آية ٥.

وثاني عمل تقدمه للإسلام....تقديمُ الأسرةِ الصالحة لهذا المجتمع...أنتَ أيها الزوج تسعى لصلاح زوجتك.. والزوجة تسعى لصلاح زوجها..وأنتَ أيها الأب تسعى لصلاح أولادك..وأنتَ أيها الابن تسعى لصلاح والديك...وأنتَ أيها الأخ تسعى لصلاح إخوانك وأخواتك..وكذلك الأخت تسعى لصلاح إخوانها وأخواتها.. لا ينبغي لأحد في الأسرة أن يبقى مكتوف اليدين لا عمل له في الإصلاح..الإصلاح مهمة الجميع ..كلٌّ يسعى في الإصلاح.. (فكلكم راع وكلكم مسؤولٌ عن رعيته)...وإياك أيها الزوج أن تكونا هادما.. تأمرُ زوجَتَك بالسفور والفجور.. وتعينها على ذلك بما تجلبه لها من وسائل الدمار والفساد من الدشوش والمجلات الخالعة والكتب الهادمة..لا تكن قليل الغيرة على محارمك.. تَخرجُ زوجتُك سافرةً متجملةً متعطرةً أمام الرجال ولا تبالي...وأنت أيها الأب لا تكن عامل هدم لأسرتك تُضل أولادَك بكل وسائل الإضلال...وتُهمل هدايتهم غاية الإهمال.. وأنت أيها الأخ لا تكن مُفسِدا لإخوانك وأخواتك بأي نوع من أنواع الإفساد.

وثالث عمل تقدمه للإسلام: أن تخدم الإسلام بوظيفتك التي أنت عليها وتحسن فيها النية فكل مسلم وَلِيَ أمرًا صغيرا أو كبيرا فهو خادم للأمة المسلمة، وهو على ثغر من ثغورها فليحسن رعاية هذا الثغر وليحسن فيه النية ..

ورابع عمل تقدمه للإسلام: أن تدعوَ لهذا الدين وتبشّر به في كل مَحفل يمكنك ذلك فيه... والدعوة لهذا الدين بطريقين:

الطريق الأول: بذاتك بشخصك بسلوكك أنت...بأعمالك التي يمكن أن تكون دعوة إلى الله تعالى تجذبُ الناس إلى الخير وتُنفرُهم من الشر...بحياتك ذاتها...تجعلُهَا قرآنا يمشي على الأرض.. ونورًا يضيء للسالكين.. لا تقل لست معنيًّا بهذا هذا من عمل العلماء والدعاة.. لا تقل ذلك فهذا من أعظم الغلط...كل مسلم لا بد أن يتمثل بإسلامه.. ولا بد أن يدعوَ لدينه ما استطاع...لا تقل لا أستطيع ..حاول واجتهد وابذل كل ممكن في تحسين سلوكك وتعاملك مع كل الناس ..كلِّ الطبقات..كلِّ الفئات ..وليس هذا خاصا بالسلوك الأخلاقي بل حتى في صَلاتك في صَدقاتك في صِيامك..كن قدوة ما أمكنك... لزوجتك.. لأولادك... لجيرانك.. للمسلمين جميعا.. بل حتى للكافرين... يرون فيك إسلاما يمشي على

الأرض.. لَمَّا طبق المسلمون إسلامهم.. استجاب لهم الناس ودخلوا في دين الله أفواجا.. لما افتتح القائد المشهور قُتَيْبَةُ بنُ مسلم الباهلي رحمه الله بلاد سَمَرقند في سنة ثلاث وتسعين عَنْوَةً[١٦٨]، وقد كانوا صالحوا المسلمين قبلَ ذلك ولم يَنقضوا صُلحَهم، ولكنه رحمه الله استقل صلحهم ولم يحفل به، فزَحَفَ إليهم ولما يقاتلهم بعد، فاستعجلوا أمرَهم وأرادوا الفتكَ به والمسلمين ليلاً، فأمكنه الله منهم، فقاتلهم ودخل بلادهم بمن معه من المسلمين فاستولوا عليها.. واستمر الوضعُ على ذلك عدة سنوات حتى تولى عمرُ بنُ عبدِ العزيز-رحمه الله- الخلافةَ وأظهر العدل، وأمر برفع الظلم عن كلِّ أحد، فقال أهلُ سمرقند لأميرهم سليمان بنِ أبي السَّري: إن قتيبةَ غَدَرَ بنا وظَلَمنا وأخذَ بلادَنا، وقد أظهر الله العدل والإنصاف؛ فائذن لنا فلْيَفِدْ منا وفدٌ إلى أمير المؤمنين يشكون ظُلامَتَنا، فإن كان لنا حق أُعطيناه، فإنَّ بِنا إلى ذلك حاجة. فأَذِنَ لهم. فوجَّهوا منهم قومًا وفْدًا، فَقَدِموا على أمير المؤمنين عمرَ بنِ عبدِ العزيز، فأخبروه أن قتيبة أسكن مدينَتَهم المسلمينَ على غَدْر منه بهم.

فكتب لهم عمر إلى سليمان بن أبي السَّري: إن أهلَ سَمَرقند قد شكَوْا إلي ظُلما أصابهم، وتحامُلاً من قُتَيْبَةَ عليهم حتى أخرجهم من أرضهم، فإذا أتاك كتابي فأَجْلِسْ لهم القاضي، فلينظرْ في أمرهم، فإن قضى لهم بإخراج المسلمين فاخْرُجوا، وأخرجهم إلى مُعسكرهم كما كانوا وكنتم قبل أن يظهر عليهم قُتَيْبَةُ.

فأجلَسَ لهم سليمانُ القاضي: «جُميع بنَ حاضرِ الناجي»، فلما نظر في قضيتهم حكم أن يَخرجَ المسلمون من عرب سَمَرقند إلى معسكرهم، وينابذوهم على سواء، فيكون صلحًا جديدًا أو ظَفَرًا عَنْوَةً.

فكَرِهَ أهلُ سَمَرقندَ الحربَ، وقال أهلُ الرأي منهم: قد خالَطْنا هؤلاء القوم، وأقمْنا معهم، وأمِنُونا وأمِنَّاهُم، فإن حُكِمَ لَنَا عُدْنا إلى الحرب، ولا ندري لمن يكون الظَّفَرُ، وإن لم يكن لنا كنَّا قد اجتلَبْنا عداوةً في المنازعة، فتركوا الأمرَ على ما كان، ورضُوا ولم يُنازعوا. وقالوا: نَرضى

([١٦٨]) يعني قهرًا بالحرب والغَلَبة من غير صلح (المصباح المنير ص١٦٥، والقاموس مادة: عنو).

بما كان ولا نُجَدِّدُ حربًا، وتراضَوا بذلك، وأقَرُّوا المسلمين، فأقاموا بين أظهرهم[١٦٩]... فأصبحت سمرقند بأهلها من أعظم حواضر المسلمين.

أيها المؤمنون....إنه كلَّما تمسكنا بديننا كنا دعاة هدى، وكلما تخلينا عن إسلامنا كنا قاطعي طريق أمام كلِّ من أراد الإسلام ..كنا منفِّرين..عن أبي مَسْعُودٍ قال: قال رَجُلٌ يا رَسُولَ اللَّهِ إني لأَتَأَخَّرُ عن الصَّلاةِ في الْفَجْرِ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا فُلانٌ فيها فَغَضِبَ رسول اللَّهِ ﷺ ما رَأَيْتُهُ غَضِبَ في مَوْضِعٍ كان أَشَدَّ غَضَبًا منه يَوْمَئِذٍ ثُمَّ قال يا أَيُّهَا الناس إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ فَمَنْ أَمَّ الناس فَلْيَتَجَوَّزْ فإن خَلْفَهُ الضَّعِيفَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ متفق عليه... وعن جَابِرُ بن عبد اللَّهِ أَنَّ مُعَاذَ بن جَبَلٍ رضي الله عنه كان يُصَلِّي مع النبي ﷺ ثُمَّ يَأْتِي قَوْمَهُ فَيُصَلِّي بِهِمْ الصَّلاةَ فَقَرَأَ بِهِمْ الْبَقَرَةَ قال فَتَجَوَّزَ رَجُلٌ فَصَلَّى صَلاةً خَفِيفَةً فَبَلَغَ ذلك مُعَاذًا فقال إنه مُنَافِقٌ فَبَلَغَ ذلك الرَّجُلَ فَأَتَى النبي ﷺ فقال يا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا قَوْمٌ نَعْمَلُ بِأَيْدِينَا وَنَسْقِي بِنَوَاضِحِنَا وَإِنَّ مُعَاذًا صلى بِنَا الْبَارِحَةَ فَقَرَأَ الْبَقَرَةَ فَتَجَوَّزْتُ فَزَعَمَ أَنِّي مُنَافِقٌ فقال النبي ﷺ: يا مُعَاذُ أَفَتَّانٌ أنت ثَلاثًا، اقْرَأْ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وسبح اسْمَ رَبِّكَ الأعلى وَنَحْوَهَا.متفق عليه.

أيها المؤمن المبارَك...تعال معي لننظر إلى النبي ﷺ في هذا الموقف الحاني من سيد الناس وأعظم رجل في الدنيا مع الصبيان..يسلم عليهم ويمسح وجوههم يحببهم للدين والخير فعن جَابِرِ بن سَمُرَةَ السُّوائي[١٧٠] رضي الله عنهما قال: «صَلَّيْتُ مع رسول اللَّهِ ﷺ صَلاةَ الأُولَى، ثُمَّ خَرَجَ إلى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ معه، فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا»، قال: «وَأَمَّا أنا فَمَسَحَ خَدَّيَّ» قال: «فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أو رِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا من جُؤْنَةِ عَطَّارٍ».رواه مسلم.[١٧١] وقالَ سَيَّارُ العَنَزِيّ: كُنتُ أَمْشِي مَعَ ثَابِتٍ الْبُنَانِيّ، فَمَرَّ بِصِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عليهم، وَحَدَّثَ ثَابِتٌ أَنَّهُ كانَ يَمْشِي مَعَ أَنَسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه فَمَرَّ بِصِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عليهم،

([١٦٩]) تاريخ الطبري ٦٩/٤، والخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر ص٤٠٨- ٤٠٩، وفتوح البلدان للبلاذري ص٤١١، ومفاخر القضاء الإسلامي للهاشمي ص٦٠، وينظر في فتح سمرقند: البداية والنهاية ٨٥/٩ حوادث عام ثلاث وتسعين.

([١٧٠]) جَابِرِ بن سَمُرَةَ بن جُنادة السُّوائي، هو وأبوه صحابيان رضي الله عنهما، مات بالكوفة سنة (٧٠هـ). التقريب ص١٣٦.

([١٧١]) رواه مسلم في كتاب الفضائل، بَاب طِيبِ رَائِحَةِ النبي ﷺ وَلِينِ مَسِّهِ وَالتَّبَرُّكِ بِمَسْحِهِ ١٨١٤/٤(٢٣٢٩).

وَحَدَّثَ أَنَسٌ ﷺ: «أَنَّهُ كَانَ يَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَرَّ بِصِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ».متفق عليه(١٧٢).

وأما الطريق الثاني: للدعوة إلى هذا الدين فبلسانك وقلمك وجهدك ومالك.. تكلم عن عظمة الإسلام.. أرشد الناس إلى ما فيه نجاتهم.. أنقِذْ مَن استطعت من النار.. أنقِذْ من استطعت من الضلالة والغواية.. ما أكثرَ الناس اليوم الذين هم بعيدون عن الخير ..فما موقفك منهم.. ماذا قدَّمتَ لهم لتنقذهم مما هم فيه.. قد يكون منهم قريبك.. أو صديقُك...ما الجهد الذي بذلته للدعوة إلى الله وهي واجبة على عموم المسلمين وأنت منهم..أيّ مالٍ قدمته لهذا الدين تدعو به إلى الله تعالى..لعل منا من يكون أعظم همه أن يصرف ماله في اللهو واللعب..وينسى أن يصرف منه شيئا يقدمه للدين والدعوة إلى رب العالمين..تأمل في حالك.. ثم صحح ما قد تكون عليه من الخطأ..لا تنفِّرِ الناس من دين الله تعالى بل بشرهم بالدين وما فيه من الخير والسعادة والرضا والأنس.. فعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «يَسِّروا ولا تُعسِّروا، وبشِّروا ولا تُنفِّروا».متفق عليه.(١٧٣) وعن أبي موسى ﷺ أن النبي ﷺ لما بعثَه ومعاذًا إلى اليمن قال لهما: «يسِّرا ولا تعسِّرا، وبشِّرا ولا تُنفِّرا، وتَطاوعا ولا تَخْتلفَا».متفق عليه(١٧٤)، وفي رواية لمسلم عنه ﷺ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا بعَثَ أحدًا من أصحابِهِ في بعضِ أمره قال: «بشِّروا ولا تُنفِّروا، ويَسِّروا ولا تُعسِّروا».(١٧٥)

أقول ما تسمعون واستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين..

---

(١٧٢) رواه البخاري في كتاب الاستئذان، بَاب التَّسْلِيمِ على الصِّبْيَانِ ٥/٢٣٠٦(٥٨٩٣)، ومسلم في كتاب السلام، بَاب اسْتِحْبَابِ السَّلَامِ على الصِّبْيَانِ ٤/١٧٠٨(٢١٦٨)، وهذا لفظه، وليس في البخاري ذكر سلام ثابت البناني.

(١٧٣)رواه البخاري في كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ١/٣٨ (٦٩)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير (١٧٣٤).

(١٧٤)رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب ٣/١١٠٤ (٢٨٧٣)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير ٣/١٣٥٩ (١٧٣٣).

(١٧٥) رواه مسلم في كتاب الجهاد والسير باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير (١٧٣٢).

الخطبة الثانية

الحمد لله .. أما بعد:

أيها المؤمن ..إن من أعظم ما تقدمه للإسلام: أن تجتهد في تسخير وقتك لخدمة هذا الدين من دعوة وإصلاح ودفاع عنه ونشر له بكل ممكن ... ماذا عملت لتتعلم دينك.. وتتعرف على أحكامه.. وعلى لطائفه وأسراره.. وتغترف من كنوزه.. إن كثيرا منا جعلوا حياتهم مسخرة للهو واللعب.. وقراءة القصص الخيالية.. والجرائد الفارغة التي أضاعوا فيها أكثر أوقاتهم ... ولم يجعلوا من وقتهم شيئا أبدا لدينهم..لم يحاولوا أبدا النظر فيه من أي جانب من جوانبه... ولا يحاولون القراءة في كتبه.. بل حتى القرآن قد لا يكون له نصيب من أوقاتهم.. لماذا كلُّ هذا الصدود.. لماذا كلُّ هذا الإعراض..أليس هذا ديننا.. أليس ينبغي أن يكون له جلُّ وقتنا وجلُّ حياتنا (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العلمين)..لماذا ترضى أيها المسلم المبارك أن تكون جاهلا بدينك لا تعرف منه كبير شيء.. معرِضًا عن تعلمه وتعليمه.. وهو دينك الذي تعتز به.. معلوماتك عنه باهتة..قديمة...لا ترضى أن تجددها.. ولا أن تطورها.. ولا أن تحسِّنها..دينك هو حياتك.. دينك هو سعادتك..فلماذا كلُّ هذا البعد..فكِّر جيدا في هذه القضية الجليلة.. ماذا جعلت من حياتك ووقتك لتعلُّم دينك بكل وسيلة ممكنة من وسائل التعلم.. إن كثيرا من المثقفين تجدهم مثقفين في كل شيء إلا في الدِّين.. بل بعضهم إذا تثقف في دينه أخذ معلوماتِ دينه عن أعدائه..ونظر بمنظارهم ولبس لَبوسهم.. فمن هنا خرج علينا هؤلاء المثقفون الذين يَتَسَمَّوْنَ بأسمائنا ومن بني جلدتنا ولكن ألسنتَهم وكتاباتِهم.. غَرْبيةٌ...غَرِيبةٌ.. أجنبيةٌ...بغيضةٌ...مفاهيمُ مغلوطة.. ورؤى سلبية.. تقطر كراهية وسوءًا وحِقدًا على كل ما يَمُتُّ لهذا الدين بِصِلَةٍ..طعنٌ في المسلَّمات..تشكيكٌ وشبهات.. حتى أصبحوا أداة بيد الأعداء، ومِعول هدم من الداخل.

ما أجمل وأروعَ أن ترى شبابًا يحرصون على التمسك بدينهم في زمنٍ كثرت فيه الفتن.. بل إنهم يُمْسِكون بقوة مشاعلَ الهداية بأيديهم، يسيرون بها في جميع الدروب..يُضيئون الطرقات

للسالكين.. يَدْعُون مَن ضلَّ إلى الهدى، ويثبّتون مَن اهتدى..ويصبرون على الأذى، يُحيونَ بكتاب الله الموتى، ويُبَصِّرون بنور الله أهلَ العَمَى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم مِن ضال تائه قد هدوه.. يجادلون مَن زاغ..ويناظرون مَن انحرف...كلُّ همِّهم أن يعود الناس لهذا الدين....وأن يتركوا الظلماتِ ليعيشوا في النور ...ويُبْصِروا بعد العَمَى..

وما أكثر ما تتألم لَمَّا ترى في المقابل شبابا قد مُسخوا أعظم المسخ .. فلا هم يفكرون في الدِّين ولا هم يهتمون به..أسماؤهم فقط هي التي تذكرك بدينهم...أما أعمالهم فلا.. وأما كلامهم فلا.. أما لباسهم فلا..أما أفكارهم فأبعد ما تكون عن الدين.. يفكرون في كل عمل رديء.. يتناقشون في كل أمر سوء.. يفكرون كيف يصلون إلى الباطل..لا هَمَّ لهم إلا الفساد..ولا تفكير عندهم إلا في أسباب السوء..فكلُّ همِّهم باطل في باطل، وضلال وإضلال .... فشتان شتان بين هاتين الصورتين.. (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ) [١٧٦]

اللهم إنا نسألك أن تجعلنا من المهتدين... اللهم اجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشر.. اللهم أصلحنا وأصلح بنا ..واهدنا واهد بنا....

([١٧٦]) سورة الرعد آية ١٦ .

الخطبة الثالثة عشرة : استشعار نِعم الله تعال

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)،(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)،(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)، أما بعد:

عباد الله.... كان رسول اللَّهِ ﷺ إذا صلى [يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ أَيَّامَ حُنَيْنٍ بشيء لم يَكُنْ يَفْعَلُهُ قبل ذلك] قال صُهَيْبٍ ﷺ: كان يهمس شَيْئاً لاَ نَفْهَمُهُ وَلاَ يُحَدِّثُنَا بِهِ... فقال رسول اللَّهِ ﷺ فَطِنْتُمْ لي قال قَائِلٌ نعم قال فإني قد ذَكَرْتُ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ أُعْطِيَ جُنُوداً من قَوْمِهِ [أُعجِب بأمته]فقال: مَن يُكَافِئُ هَؤُلاَءِ أو من يَقُومُ لِهَؤُلاَءِ؟! قال: فَأَوْحَى الله إليه اخْتَرْ لِقَوْمِكَ بين إِحْدَى ثَلاَثٍ إما أن أُسَلِّطَ عليهم عَدُوًّا من غَيْرِهِمْ أَوِ الْجُوعَ أَوِ الْمَوْتَ قال فَاسْتَشَارَ قَوْمَهُ في ذلك فَقَالُوا أنت نبي اللَّهِ نَكِلُ ذلك إِلَيْكَ فَخِرْ لنا قال: فَقَامَ إلى صَلاَتِهِ قال وَكانُوا يَفْزَعُونَ إذا فَزِعُوا إلى الصَّلاَةِ قال فَصَلَّى قال أَمَّا عَدُوٌّ من غَيْرِهِمْ فَلاَ أَوِ الْجُوعُ فَلاَ وَلَكِنِ الْمَوْتُ قال فَسُلِّطَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ فَمَاتَ منهم سَبْعُونَ أَلْفاً، فَهَمْسِي الذي تَرَوْنَ أني أَقُولُ: اللهم يا رَبِّ بِكَ أُقَاتِلُ، وَبِكَ أُصَاوِلُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ الا بِاللَّهِ.رواه أحمد وغيره.(١٧٧)

إنه ﷺ يستشعر نعمة الله تعالى عليه... ويلهج بالثناء عليه والتخلي عن الحول والقوة إلا به...(اللهم يا رَبِّ بِكَ أُقَاتِلُ، وَبِكَ أُصَاوِلُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ الا بِاللَّهِ).

---

(١٧٧) رواه أحمد ٣٣٣،٣٣٢/٤، والنسائي في الكبرى ١٥٧/٦(١٠٤٥٠)، وصححه الضياء في الأحاديث المختارة ٥٩/٨، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٠٦١).

عباد الله... يتكرر في كلام ربنا في كتابه الكريم.... (وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ)....حيث يأمرنا ربنا جل في علاه أن نتذكر نعمه علينا وأن نستشعرها ... وأن نشكرها ولا نكفرها....{وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ }المائدة٧

{وَلاَ تَتَّخِذُوَاْ آيَاتِ اللهِ هُزُواً وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُواْ اللهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }البقرة٢٣١

لقد أخبر الله تعالى عن أنبيائه عليهم السلام أنهم يتذكرون نعم الله عليهم ويستشعرونها في حينها... فقال تعالى عن موسى عليه السلام.... {قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ }القصص١٧

وقال عن سليمان عليه السلام {فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ }النمل١٩

عباد الله.... أعظم نعمة نعمة الهداية.. نعمة الإسلام ..نعمة أن جعلنا من أمة محمد ﷺ الذي أكمل الله به الدين وأتم به النعمة ... (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن فلا حلال إلا ما أحله ولا حرام إلا ماحرمه ولا دين إلا ما شرعه.([١٧٨])

من أعظم نعم الله علينا أن أنقذنا الله من الشرك وعافانا من البدع... كان الإمام الجليل أبو العالية الرياحي رحمه الله يقول: قد أنعم الله عليَّ نعمتين لا أدري أيتهما أفضل: أن هداني الله

([١٧٨]) تفسير ابن كثير ١٣/٢.

للإسلام وأنقذني من الشرك، ثم عافاني أن أكون من أهل هذه البدع.. وفي رواية: لم يجعلني حروريا، يعني: من الخوارج.[١٧٩]

ولما تفكَّر الإمام الكبير والتابعي الجليل أيوبُ بنُ أبي تميمةَ السّختياني رحمه الله في نفسه، وفي نعمة الإسلام التي يَنعم بها...وَضَعَ يده على رأسه، وقال: الحمد لله الذي عافاني من الشرك..ليس بيني وبينه إلا أبو تميمة (يعني والدَه، وهو أول من أسلم من أهله، وجدُّه كان كافرا).[١٨٠]

أيها المؤمنون... مِن أعظم نعم الله علينا نعمة المحافظة على الصلاة.... والمحافظة عليها مع الجماعة في المساجد... وهي من أعظم الهداية.. فكم من غافل لا يعرف الصلاة.. وإذا صلّى...صلّى كما يفعل أهل الكسل أو أهل النفاق.. {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً }النساء١٤٢.. { وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ }التوبة٥٤

أيها المؤمنون... من أعظم نعم الله علينا نعمة اللسان والبيان.. (الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان)... نعمة الزواج والأولاد.. وهي نعمة عظيمة منّ الله بها على عباده ذكورِهم وإناثِهم أحله لهم، بل أمرهم ورغبهم فيه، قال تعالى: (وَمِنْ ءايَـٰتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجاً لّتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَلِكَ لاَيَـٰتٍ لّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [الروم:٢١].

عباد الله.... هذا أبو الدرداء ﷺ يعلمنا أن نستشعر نعمةً عظيمة من النعم لطالما غفلنا عنها فما هي؟ دعونا نستمع إليه ﷺ وهو يقول: «كَمْ مِنْ نِعمَةٍ للهِ تَعالَى في عِرْقٍ سَاكِنٍ»[١٨١].... لا إله إلا الله.. واللع أكبر... إنها الملايين من العروق الساكنة في بدن

---

(١٧٩) تأريخ مدينة دمشق ١٧٩/١٨.

(١٨٠) مسند ابن الجعد ص١٨٨(١٢٢٣)، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٨.

(١٨١) حلية الأولياء ٢١٠/١.

الإنسان.. لو آذاك منها واحد لما نمت الليل ولا النهار... «فكَمْ مِنْ نِعمَةٍ للهِ تَعالَى في عِرْقٍ سَاكِنٍ»... ألا ينبغي لنا أن نستشعر نِعم الله علينا...

ما أكثرَ نعم الله علينا مما نعرفه وما لا نعرفه.. {وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ }إبراهيم٣٤

عباد الله....ومن أعظم النعم التي ينبغي استشعارها...نعمة تقليب الفصول ... الصيف والشتاء...وتقليب الليل والنهار... {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً }الفرقان٦٢

أيها المؤمن.... استشعر نعم الله .. وتفكَّر فيها.. وتأمَّل في حالك وأنت تتنعم بها.. يملؤك ذلك إيمانا وتقوى... ويقودك إلى شكر الله تعالى على نعمه العظيمة...

إذا لم يمكنك استشعار نعم الله... ولم تُدرك كيف تستشعِرُها...فالتفت...التفت حولك وانظر...انظر إلى بعض النعم التي فقدها الناس.... انظر إلى المشرك كيف فقد نعمة الهداية...انظره يسجد للبقرة...يدعو الأوثان... يذبح للأموات... ثم احمد الله على الهداية... واستشعر ما أنت فيه...انظر إلى الذي تمرُّ عليه الأيام والشهور ... لا يصلي...وأنت تحافظ على الصلاة في بيوت الله... هنا تعلم يقينا أن الله هداك وأضله...أعطاك وحَرَمه... فاحمد الله على نعمة الهداية.... انظر إلى أصحاب المعاصي والفجور... أصحاب العقوق... أصحاب الخمور والمخدِّرات...الذين يركَبون الأجواء من أجل الزنا والفواحش...واحمد الله إذ نجّاك من هذا البلاء المبين....ثم انظر إلى كل مَن فقد نعمة مِن النعم وهي عندك... هنا سوف تستشعر نعمة الله عليك... وسوف يمتلئ قلبك بالثناء على الله وحمده وشكره...وقد نبهَنا رسولُ الله ﷺ على هذا الأصل الكبير فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «انْظُرُوا إلى مَن أَسْفَلَ مِنْكُمْ، ولا تَنْظُرُوا إلى مَن هو فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ».متفق عليه وهذا لفظ مسلم.(١٨٢)

(١٨٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، بَاب لِيَنْظُرْ إلى من هو أَسْفَلَ منه ولا يَنْظُرْ إلى من هو فَوْقَهُ ٥/٢٣٨٠(٦١٢٥)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق ٤/٢٢٧٥(٢٩٦٣)، وهذا لفظه.

أيها المؤمن.... مهما ذهب عنك مِن النعم فما أبقى الله لك أكثر.. لا يحصى.. وهذه لفتة جليلة من إمام جليل من أئمة التابعين إنه الإمام بكر بن عبد الله المزني يقول رحمه الله: «يا ابن آدم... إن أردت أن تعلَمَ قدر ما أنعم الله عليك فغَمِّضْ عَيْنيكَ».[١٨٣] نعم... غَمِّضْ عَيْنيكَ وامشِ...سوف ترى أنك تتخبط في مِشيتك، غَمِّضْ عَيْنيكَ...فلن ترى ما تحب، غَمِّضْ عَيْنيكَ...سوف ترى حولك الظُّلماتِ.. حينها تعرف قدر نِعمةٍ واحدة مِن نعم الله عليك.. نعمة البصر التي لم تكن تستَشعرَها وهي معك منذ أوجدك الله على هذه الأرض ...

أيها المؤمن.... اسمع إلى الله تعالى وهو يمتن علينا بعد أن لم نَكُ شيئا... {هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً.إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً }الإنسان١-٢... (سبح اسم ربك الأعلى. الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى).

واستمع إليه وهو يذكِّرنا ببعض نعمه لننظر إليها فنشكره ونعرف حقه.... (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت. وإلى السماء كيف رفعت. إلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت).. كل ذلك حتى نستشعر نعم الله.... كان الإمام المحدث الجليل شيخ الإمام البخاري محاربُ بن دِثَار رحمه الله يقوم بالليل ويرفع صوته أحيانا: أنا الصغير الذي ربَّيته فلك الحمد...وأنا الضعيف الذي قوَّيته فلك الحمد...وأنا الفقير الذي أغنيته فلك الحمد...وأنا الصعلوك الذي موَّلته فلك الحمد...وأنا العَزَبُ الذي زوَّجته فلك الحمد...وأنا الساغب الذي أشبعتَه فلك الحمد...وأنا العاري الذي كسوتَه فلك الحمد...وأنا المسافر الذي صاحبتَه فلك الحمد...وأنا الغائب الذي رَدَدته فلك الحمد ...وأنا الراجل الذي حمَلتَه فلك الحمد...وأنا المريض الذي شفيتَه فلك الحمد...وأنا السائل الذي أعطيتَه فلك الحمد...وأنا الداعي الذي أجبتَه فلك الحمد...ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا. [١٨٤]

([١٨٣]) الشكر لابن أبي الدنيا ص٦٢، وشعب الإيمان ١١٢/٤، وجامع العلوم والحكم ص٢٤٣.

([١٨٤]) عدة الصابرين ص١١٩- ١٢٠ وعزاه لابن أبي الدنيا.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ }فاطر٣

أقول ما تسمعون وأسأل الله تعالى أن يغفر لي ولكم ولجميع المسلمين إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ، أما بعد:

عن جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الرَّحْمَنِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا فَسَكَتُوا، فَقَالَ: «لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى الجِنِّ لَيْلَةَ الجِنِّ فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ، كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ: (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) [الرحمن: ١٣] قَالُوا: لا بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ، فَلَكَ الحَمْدُ».رواه الترمذي وغيره.(١٨٥)

عباد الله.... اعلموا أن رؤوس النعم ثلاث.. يخبرنا عنها الإمام الجليل والتابعي الكبير وهب بن منبه رحمه الله فيقول: رؤوس النعم ثلاثة: فأولها: نعمة الإسلام التي لا تتم نعمه إلا بها، والثانية: نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها، والثالثة: نعمة الغنى التي لا يتم العيش إلا به.(١٨٦) وليس المراد بالغنى التجارة.. إنما المراد الغنى بمعناه العام... الغنى بالنفس عما عند الناس.. والغنى عن الحاجة إلى الناس.

---

(١٨٥) أخرجه الترمذي في أبواب تفسير القرآن، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الرَّحْمَنِ ٣٩٩/٥(٣٢٩١)، وقال: حَدِيثٌ غَرِيبٌ، ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٥١٥/٢، والبيهقي في شعب الإيمان ١١٥/٤(٢٢٦٤)، وإسناده ضعيف، وله شاهد من حديث ابن عمر رواه الطبري في تفسيره ٢٣/٢٢، والبزار في مسنده البحر الزخار ١٩٠/١٢، وبه حسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢١٥٠)، وقال السيوطي عن حديث ابن عمر: إسناده صحيح. (الدر المنثور ٦٩٠/٧).

(١٨٦) الشكر لابن أبي الدنيا ص٥٩(١٧٢)، وعدة الصابرين ص١١٧.

وهذا التابعي الجليل خالد بن مَعدان رحمه الله تعالى يعلمنا استشعار نعم الله ما أمكننا في الصغير والكبير فيقول رحمه الله: ما أحدث الله تعالى لي نعمة قط إلا أحدثت له بها شكرا؛ حتى إن الرجل ليسلِّم عليَّ أو يوسع لي في المجلس، فأُومئ بالسجود لله شكرا.(١٨٧)

فيه تربية النفس على أمرين :

الأول: استشعار النعمة حتى اليسيرة التي قد لا يستشعرها كثير من الناس.

الثاني: تربية النفس على الشكر وتعويدها عليه حتى تعتاده ولا تنساه في الصغير والكبير، فانظره في أمر صغير، وعند الناس وانشغاله بهم يفعل هذا.

من شكر نعمة الله الحديث عنها لمن تحب.... حدِّث الناس بنعمة الله..... (وأما بنعمة ربك فحدث)... حدِّث من تحب... حتى في الرؤيا الصالحة... ولا يحدِّث بها إلى من يحب ... قال الإمام أبو قلابة يزيد الرقاشي رحمه الله: ألا تحمد مَن تُعطيه فانيًا فيعطيك باقيًا، درهم يفنى بعشرة تبقى، إلى سبعمئة ضعف، أما لله عندك مكافأة، مُطعِمك ومُسقِيك وكافيك، حفظك في ليلك، وأجابك في ضرَّائك، كأنك نسيت وَجَعَ الأذن، أو ليلةَ وجَعِ العين، أو خوفًا في بَرٍّ، أو خوفًا في بحر، دعوتَه فاستجابَ لك. (١٨٨)

يلخِّص الغزالي رحمه الله أنواع النِّعم فيقول: النِّعم قسمان: دنيوية ودينية، فالأولى ضربان: **نعمة نفع، ونعمة دفع.**

فنعمة النفع الخلقة السوية والملاذ الشهية، ونعمة الدفع سلامة النفس من آفاتها الذاتية ووقايتها من المؤذيات الخارجية .... والثانية ضربان نعمة توفيق ونعمة عصمة فنعمة التوفيق للإسلام أولا ثم للسنة ثم للطاعة ونعمة العصمة عن الكفر أولا ثم عن البدعة ثم عن سائر

---

(١٨٧) بغية الطلب في تاريخ حلب ٣١٠٨/٧ .

(١٨٨) حلية الأولياء ٥١/٣ .

المعاصي ...قال: وتفصيل ذلك لا يحصيه إلا المنعم به سبحانه كما قال: (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها). ([١٨٩])

(وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) آل عمران١٠٣

عباد الله....اتقوا الله تعالى حقَّ التقوى، واستمسِكوا من الإسلام بالعُروة الوُثقَى، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَق تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُن إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)، واعلموا أن من اتَّقى الله وقاه، وكفاه وأسعدَه وآواه.

وتقوى الله خيرُ الزاد ذُخرًا*****وعند الله للأتقَى مزيدٌ

اتقوا الله تعالى واعلموا أنكم غدا بين يدي الله موقوفون وبأعمالكم مجزيون وعلى كسبكم محاسبون، وأن المصير إما إلى جنة المأوى وإما إلى نار تلظى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ).... اللهم.....

([١٨٩]) نقله عنه في بدائع السلك ١/٥٤٤-٥٤٥.

الخطبة الرابعة عشرة : القرآن معجزة النبي ﷺ الخالدة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا) (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما)... أما بعد:

عباد الله.... بينما كان ذلك الشاب الأوربي يتابع أحد البرامج الإعلامية على الشاشة الصغيرة؛ لفت انتباهه مقابلةٌ تلفزيونية يجريها أحد الإعلاميين مع ثلاثة من علماء ورواد الفضاء الأمريكيين، والمذيع يجادلهم حول الإنفاق على تجارب الصعود إلى القمر والملايين المهدرة في الإنفاق عليه، يقول لهم: أي سفَهٍ هذا؟! مئات الملايين من أجل أن تضعوا العَلَمَ الأمريكي على سطح القمر؟! فقال له الرواد الثلاثة: لم يكن هذا هو الهدف، لقد كنا ندرس التركيب الداخلي لسطح القمر، لقد وجدنا حقيقة لو أنفقنا فيها أضعاف هذه الملايين لإقناع الناس بها ما صدَّقَنا أحد!

فقال: وما هذه الحقيقة؟ قالوا: هذا القمر قد انشق في يوم من الأيام ثم التحم! قال: كيف علمتم ذلك؟ قالوا: وجدنا حِزامًا من الصخور المتحولة يقطع القمر مِن سطحه إلى جوفه، فاستشرنا علماء الأرض علماءَ الجيولوجيا، فقالوا: لا يمكن أن يكون هذا قد حدث إلا إذا انشق القمر ثم التحم، وهنا يقفز الشاب الأوربي من على كرسيِّهِ وهو يصيح: معجزةٌ تحدثُ لمحمد ﷺ قبل ١٤٠٠ سنة يسخِّرُ الله الأمريكيين لينفقوا مئات الملايين لإثباتها...إذًا هذا الدينُ الإسلاميُّ حقٌّ.

وتذكَّر الشاب البريطاني ذلك الكتاب الذي أهداه له أحد الشباب المسلم فيه ترجمة للقرآن الكريم وكان أول ما قرأ فيه تفسير قوله تعالى: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ)[١٩٠]، قال: فقلت هل يعقل هذا الكلام؟ ينشق القمر ويلتحم، هذه خرافة، فصدَّه ذلك عن قراءة الكتاب وعن الدخول في الإسلام، وها هو الآن يسمع إثبات ذلك مادِّيًا وعيانا فيقوده ذلك ليعلن: (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله)، وليصبح بعد ذلك داعيا إلى الله تعالى في بلده، بل إنه رئيسٌ لأحد المراكز الإسلامية في بريطانيا.[١٩١]

فنستمع إلى أصل هذه المعجزة المتجدِّدَةِ التي سجلها الله تعالى في كتابه الكريم الذي (لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)[١٩٢] يحدثنا عن ذلك الصحابيُّ الكبير والإمام الجليل المحدث الفقيه عبد الله بن مَسْعُودٍ ﷺ فيقول: انْشَقَّ الْقَمَرُ على عَهْدِ رسول اللَّهِ ﷺ فِرْقَتَيْنِ فِرْقَةً فَوْقَ الْجَبَلِ وَفِرْقَةً دُونَهُ فقال رسول اللَّهِ ﷺ: اشْهَدُوا. رواه البخاري ومسلم، ويقول أَنَسٌ ﷺ : سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمْ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ.رواه البخاري ومسلم.

عباد الله... لو سأل سائل عن معجزات نبي الله موسى لقيل له: لقد أعطي من الآيات ما رآه قومه في زمانه فآمن من آمن وكفر من كفر. أعطي العصا وغيرها من المعجزات، وأعطي عيسى عليه السلام معجزة إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وغيرها من الآيات الدالة على نبوته ﷺ، ولكن لو قيل اليوم للنصراني أو اليهودي: أين معجزة نبيكم نريد أن نراها اليوم لكان جوابهم: ليس لكم إلا السماع بها ولا يمكن أن تروها ، لقد انتهت المعجزة منذ مئات أو آلاف السنين، ولكن لو سئل المسلم اليوم عن معجزة النبي ﷺ الكبرى لأمكنه أن يقول هذه هي معجزته وهذه هي آيته الكبرى إنه القرآن الكريم ... (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ. لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)[١٩٣]، وهذا مصداق ما أخبر

---

(١٩٠) سورة القمر آية١.

(١٩١) ينظر: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، لقاء مع الدكتور زغلول النجار ، تقديم أحمد فراج، الجزء الثاني ص٥١-٥٢، وقد حدثه بهذه القصة صاحبها البريطاني المسلم.

(١٩٢) سورة فصلت آية ٤٢.

(١٩٣) سورة فصلت الآيتان ٤١-٤٢.

به النبي ﷺ كما في حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ما من الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إلا أُعْطِيَ ما مِثْلهُ آمَنَ عليه الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كان الذي أوتيته وَحْيًا أَوْحَاهُ الله إلي، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يوم الْقِيَامَةِ».(١٩٤)

ومصداق قوله تعالى: (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ **لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ** أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ) (١٩٥).

وما هذا إلا لأن دين محمد ﷺ باق إلى يوم القيامة وهو حجة على الناس أجمعين، ولا تزال هذه الآية الكبرى يؤمن بسببها الملايين من الناس، على تنوع عظيم في إعجاز هذا الكتاب الكريم.... فهذا إعجازه اللغوي البياني الذي لا يزال مفعوله العظيم وأثره إلى يومنا هذا وإن كان قد قل أثره بسبب بعد الناس عن الفصاحة لكن لا يزال أثره كبيرا ومؤثرا حتى على بعض العجم حيث يتذوقون حلاوته ويتأثرون به مع عدم فهمهم لشيء من معانيه العظيمة.

وهذا إعجازه في الشفاء لا زال مؤثرا على كثير من الناس: (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً) (١٩٦).

يا أهل القرآن..... إن من أنواع إعجاز هذا الكتاب الكريم: الإخبارُ بكثير من العلوم التي سبق بها علماء الأرض في الطب وخلق الإنسان وفي الفلك والأكوان، وفي غير هذا ، يقول الله تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ{٥٢} سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ{٥٣} أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاء رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ{٥٤}.(١٩٧)

---

(١٩٤)رواه البخاري في كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَاب كَيْفَ نزول الْوَحْيُ وَأَوَّلُ ما نَزَلَ ٤/١٩٠٥(٤٦٩٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، بَاب وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ إلى جَمِيعِ الناس وَنَسْخِ الْمِلَلِ بِمِلَّتِهِ ١/١٣٤(١٥٢).

(١٩٥) سورة الأنعام آية ١٩.

(١٩٦) سورة الإسراء آية ٨٢.

(١٩٧) سورة فصلت الآيات ٥٢-٥٤.

في أحد المؤتمرات الإسلامية حول الإعجاز العلمي في القرآن والسنة يقوم أحد كبار العلماء الأوربيين رئيس جمعية علماء النفس في بريطانيا ورئيس قسم الكهرباء في جامعة سيتي بندن ... يقوم قائلا أمام علماء المسلمين: (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله)، أنا لم أعرف الإسلام معرفة حقيقية إلا هذا الأسبوع، أسبوع المؤتمر، ما كنت أتصور أن في الإسلام كلَّ هذا الإعجاز وهذه الحقائق وهذه الأنوار، إن هذا يشهد لي أن هذا الكتاب من عند الله وأن محمدا رسول الله ﷺ . (١٩٨)

ومن أنواع إعجاز القرآن ما أخبر به من الشفاء في عسل النحل (ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ). (١٩٩)

فالعسل شفاء من أمراض كثيرة بل له أثر في عامة الأمراض، وبخاصة مع الحبة السوداء، فالعسل قاتل للجراثيم، ويمنع نمو البكتريا بل يؤدي إلى قتلها فورا، وهو مضادٌّ للعفونة فيمكن أن يبقى آلاف السنين دون أن يصيبه أيُّ تلفٍ أو فسادٍ إذا أُحسِن تخزينه فهو لا يَفسُدُ حتى لو تعرض لكل أنواع الميكروبات، وفي تجاربَ مُخْتَبَرِيَّة متعددة مِن علماءَ مصريين، وفي جامعات غربية متعددة في كُولُو رَادُو وواشنطن وكندا وغيرها أُحضرت أنواعٌ الميكروبات المسببةِ للأمراض (مثل: التيفود، والدوزنطاريا، والسِّلّ) وزُرعت في عسل النحل، فوُجد أنها ماتت جميعا، منها ما هلك خلال خمس ساعات، ومنها ما بقي عشرَ ساعات، ومنها ما هلك خلال أربع وعشرين ساعة، وأعلاها مقاومة بقي لمدة أربعة أيام فقط...حقًّا إن العسل كما قيل: (مقبرةٌ حقيقيةٌ للميكروبات).... كما إن العسل سبب في التئام الجروح المستعصية، واندمال الحروق، وللشفاء من أمراض كثيرة بإذن الله تعالى.(٢٠٠)

يا أهل القرآن ... ومن إعجاز القرآن الكريم ما أخبر الله تعالى به من أن مراكز الإحساس وغيره تتركز في الجلد، وذلك في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا

---

(١٩٨) ينظر: الزنداني وعلماء اليمن ص٧٣٩.

(١٩٩) سورة النحل آية ٦٩.

(٢٠٠) ينظر: موسوعة الشفاء بالعسل، لحسن زكي الصواف ص٥٢، ٥٧، ٦٥.

نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً) [٢٠١]،
لقد كان المعتقد أن الإحساس من صفات الجسد بكل أجزائه وأنه متساو في درجة إحساسه بالأشياء، لكن علم التشريح الحديث جاء بحقيقة جديدة كان الناس يجهلونها هي: أن مراكز الإحساس وغيره إنما تتركز بالجلد بكمية كبيرة، حتى أن الإنسان لا يشعر بألم وخز الإبرة إذا أدخلت في جسمه إلا عند دخولها منطقة الجلد فقط، والقرآن الكريم يذكر هذه الحقيقة قبل علماء التشريح في القرن العشرين.
أي أن الإحساس بالألم والعذاب يتركز في جلودهم فإذا نضجت استراحوا من عذاب النار، لكن العليم الخبير بخلقه يعلم ذلك ويخبرنا به قبل أن نعرفه، ويقول أنه سيبدلهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب.
فهل كان لمحمد ﷺ أجهزة تشريحية خاصة به من دون الناس؟! أم أن هذه آية من آيات صدق نبوته ﷺ.[٢٠٢]

ووقف البروفيسور (تاجانات تاجاسون) [٢٠٣]بعد استماعه ومناقشاته لمحاضرات الشيخ (عبد المجيد الزنداني) وهو يقول: في السنوات الثلاث الأخيرة أصبحت مهتمًّا بالقرآن الكريم الذي أعطاه لي الشيخ (عبد المجيد الزنداني) أثناء محاضراته عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وفي السنة الماضية اطلعت على محاضرات البروفيسور (كيث مور) [٢٠٤] والشيخ الزنداني الذي طلب مني ترجمتها إلى (اللغة التايلاندية)، وإني أؤمن أن كل شيء ذكر في القرآن منذ ١٤٠٠ سنة لا بد وأن يكون صحيحا ويمكن إثباته بالوسائل العلمية، وحيث أن محمدًا ﷺ لم يكن يقرأ أو يكتب فلا بد أنه جاء بهذا الدين من الله، وتلقاه بواسطة الوحي من الخالق العليم، ولذا فإني أعتقد أنه قد حان الوقت لكي أشهد أن (لا إله إلا الله وأن محمدا رسول

([٢٠١]) سورة النساء آية ٥٦.
([٢٠٢]) كتاب التوحيد للشيخ عبد المجيد الزنداني ٦٦/١.
([٢٠٣]) هو أحد أكبر علماء (تايلاند) والعالم، وعميد كلية الطب في جامعة (شان ماي)
([٢٠٤]) الدكتور كيث مور هو أستاذ علم التشريح والأجنة في جامعة (تورنتوا) بكندا، وهو أحد أكبر علماء كندا والعالم.

الله)، إن أثمن شيء اكتسبته هو اعتناق هذه العقيدة، ولقد أصبحت مسلما والحمد لله. [٢٠٥]

قال يحيى بن أكثم رحمه الله تعالى[٢٠٦]: كان للمأمون وهو أمير إذ ذاك مجلس نظر، فدخل في مجلسهِ رجلٌ يهودي حسن الثوب حسن الوجه طيب الرائحة، قال: فتكلم فأحسن الكلام، قال: فلما أن تقوَّض المجلس دعاه المأمون فقال له: إسرائيلي؟ قال: نعم. قال له: أسلِم حتى افعل بك وأصنع، ووعده، فقال: ديني ودين آبائي، فانصرف.

فلما كان بعد سنةٍ جاءنا مسلمًا، قال: فتكلم على الفقه فأحسن الكلام، فلما أن تقوَّض المجلس دعاه المأمون فقال له: ألست صاحبَنا بالأمس؟ قال له: بلى. قال: فما كان سبب إسلامك؟

قال: انصرفت مِن حضرتك فأحببت أن أمتحن هذه الأديان، وأنا مع ما تراني حَسَنُ الخطِّ، فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ، فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الكنيسة فاشتُريت مني.

وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ، فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها البيعة فاشتُريت مني.

وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ وزدت فيها ونقصت، وأدخلتها إلى الوراقين فتصفحوها فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رمَوا بها فلم يشتروها، فعلمت أن هذا كتاب محفوظ، فكان هذا سبب إسلامي

قال يحيى بن أكثم: فحَجَجْتُ في تلك السنة فلقيت سفيانَ بنَ عيينة فذكرت له الحديث، فقال لي: مصداق هذا في كتاب الله عز وجل، قال: قلت: في أي موضع؟ قال: في قول الله عز وجل في التوراة والإنجيل: (بما استحفظوا من كتاب الله)، فجعل حِفظهُ إليهم فضاع، وقال عز وجل: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)، فحفظه الله عز وجل علينا فلم يضِعْ.[٢٠٧]

([٢٠٥])من كتاب (الزنداني وعلماء اليمن) ص٤٩٧.

([٢٠٦]) يحيى بن أكثم التميمي المروزي القاضي المشهور، فقيه صدوق، إلا أنه رمي بسرقة الحديث ولم يقع ذلك له، وإنما كان هي الرواية بالإجازة والوجادة، مات في آخر سنة اثنتين وأربعين ومئتين وله ثلاث وثمانون سنة، روى له الترمذي(تقريب التهذيب ص٥٨٨).

([٢٠٧]) دلائل النبوة للبيهقي ١٥٩/٧-١٦٠ .

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين
من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًّا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، أما بعد:

عباد الله... ونحن نتلوا كتاب الله تعالى لا بد أن نتأمله ونتدبره ونتعرف على معانيه الجليلة قال الله تعالى: (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) فأخبر أن الذي لا يتدبر القرآن ولا يتعرف على معانيه كالمقفَل قلبُه، وفي هذا دلالة على بعده عن ربه جل وعلا، والمؤمن قريب من الله قريب من كتابه قريب من كلامه يقرؤه ويتفهم معانيه الجليلة.

يا أهل القرآن... يقول الله تعالى في محكم كتابه الكريم: (فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ)[٢٠٨]، في هذه الآية الكريمة لونٌ من ألوان الإعجاز العلمي في كتاب الله تعالى؛ فقد اكتشف الطيارون الذين يحلِّقون على ارتفاعات عالية أنهم يعانون من ضيق يجدونه في صدورهم يزداد كلما صعِدوا في السماء حتى يصل إلى درجة الاختناق، وذلك بسبب تناقص (الأكسجين) عن الكمية اللازمة كلما ازداد الإنسان ارتفاعا في السماء، وهذه الحقيقة لم تكن معروفة من قبل، إذ أن الناس كانوا يعتقدون أن الهواء يمتد بصفاته المعروفة إلى الكواكب والنجوم، لكن القرآن ذكر هذه الحقيقة قبل أن يعرفها البشر جميعا منذ ما يقرب من أربة عشر قرنا من الزمان، إذ قال تعالى : (فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ).[٢٠٩]

([٢٠٨]) سورة الأنعام آية ١٢٥.

([٢٠٩]) سورة الأنعام آية ١٢٥.

أي من استحق أن يضله الله بأعماله السيئة، ومحاربته للدين، جعل الله صدره يضيق بالموعظة، أو بما يذكِّره بالإسلام كضيق ذلك الذي يصعَد في السماء، والبشر كلهم كانوا يجهلون هذه الحقيقة وهي حقيقة حدوث الضيق الشديد لِمَن يصعد في السماء،ولم تعرف هذه الحقيقة إلا بعد أن صعِد الإنسان بالطائرات إلى السماء، فهل كان لمحمدﷺ طائرة خاصة به من دون الناس فعرف بها هذه الحقيقة؟! أم إن هذا وحي نزل بعلم الله؟![٢١٠]

عباد الله...حقٌّ علينا أن ندعوَ الناس إلى دين الله تعالى مِن خلال تعريفهم بما في القرآن الكريم مِن الآيات البيِّنات الدالة على صدق نبوة محمد ﷺ، ومن صورها ما ذكرناه آنفا من صور الإعجاز العلمي في القرآن الكريم التي أذعن لها جهابذة علماء العالم في أنواع العلوم التجريبية والكونية، وكل مسلم عليه أن يبلغ دعوة الله تعالى بقدر استطاعته قال الله تعالى: (قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) وكلنا اتباعُ محمدٍ ﷺ .

اللهم ....

([٢١٠])كتاب التوحيد للشيخ عبد المجيد الزنداني ٦٥/١.

الخطبة الخامسة عشرة: التحذير من الكبر والحث على التواضع

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)، أما بعد:

أيها المؤمنون... تعالوا بنا نشهد هذا المشهد الرهيب ... في ذلك السجن المهول.. إنه سجنٌ يُقَالُ له: (**بُولَسُ**)، .. يُجمع إليه أناس في صُوَرِ الناس.. ولكنهم صغار جدًّا...أَمْثَالَ الذَّرِّ، لشدة مهانتهم على ربهم «يتواطؤهم الجن والإنس والدواب بأرجلها»[٢١١]

أتدرون أين يقع هذا السجن؟

أتدرون مَن هؤلاء؟

أتدرون متى يكون هذا؟

أتدرون ما يعلوهم في هذا السجن الرهيب؟

أمَّا مَن هؤلاء فهم .. الْمُتَكَبِّرُونَ.

وأمَّا متى يكون هذا .... ففي يوم الْمحشر ... «حتى يقضيَ الله بين عباده».[٢١٢]

وأمَّا أين يكون.... ففي نار جهنم.

وأمَّا ما يعلوهم في هذا السجن الرهيب... فإنها نَارُ الأَنْيَارِ... أتدري ما نَارُ الأَنْيَارِ؟ إنها **نار النيران**.. إنها **النار الكبرى** ... التي ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من نارها... فيا للهول

([٢١١]) هذه الزيادة عند ابن عدي عن عوف بن مالك الأشجعي، ونحوها عند البزار عن جابر، وعند ابن صصري في أماليه عن أبي هريرة، وأسانيدها ضعيفة(ينظر: اللآلىء المصنوعة ٢/٣٧٢).

([٢١٢]) هذه الزيادة عند ابن عدي عن عوف بن مالك الأشجعي، ونحوها عند البزار عن جابر بن صصري في أماليه عن أبي هريرة، وأسانيدها ضعيفة(ينظر: اللآلىء المصنوعة ٢/٣٧٢).

.. ويا لها من عقوبة ما أفظعها... فلنستمع إلى الصحابي الجليل العالم الفقيه المحدث عبدِ الله بنِ عمرِو بن العاص رضي الله عنهما وهو يحدثنا عن النبيّ ﷺ أنه قال: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يومَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ في صُوَرِ الناس، يَعْلُوهُمْ كُلُّ شيءٍ مِنَ الصَّغَارِ، حتى يَدْخُلُوا سِجْناً في جَهَنَّمَ يُقَالُ له: (**بُولَسُ**)، فَتَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ».رواه أحمد والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وجوَّد إسناده العيني في شرح البخاري وحسنه الألباني رحمهما الله.([٢١٣])

أيها المؤمنون..... ما الذي جعل إبليس يُطرد من رحمة ربه ويلعن إلى يوم القيامة.. إنه الكِبر .. إنه بطر الحق (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) البقرة٣٤ .. (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً)الإسراء٦١.. (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ)ص٧٥

ما الذي دفع الطاغية فرعون لرد الحق مع علمه بأنه حق من عند الله .. وجعله يستمرئ الباطل مع إدراكه أنه باطل.. (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً) النمل١٤ يعني: تكبرا عن الإيمان بما جاء به موسى عليه السلام.. {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ }الأعراف١٣٣، {ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ }يونس٧٥ {وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ }القصص٣٩

ما الذي جعل عادًا تكفر بآيات ربها وتعصي رسله... {فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ }فصلت١٥.. وهكذا كل الكفرة {وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ}الجاثية٣١

([٢١٣]) رواه أحمد ١٧٩/٢، والترمذي كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (٤٧) ٦٥٥/٤(٢٤٩٢)، وهذا لفظه، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، والبخاري في الأدب المفرد ص١٩٦(٥٥٧)، والحميدي في مسنده ٢٧٢/٢(٥٩٨)، قال العيني: سنده جيد(عمدة القاري ١٢١/٢٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٨٠٤٠).

جاء الأخنسُ بنُ شُريق إلى أبي جهل، فدخل عليه بيته، فقال له: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعتَ من محمدٍ؟ فقال: ماذا سمعتُ؟! تَنَازَعْنَا نحن وبنو عبدِ منافٍ الشَّرَفَ، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطَوا فأعطينا، حتى إذا تَجَاثَيْنَا على الرُّكب، وكنَّا كَفَرَسَيْ رِهانٍ قالوا: منَّا نبيٌّ يأتيهِ الوحيُ مِنَ السماءِ! فمتى ندرك هذه؟! والله لا نؤمن به أبدًا، ولا نصدقه.(٢١٤)

عباد الله.. إن الكبر خلق ذميم ومرتع وخيم على صاحبه في الدنيا والآخرة..ولهذا حذَّر منه الإسلام أشد التحذير وعده العلماء في كبائر الذنوب التي يجب الحذر منها ففي صحيح مسلم عن عبد اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كانَ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِن كِبْرٍ» (٢١٥).

عباد الله.. للكبر صور متعددة منتشرة في الناس فالعاقل من تدارك نفسه وتجنب الكبر بصوره وأشكاله المختلفة.. ليس الكبر أن تركب سَيَّارَةً فخمة جميلة .. ترى نعمة الله عليك فيها وتشكرُه عليها... إن الكبر أن تتعالى بها على الناس وتحتقرهم وتزدري أصحاب السيارات الأخرى...إن المتكبر من إذا ركب سيارته الفارهة رفع رأسه وتعاظم بأنفه ولم يسلِّم على أحد بل لا يتنزل لرد السلام.

وليس الكبر أن تلبس ثوبا حسنا جميلا غالي الثمن تشتريه بالمال الحلال الذي تملكه ... إنما الكبر أن لا ترى الناس شيئا .. وتزدري الفقير الذي يلبس الثوب الرخيص الذي يجده ولا يملك سواه... وأن تمشي متخايلا في ثيابك متبخترا.

وليس الكبر أن تحسن الكلام .. وترتبه وتنمقه من غير تكلف.. إنما الكبر أن تزدري من لا يحسن الكلام .. والذي يضعف عن البيان.. فتزدريه أو تحتقره أو تشتمه أو تسكته...

وليس الكبر أن تَسكن المسكن الحسن الفخم الذي اشتريته بالمال الحلال وأثَّثْتَه بالأثاث الفاخر.. ولم تثقل به كاهلك بالديون... إنما الكبر أن تتعالى على من يسكن المسكن المتواضع.. ويفرش الفرش الرخيص ويجلس على الأرض.

---

(٢١٤) رواه ابن إسحاق في السيرة عن الزهري مرسلا ١٧٠/٤، و من طريقه البيهقي في دلائل النبوة ٢٠٦/٢ وله شواهد.

(٢١٥) رواه مسلم في كتاب الإيمان، بَاب تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ ٩٣/١(٩١).

ومن صور الكِبْرِ العجيبة ذلك الرجل التيَّاه المختال الذي كان لا يحضر الجماعة في المسجد، فقيل له في ذلك، فقال: أحضر مسجدَكم حَتَّى يزاحمني فيه الحمَّالون والبقَّالون.[٢١٦]

إن الكبر باختصار ... قد حدَّهُ النبي ﷺ بحد جامع مانع واضح بين لا لبس فيه ولا غموض حين قال له رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»[٢١٧]، وفي رواية عند الإمام أحمد: فقال رَجُلٌ: يا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي ليعجبُنِي أَنْ يَكُونَ ثوبي غَسِيلاً، ورأسي دَهِيناً، وَشِرَاكُ نعلي جَدِيداً، وَذَكَرَ أَشْيَاءَ حَتَّى ذَكَرَ عِلاَقَةَ سَوْطِهِ، أَفَمِنَ الْكِبْرِ ذَاكَ يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: «لاَ، ذَاكَ الْجَمَالُ، إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، وَلَكِنَّ الْكِبْرَ مَن سَفِهَ الْحَقَّ، وَازْدَرَى الناس».[٢١٨]

الكبر يتلخص في أمرين:

أولهما: بَطَرُ الْحَقِّ، يعني رد الحق ممن جاء به، رد الحق الذي جاء به المرسلون، ورده في المسائل العلمية فلا يقبل الحق فيها، ورد الحق من الناصحين إذا نصحوا صغارا كانوا أم كبارا، ورد نصيحة الناصحين إنما هو وصف لأعداء الله تعالى من المشركين والمتشبهين بهم .. قص الله في خبر صالح عليه السلام ..{فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ}الأعراف٧٩ يقول الحسَنُ البصريُّ رحمه الله: العجبُ مِن ابنِ آدمَ يغسلُ الْخَرْءَ بيدِهِ كلَّ يومٍ مَرَّةً أو مَرَّتَيْنِ، ثم يعارض جَبَّارَ السَّمَواتِ.[٢١٩] وفي صحيح مسلم عن سَلَمَةَ بن الأَكْوَعِ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً أَكَلَ عِنْدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ بِشِمَالِهِ، فقالَ النبي ﷺ :«كُلْ بِيَمِينِكَ»، قال: لا أَسْتَطِيعُ، قال: «لا اسْتَطَعْتَ، مَا مَنَعَهُ إلا الْكِبْرُ» قال: فما رَفَعَهَا إلى فِيهِ.[٢٢٠]

([٢١٦]) تهذيب التهذيب ١٧٤/٢ في ترجمة حجاج بن أرطاة.

([٢١٧]) رواه مسلم في كتاب الإيمان، بَاب تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ ٩٣/١(٩١).

([٢١٨]) رواه أحمد ٣٩٩/١ ، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ٧٨/١ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

([٢١٩]) إحياء علوم الدين ٣٣٨/٣.

([٢٢٠])رواه مسلم في كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما ١٥٩٩/٣/٣(٢٠٢١).

وثانيهما: غَمْطُ النَّاسِ، وهو احتقارهم وازدراؤهم والتعالي عليهم لأي سبب من الأسباب وأيًّا كان هؤلاء الناس .. فمن احتقر خادمه وتنقَّصَه وازدراه ففيه شعبة من شُعب الكِبر.. ومن تعالى على الناس بمالِهِ أو بنسبه أو بجاهه أو بسلطانه.. فهو من المتكبرين..وفيم يتكبر الإنسان .. وفيم يتعالى..وقد خلقه الله تعالى {مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ }السجدة٨.... مَرَّ الأمير الكبير والقائد الخطير الْمُهَلَّبُ بنُ أبي صُفرةَ والي البَصْرَةِ على الإمام العابد الزاهد مالكِ بنِ دينار والْمُهَلَّبُ يتبختر في مِشيتِهِ، وكان ذا تِيهٍ وكِبْرٍ، فقال له مالِكٌ: أما علمت أن هذه المشية تُكره إلا بين الصفَّين؟! فقال له الْمُهَلَّبُ: أما تعرفني؟! فقال له أعرفك أحسن المعرفة! قال: وما تعرف مِنِّي؟ قال: أمَّا أوَّلُكَ نُطفة مَذِرَةْ، وأمَّا آخرك فجيفةٌ قَذِرَةٌ، وأنت بينهما تحمل العَذِرَةَ (يعني الغائط) فقال الْمُهَلَّبُ: الآن عَرَفْتَنِي حق المعرفةِ.(٢٢١)

عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ قد أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تقيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ فَخْرَهُمْ بِرِجَالٍ أو لَيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عِنْدَ اللَّهِ مِن عِدَّتِهِمْ مِنَ الْجُعْلاَنِ التي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتَنَ».رواه أحمد وأبو داود والترمذي.(٢٢٢) النسب ... فليسمع قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }الحجرات١٣

أيها المؤمنون.. يقول الله جل وعلا: (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) لقمان١٨(ولا تصعر خدك للناس) لا تُمل وجهك عنهم تكبرا (ولا تمش في الأرض مرحا) يعني: خيلاء (إن الله لا يحب كل مختال) هو المتبختر في مشيه (فخور) يعني على الناس.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله ....

---

(٢٢١) حلية الأولياء ٣٨٤/٢، وسير أعلام النبلاء ٥٠٥/٤.

(٢٢٢) رواه أحمد ٣٦١/٢، وأبو داود في كتاب الأدب، بَاب فِي التَّفَاخُرِ بِالأَحْسَابِ ٣٣١/٤(٥١١٦)، الترمذي في كتاب المناقب، بَاب فِي فَضْلِ الشَّامِ وَالْيَمَنِ ٧٣٤/٥(٣٩٥٥) وهو آخر حديث في السنن، وقال: حَسَنٌ غَرِيبٌ، وحسنه المنذري والألباني(صحيح الترغيب والترهيب(٢٩٦٥)).

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد:

لَمَّا دَخَلَ النبيُّ ﷺ مكةَ فاتِحًا منتصرا وقد أعز الله الإسلام وأذل الشرك والمشركين عبدةَ الأوثان وهذا موضع العز والنصر والتمكين.. موضع يتعالى فيه المتكبرون وتشمخ أنوفهم إلى السماء ... فأما سيد الناس .. سيد الخلق .. أجلُّ مَن عبَدَ الله .. وأجلُّ مَن تواضع لربه جل وعلا.. أمَّا من يعرف قدر نفسه.. ويعرف قدر خالقه جل وعلا .. سيدُ المتواضعين، وإمامُ المتقين فكيف دخل مكة التي أخرج منها مطاردا مهددا بالقتل .. وقد فتحها الله له؟ لقد دخلها وقد استشرفه الناس... فوضع رأسه على رحله تخشُّعًا وتواضعًا لله تعالى حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى إن طرف لحيته ﷺ ليكاد يمس واسطة الرَّحْل.(٢٢٣) وأَتَاه رَجُلٌ[يومَ الفَتْحِ] فَكَلَّمَهُ فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ، فقال له: «هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّما أنَا ابنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ».رواه ابن ماجه.(٢٢٤)

أيها المؤمنون ... ثبت في صحيح الإمام مسلم من حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وما زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إلا عِزًّا، وما تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إلا رَفَعَهُ اللهُ».(٢٢٥)

---

(٢٢٣) ينظر: مسند أبي يعلى ١٢٠/٦، والمستدرك على الصحيحين ٤٩/٣، والسيرة النبوية لابن هشام ٦٣/٥.

(٢٢٤) رواه ابن ماجه في كتاب الأطعمة، بَاب الْقَدِيدِ ١١٠١/٢(٣٣١٢)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ٥٠/٣، والزيادة بين معقوفين منه، والبيهقي في دلائل النبوة ٦٩/٥، وقد اختلف في وصله وإرساله فرجح الدارقطني المرسل، وصحح المزي الموصول (تهذيب الكمال ٤٥/٣)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة ١٩/٤: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة(١٨٧٦) وصحيح الجامع (٧٠٥٢).

(٢٢٥) رواه مسلم في كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالآدَابِ، بَاب استحباب الْعَفْوِ وَالتَّوَاضُعِ ٢٠٠١/٤(٢٥٨٨).

إن عباد الله تعالى لا يجوز لهم أن يتكبروا.. ويجب عليهم أن يتواضعوا...أولاً لربهم جل وعلا.. وثانيًا للحق الذي يأتيهم من ربهم جل في علاه.. فيقبلوا الحق على رؤوسهم ولا يردوه كما رده أهل الكفر والعناد فيتشبهوا بهم ... وثالثا: يتواضعوا لخلق الله جل وعلا ولا يتكبروا عليهم (أذلةٍ على المؤمنين) .....إن الكبرياء الحقيقية صفة من صفات الله جل وعلا وهي كبرياء لائقة بجلال ربنا جل في علاه فلا يجوز لأحد أن ينازع الله في كبريائه، والْمُتَكَبِّرُ اسم من أسماء الله جل وعلا.. (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) الحشر٢٣... **ومعناه:** الْمُتَكَبِّرُ عن السوء والنقص والعيوب لكمال عظمته، المتعالي على خلقه فلا يحتاج لأحد ولا يُعجزه أحد... **ومن معناه:** أنه المتكبر عن كل نقيصة في ألوهيته فلا يَقبل شريكًا في العبادة، وفي ربوبيته فلا يَقبل شريكًا في الملك، وفي أسمائه وصفاته فلا يَقبل شبيهًا ولا مثيلاً، وصفاتُه جل في علاه تتضمن أعلى درجات الكمال فلا يعتريها نقص بوجه من الوجوه، ولا يَرضى من عباده أن يُشَبِّهُوهُ أو يمثِّلوه بخلقه.... فهو المتفرد بالكبرياء على الجميع فلا يحقُّ لأحد أن يتكبر لا عليه جل في علاه (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [٢٢٦]، ولا على دِينه وشرعه، ولا على خلقه، إذ العبد ليس من حقه ولا من وصفه أن يتكبر إذ هو الفقير دائما (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله، والله هو الغني الحميد)، ولذلك من نازعه هذا الوصف الذي لا يستحقه عذَّبه.

عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما قالا: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ ينازعُنِي عَذَّبْتُهُ».رواه مسلم.[٢٢٧] وفي رواية لأبي داود: «قال الله عز وجلَّ: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ».[٢٢٨]، وفي رواية لأحمد: «أَدْخَلْتُهُ جَهَنَّمَ».[٢٢٩]

([٢٢٦]) سورة غافر آية ٦٠.

([٢٢٧]) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، بَاب تَحْرِيمِ الْكِبْرِ ٤/٢٠٢٣(٢٦٢٠).

([٢٢٨]) رواه أبو داود في كتاب اللباس، بَاب ما جاء في الْكِبْرِ ٤/٥٩(٤٠٩٠) عن أبي هُرَيْرَةَ وحده.

([٢٢٩]) رواه أحمد ٢/٣٧٦ عن أبي هُرَيْرَةَ وحده.

كان السلف يربُّون أنفسهم على التواضع وترك الكبر، ويربون أولادهم على ذلك منذ الصغر فإذا رأوا فيهم تعاليًا وجنوحًا إلى الكِبْرِ أدَّبوهُم حَتَّى تَصغُرَ نُفُوسُهُمْ ويزول عنها الكبرياء .. وتعودَ إلى التواضع، لقد كان أمير المؤمنين عمرُ بن الخطاب ﷺ يربي نفسه وأولاده على ترك الكبر.. دخل عليه أحد أبنائِه يوما وقد ترجَّلَ (مشط شعره وحسنه وجمله) ولبس ثيابًا حِسَانًا ورأى نفسه قد أعجبته، فضربَهُ عمرُ بالدِّرَّةِ حَتَّى أبكاهُ، فقالت له حفصة رضي الله عنها: لَمْ يكن فاحِشًا، لِمَ ضرَبْتَهُ؟ فقال: رأيتُهُ قد أعجبته نفسُهُ، فأحببت أن أصغِّرَهَا إليهِ.[٢٣٠] ورأى ﷺ ابنًا له إذَا سَجَدَ رَفَعَ شَعرَهُ لا يصيبُهُ التُّرابُ وهو في الصَّلاةِ، فأخَذَ شعرَهُ فَدَلَكَهُ في التُّرابِ، وأَمَرَ بِهِ فَحُلِقَ. [٢٣١]

عباد الله....اتقوا الله تعالى حقَّ التقوى، واستمسِكوا من الإسلام بالعُروة الوُثقَى، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَق تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُن إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)، واعلموا أن من اتَّقى الله وقاه، وكفاه وأسعدَه وآواه.

وتقوى الله خيرُ الزاد ذُخرًا******وعند الله للأتقَى مزيدٌ

اتقوا الله تعالى واعلموا أنكم غدا بين يدي الله موقوفون وبأعمالكم مجزيون وعلى كسبكم محاسبون، وأن المصير إما إلى جنة المأوى وإما إلى نار تلظى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ).... اللهم.....

([٢٣٠]) مصنف عبد الرزاق (الجامع) ١٠/٤١٦(١٩٥٤٨).

([٢٣١]) كتاب الآثار لأبي يوسف ١/٦٧(٣٢٩).

الخطبة السادسة عشرة :طُرق لكسب الثواب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)،(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)،(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)، أما بعد:

أيها المؤمنون...اليوم نريد أن نتعلم طرقا كبيرة وأبوابا واسعة لكسب الثواب... لتكثير الحسنات ومضاعفتها...طرقا قد تخفى أو تذهب على كثير من الناس....غافلين عن أن هذه الدنيا مزرعةٌ للآخرة..

عباد الله... لقد فتح الله لنا أبوابًا كثيرة من أبواب كسب الخيرات المقرّبة إلى الجنات وكثيرٌ منَّا يغفُل عنها مع أنه يمارس أعمالها ولكنه لا يثاب فيها.. فلماذا يحرم الإنسان نفسه من خير كثير يقرّبه إلى الله تعالى وجنته مع أنه يسير لا مشقة فيه... إنما يحتاج منا فقط إلى أمرين مهمين عظيمين: **أولهما**: إخلاص النية لله تعالى لأن الله تعالى لا يقبل من العمل إلى ما كان خالصا.. **وثانيهما**: اتباع شريعة النبي ﷺ في ذلك.

عباد الله... ومن هذه الأبواب الكبيرة التي مَن أحسن فيها النية فقد اكتسب ثوابا عظيما ومن فرط فيها فقد خسر خسارة كبيرة.. النفقة على النفس والزوجة والأولاد... فمن منا لا ينفق على نفسه وزوجته وأولاده..كلنا يفعل ذلك.. ولكن الكلام... مَن منَّا يثاب على هذه النفقة.. كثير منا يفوته ذلك.. فلماذا.. لعدم النية الصالحة.. ينفق نفقة لا يحتسبها عند الله تعالى ولا يرجو ثوابها..وأسوأ حالا من هذا من ينفق نفقة لا يدري من أين اكتسبها أمن حلال أم من حرام.. وَرَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ عَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كرب ﷺ قَالَ قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا أَطْعَمْت نَفْسَك فَهُوَ لَك صَدَقَةٌ، وَمَا أَطْعَمْت وَلَدَك فَهُوَ لَك صَدَقَةٌ ، وَمَا أَطْعَمْت زَوْجَتَك فَهُوَ لَك صَدَقَةٌ ، وَمَا أَطْعَمْت خَادِمَك فَهُوَ لَك صَدَقَةٌ).

عن ثوبانَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضلُ دينارٍ يُنفِقُهُ الرَّجلُ دينارٌ يُنفِقُهُ على عيالِه، ودينارٌ يُنفِقُهُ الرَّجلُ على دابَّته في سبيل الله، ودينارٌ يُنفِقُهُ على أصحابه في سبيلِ الله».رواه مسلم[٢٣٢]، قال الأمام أبو قِلابةَ أحد التابعين الأجلاء رحمه الله معلِّقًا على هذا الحديث: وبدأ بالعيال، وأيُّ رجلٍ أعظمُ أجرًا من رَجُلٍ يُنفقُ على عِيالٍ صغارٍ؛ يُعِفُّهم أو يَنْفَعُهُم اللهُ به، ويُغْنيهِم.[٢٣٣] وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ في سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ في رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ على مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ على أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الذي أَنْفَقْتَهُ على أَهْلِكَ».رواه مسلم.[٢٣٤]

يحدثنا جَابِرُ بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أَعْتَقَ رَجُلٌ من بَنِي عُذْرَةَ عَبْدًا لَهُ عن دُبُرٍ[ولم يَكُنْ له مَالٌ غَيْرُهُ][فَاحْتَاجَ]، فَبَلَغَ ذلك رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فقال: «أَلَكَ مَالٌ غَيْرُهُ؟»، فقال: لاَ فقال: «مَن يَشْتَرِيهِ مِنِّي؟»، فَاشْتَرَاهُ نُعَيْمُ بن عبد اللَّهِ الْعَدَوِيُّ بثمانمائة دِرْهَمٍ، فَجَاءَ بها رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَدَفَعَهَا إليه، ثُمَّ قال: «ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عليها، فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ فَلأَهْلِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عن أَهْلِكَ شَيْءٌ فَلِذِي قَرَابَتِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عن ذِي قَرَابَتِكَ شَيْءٌ فَهَكَذَا وَهَكَذَا»، يقول: فَبَيْنَ يَدَيْكَ، وَعَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ.رواه مسلم وأصله في البخاري.[٢٣٥]

لكي تكسب الثواب في هذا الباب العظيم...لكي لا تَضيع عليك نفقتك... عليك بالنية الصالحة في النفقة.. فعن سعد بن أبي وقاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له: «إنَّكَ لن تنفقَ نفقةً تبتغي بها وجهَ اللهِ إلا أُجِرتَ عليها، حتى ما تضعُ في فِيْ امرأتِكَ».متفق عليه.[٢٣٦]

([٢٣٢])رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال والمملوك وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم ٢/٦٩١(٩٩٤).

([٢٣٣])ذكره مسلم عقب الحديث السابق.

([٢٣٤])رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال والمملوك وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم ٢/٦٩٢(٩٩٥).

([٢٣٥])رواه البخاري في كتاب البيوع، بَاب بَيْعِ الْمُزَايَدَةِ ٢/٧٥٣(٢٠٣٤)، ومسلم في كتاب الزكاة، بَاب الِابْتِدَاءِ فِي النَّفَقَةِ بِالنَّفْسِ ثُمَّ أَهْلِهِ ثُمَّ الْقَرَابَةِ ٢/٦٩٢(٩٩٧)، والزيادتان بين معقوفين الأولى لهما... والثانية للبخاري... تستكمل؟؟؟؟.

([٢٣٦])رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ١/٣٠ (٥٦)، ومسلم في كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث ٣/١٢٥٠-١٢٥١ (١٦٢٨) .

وعن أبي مسعود البدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة».[٢٣٧].. فماذا تنوي؟ تنوي تطبيق أمر الله بالإنفاق.. (لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلا مَا آتَاهَا)الطلاق٧.. تنوي أن لا تضيع من تعول وتحوجهم إلى السرقة أو الكسب الحرام أو سؤال الناس فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «كَفَى بالمرءِ إثمًا أن يضيّعَ مَن يَقُوتُ».[٢٣٨]

عباد الله... ومن أعظم أبواب كسب الثواب.. النية الصالحة في الكسب مع الحرص على أن يكون من الحلال الطيب..من منا لا يحرص على الكسب لينفق على نفسه وأهله.. كلنا ذلك الرجل.. لكن من منا الذي يثاب على عمله الذي يعمله ووظيفته التي يعمل فيها أيا ما كانت.. القليل هم الذين يثابون على ذلك .. لماذا.. لأنه لا نية له في هذا.. ما النية الصالحة التي تثاب عليها أيها الموحد؟ تنوي بذلك تطبيق ما أمره الله به من السعي في الكسب والرزق لأن البطالة ليست من الإسلام في شيء وليس دين الإسلام دين الصوفية الباطلة إنما هو دين يحث على الكسب والسعي في الرزق، قال الله تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)الملك١٥.. تنوي بذلك أن تُعِفَّ نفسك عن السؤال وترفَعَهَا عن الحاجة إلى الناس.. تنوي بذلك أن تُعِفَّ أولادك عن الناس وأن تنفق على زوجتك وولدك كما أمرك الله (لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً)الطلاق٧ ..وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قالَ: سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «لأَنْ يَغْدُوَ أحدُكم فَيَحْطِبَ على ظَهْرِهِ؛ فَيَتَصَدَّقَ بِهِ وَيَسْتَغْنِيَ بِهِ من الناس؛ خَيْرٌ له مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلاً أَعْطَاهُ

([٢٣٧])رواه البخاري في كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل ٢٠٤٧/٥(٥٠٣٦)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين ٦٩٥/٢(١٠٠٢).

([٢٣٨])رواه أحمد ١٦٠/٢، ١٩٤، والنسائي في الكبرى ٣٧٤/٥ (٩١٧٧)، وأبو داود ١٣٢/٢(١٦٩٢)، والحاكم ٥٧٥/١ وقال: صحيح الإسناد، وصححه ابن حبان٥١/١٠ (٤٢٤٠)، وقال ابن الدبيع: رواه النسائي وأبو داود بسند صحيح(كشف الخفاء ١٤٧/٢)،وأصله في صحيح مسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال والمملوك وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم ٦٩٢/٢(٩٩٦)بلفظ: (كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته) .

أو مَنَعَهُ، ذلك فإنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا أَفْضَلُ من الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ».رواه مسلم وأصله في البخاري.([٢٣٩])

ولنستمع إلى هذه الكلمة التي قالها إمام جليل من أئمة السلف يبين بها خسارة كثير من الناس للثواب في الكسب والثواب في الإنفاق يقول الإمام عبدُالله بن المبارك رحمه الله: خَصْلَتَانِ حُرِمَهُمَا النَّاسُ: الْحِسْبَةُ فِي الْكَسْبِ، وَالْحِسْبَةُ فِي النَّفَقَةِ.([٢٤٠])

عباد الله... كل ما ذكرناه آنفا هو مما يستعمله كل الناس .. ولكن هل أنت ممن يحرص على ثوابه فتستعمله وفق السنة قاصدا وجه الله تعالى فتحصل على ثواب لا يحصى أم أنت ممن يستعمل ذلك عادة من العادات... وقد قال النبي ﷺ : إنما الأعمال بالنيات.

عباد الله... ومن أعظم أسباب كسب الثواب العظيم: تعليمُ الناس الخير ودعوتُهم إليه فكلُّ من عمل بهذا الخير فلك مثل ثوابه، وكلُّ من تعلم منه فلك مثل ثوابه أيضا وهكذا إلى يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ دَعَا إلى هُدًى كان لَهُ من الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ من تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذلك من أُجُورِهِمْ شَيْئًا»رواه مسلم.([٢٤١])

فاحرص على تعليم زوجتك وأولادك وإخوانك وأصدقائك والناس جميعا كلَّ ما يمكنك من الخير.

أقول ما تسمعون وأسأل الله تعالى أن يغفر لي ولكم ولجميع المسلمين إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ، أما بعد:

عباد الله... إن من طرق كسب الثواب الكبيرة بابا عظيما واسعا في أعمال كثيرة جدا لا ينفك عنها المسلم في ليله ونهاره في ذهابه وإيابه في لباسه وأكله وشربه وغير ذلك.. هذا الباب هو: التيامن والتياسر.. فإن من السنن النبوية والأمور الشرعية المحببة إلى الله تعالى

([٢٣٩])رواه مسلم في كتاب الزكاة، بَاب كَرَاهَةِ الْمَسْأَلَةِ لِلنَّاسِ ٢/٧٢١(١٠٤٢).

(٢٤٠)شعب الإيمان ٦ /٤٢٠(٨٧٣٩).

([٢٤١]) رواه مسلم في كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ٤/٢٠٦٠(٢٦٧٤).

والتي يثيب عليها: التيامن في الأمور المستحسنة.. والتياسر في ضد ذلك فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّ التَّيَمُّنَ مَا اسْتَطَاعَ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ، فِي طُهُورِهِ وَتَرَجُّلِهِ وَتَنَعُّلِهِ».متفق عليه. ([٢٤٢])

فالسنة في التطهُّر البُداءة باليد اليمنى والقدم اليمنى، وهكذا في الاغتسال البُداءةُ بالجانب الأيمن من البدن، قال النووي رحمه الله تعالى في ذكر سنن الغسل: منها الابتداء بالأيامن فيغسل شقة الأيمن ثم الأيسر وهذا متفق على استحبابه. اهـ ([٢٤٣])

ومن ذلك: الترجُّل، وهو تسريح الشعَر ودَهْنه فالسنة أن يبدأ بجانبه الأيمن، ومن ذلك: التَّنعُّل: وهو لُبس النَّعل فالسنة الابتداء بالقدم اليمنى، ومن ذلك: لبس الثوب، ودخول المسجد، وقص الشارب، وحلق العانة، وحلق الرأس، كل ذلك يبدأ فيه باليمين، وهكذا قص الأظفار يبدأ فيه باليد اليمنى، ومما يفعل باليمين: الأكل والشرب، وأخذ الأشياء وإعطاؤها، والمصافحة.

والسنة أن يفعل باليسار أو يبدأ فيه باليسار أمور منها: دخول دورة المياه، والخروج من المسجد، وخلع الثوب، وخلع الحذاء، والاستنجاء، وتنظيف الأنف. قال الإمام النووي رحمه الله: قاعدة الشرع المستمرة: أن كل ما كان من باب التكريم والتزيين استحب فيه التيمّن؛ وما كان بضده استحِبّ فيه التياسر.([٢٤٤])

فمن منا يعجَز عن تعويد نفسه على هذه السنة التي لا ينفك عنها في عموم أحواله.. فهيا إلى الثواب الجزيل وإياك والتضييع والتفريط في قراريط كثيرة من الثواب.. فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

أيها المؤمنون... ومن أسباب كسب الثواب الجزيل في أعمال كثيرة يسيرة الحرص على النظافة بكل طرقها وأشكالها الموافقة للشريعة المباركة مثل: حسن اللباس والاغتسال واستعمال سنن الفطرة، تنوي بذلك إظهار نعمة الله عليك، واتباع السنة؛ فعن عبد اللَّهِ بن مَسْعُودٍ ﷺ عن

([٢٤٢])رواه البخاري في أبواب المساجد، بَاب التَّيَمُّنِ فِي دُخُولِ الْمَسْجِدِ وَغَيْرِهِ ١٦٥/١(٤١٦)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب التيمن في الطهور وغيره ٢٢٦/١(٢٦٨).

([٢٤٣])المجموع ٢١٣/٢، ٢٢٨/٢ .

([٢٤٤])شرح النووي على مسلم ١٦٠/٣ بتصرف يسير، وانظر للاستزادة كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوي ١٠٨/٢١-١١٣.

النبي ﷺ قال: «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ من كان في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ من كِبْرٍ»، قال رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قال: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ الناس ».رواه مسلم ([٢٤٥]).

عباد الله... ومن أسباب كسب الثواب الإحسان إلى الناس وحسن الخلق معهم لا لأجل الدنيا أو المدح والثناء أو الحصول على المناصب فإن من قصد ذلك فسوف يجده في الدنيا وليس له عند الله تعالى يوم القيامة من نصيب، ولكن ابتغاء مرضات الله تعالى وطلبا لرضاه وجنته، واتباعا لسنة النبي ﷺ ورغبة في التخلق بأخلاق الإسلام الحميدة، واستجابة للنصوص الكثيرة الآمرة بحسن الخلق؛ فعن النَّوَّاسِ بن سِمْعَانَ الأَنْصَارِيِّ ﷺ قالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عن الْبِرِّ وَالإِثْمِ فقال: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالإِثْمُ ما حَاكَ في صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عليه الناس».رواه مسلم.([٢٤٦])

عباد الله... ومن أسباب كسب الثواب أن الدارس لأيِّ عِلْم من العلوم المباحة أو المشروعة يُحْسِنُ في ذلك نيته.. فيكتسب الثواب بذلك.. ولا يضيع عيه سنوات من عمره يكدح فيها من غير ثواب.. فمن ذلك: أن ينوي نفع نفسه برفع الجهل عنها وتعلم العلم الشرعي للعمل به والدعوة إلى الله تعالى به، وينوي نفع الأمة في المجال الذي هو فيه، وينوي أن يكون ذلك وسيلة من وسائل الرزق الحلال.. إلى غير ذلك من النوايا الحسنة...

عباد الله....اتقوا الله تعالى حقَّ التقوى، واستمسِكوا من الإسلام بالعُروة الوُثقَى، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَق تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُن إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)، واعلموا أن من اتَّقى الله وقاه، وكفاه وأسعدَه وآواه.

وتقوى الله خيرُ الزاد ذُخرًا******وعند الله للأتقَى مزيدٌ

اتقوا الله تعالى واعلموا أنكم غدا بين يدي الله موقوفون وبأعمالكم مجزيون وعلى كسبكم محاسبون، وأن المصير إما إلى جنة المأوى وإما إلى نار تلظى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ).... اللهم.....

([٢٤٥])رواه مسلم في كتاب الإيمان، بَاب تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ ٩٣/١(٩١).

([٢٤٦])رواه مسلم في كتاب البر والآداب والصلة، بَاب تَفْسِيرِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ ١٩٨٠/٤(٢٥٥٣).

الخطبة السابعة عشرة :أحكـــام الغُسْل

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)،(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)،(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)، أما بعد:

عباد الله... لقد شرع الله تعالى لنا أنواعا من الطهارة نتنظف بها إذا وقفنا بين يديه؛ فمنها: الوضوء، ومنها الاغتسال من الجنابة وغيرها، فقال الله تعالى: (وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ)[٢٤٧]، وقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىَ تَغْتَسِلُواْ).[٢٤٨]

والاغتسال ويُسمَّى: الاستحمام **هو**: غَسْلُ جميعِ البدن بالماء، ويدخل في ذلك المضمضة والاستنشاق؛ لأن الفم والأنف معدودان من الوجه، وهما من ظاهر البدن، بدليل أن الصائم لا يفطر بوصول شيء إليهما. ولا يجب في الاغتسال دلك البدن باليد، بل يكفي مجرد وصول الماء إلى جميع أجزاء البدن.

عباد الله... اعلموا أن الغُسلَ ثلاثةُ أنواع، هي:

النوع الأول: الغُسل الواجب، وهو الاغتسال الواجب بواحد من الأسباب التالية، وهي المسماة بـ (**موجِبات الغسل**)، **وهي ستَّةٌ**، نبينها فيما يلي:

([٢٤٧])الآية ٦ من سورة المائدة.

([٢٤٨])الآية ٤٣ من سورة النساء.

الموجِب الأول: نزول المني دفقًا بلذَّة بجماعٍ أو ملاعبةٍ أو اسْتمناءٍ، أو بغير ذلك، **والدليل على هذا**: حديث عَلِيّ بنِ أبي طالب ﷺ قال:كنتُ رَجُلاً مَذَّاءً، فجَعلْتُ اغتسلُ في الشِّتَاءِ حتى تَشقَّقَ ظهْري، فذَكَرْتُ ذلكَ للنبيِّ ﷺ أو ذُكِرَ لهُ، فقالَ: «لاَ تَفعلْ، إذَا رأيتَ المذْيَ فاغْسِلْ ذَكَرَكَ، وتوضَّأْ وُضُوءَكَ للصلاةِ، فإذَا فَضَخْتَ الماءَ فاغْتَسِلْ».رواه أحمد وأبو داود والنسائي.([٢٤٩])

أمَّا: إذا خرج المنيُّ غير دافق بسبب مرض، أو كان بقية منيٍّ سابق خرج بعد الاغتسال، أو خرج بقية منيِّ الرجل من فرج المرأة بعد الاغتسال، فكل هذا لا يوجب إعادة الاغتسال، ولكنه يوجب الوضوء.

الموجِب الثاني: خروج المني من النائم، سواءٌ أشَعَرَ به أمْ لم يشْعُر به، ويسمى: **(الاحتلام)**، **والدليل على هذا**: حديث أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها زوجِ النبي ﷺ أنها قالت: جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ امْرَأَةُ أبي طَلْحَةَ إلى رسول اللَّهِ ﷺ فقالت: يا رَسُولَ اللَّهِ، إنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي من الْحَقِّ، هل على الْمَرْأَةِ من غُسْلٍ إذا هِيَ احْتَلَمَتْ؟ فقال رسول اللَّهِ ﷺ: «نعم إذا رَأَتْ الْمَاءَ».متفق عليه.([٢٥٠])

الموجِب الثالث: إيلاج الذَّكَرِ في الفرج حتى يغيب رأسُهُ (المسمَّى بالْحَشَفَةِ)، ويُعَبَّر عن هذا الموجِب أحيانًا بـ **(الْتِقاءِ الْخِتَانَين)**، والمراد خِتان الذَّكَرِ، ومَحَلُّ خِتانِ المرأة، **والدليل على هذا**: حديث أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إذا جَلَسَ بين شُعَبِهَا الأَرْبَعِ، ثُمَّ جَهَدَهَا، فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ».متفق عليه، وفي لفظٍ لِمُسْلم: «وَإِنْ لم يُنْزِلْ» ([٢٥١])، ولِمُسلمٍ عن أمِّ المؤمنينَ عَائِشَةَ رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إذا جَلَسَ بين شُعَبِهَا الْأَرْبَعِ، وَمَسَّ الْخِتَانُ

([٢٤٩])رواه أحمد ١/١٠٩،١٠٧،١٢٥، وأبو داود في كتاب الطهارة، باب في المذي ١/٥٣(٢٠٦)، والنسائي في كتاب الطهارة، باب الغسل من المني ١/١١١(١٩٣)، (١٩٤)، وصححه ابن خزيمة ١/١٥(٢٠) وابن حبان ٣/٣٩١(١١٠٧)، والضياء في الأحاديث المختارة ٢/٥٤(٤٣٣) والألباني في إرواء الغليل ١/١٦٢ (١٢٥).

([٢٥٠])رواه البخاري في كتاب الغسل، بَاب إذا احْتَلَمَتْ الْمَرْأَةُ ١/١٠٨(٢٧٨)، ومسلم في كتاب الحيض، بَاب وُجُوبِ الْغَسْلِ على الْمَرْأَةِ بِخُرُوجِ الْمَنِيِّ منها١/٢٥١(٣١٣).

([٢٥١])رواه البخاري في كتاب الغسل، بَاب إذا الْتَقَى الْخِتَانَانِ ١/١١٠(٢٨٧)، ومسلم في كتاب الحيض، بَاب نَسْخِ الْمَاءِ من الْمَاءِ وَوُجُوبِ الْغُسْلِ بِالْتِقَاءِ الْخِتَانَيْنِ ١/٢٧١(٣٤٨).

الْخِتَانَ، فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ»[٢٥٢]، وكثير من الناس يظن أن الجماع لا يوجب الغسل حتى يُنزِل، وهذا خطأ مخالف للأدلة الشرعية الصريحة، فالاغتسال واجب بمجرد الجماع؛ أنزل أو لم يُنزِل.

الموجِب الرابع: الحيض، والدليل على هذا: قوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ).[٢٥٣]

الموجِب الخامس: النِّفاس، والدليل على هذا: إجماعُ العلماء رحمهم الله تعالى على إلحاق النِّفاس بالحيض في وجوب الاغتسال منه، وذلك لأن النِّفاس في حقيقته حيضٌ مجتمعٌ، وقد سمَّى النبيُّ ﷺ الحيضَ نفاسًا، كما في حديث أمِّ المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: خَرَجْنَا لا نَرَى إلا الْحَجَّ، فلما كنا بِسَرِفَ حِضْتُ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأنا أَبْكِي، قال: «ما لَكِ؟ أَنُفِسْتِ؟»، قلت: نعم.متفق عليه [٢٥٤]، وقد نقل هذا الإجماعَ جمعٌ من أهل العلم رحمهم الله تعالى، منهم: ابنُ المنذر، وابنُ جرير الطبري، وابنُ حزم، وابنُ قدامة، والنووي، وغيرهم رحمهم الله تعالى، قال ابنُ المنذر رحمه الله تعالى: أجمع أهلُ العِلم على: أن على النُّفساء الاغتسالَ عند خروجها من النِّفاس.[٢٥٥]

الموجِب السادس: الموت، فإذا مات المسلم وجب على من عَلِم به من المسلمين تغسيلُه، **والدليل على هذا:** حديثُ ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما في قصَّةِ الرَّجُلِ الذي وَقَصَتْهُ دابَّتُهُ في

([٢٥٢])رواه مسلم في كتاب الحيض، بَاب نَسْخِ الْمَاءُ من الْمَاءِ وَوُجُوبِ الْغُسْلِ بِالْتِقَاءِ الْخِتَانَيْنِ ١/٢٧١(٣٤٩).

([٢٥٣])الآية ٢٢٢ من سورة البقرة.

([٢٥٤])رواه البخاري في كِتَاب الْحَيْضِ، بَاب كَيْفَ كان بَدْءُ الْحَيْضِ ١/١١٣(٢٩٠)، ومسلم في كتاب الحج، بَاب بَيَانِ وُجُوهِ الْإِحْرَامِ وَأَنَّهُ يَجُوزُ إِفْرَادُ الْحَجِّ وَالتَّمَتُّعِ وَالْقِرَانِ وَجَوَازِ إِدْخَالِ الْحَجِّ على الْعُمْرَةِ وَمَتَى يَحِلُّ الْقَارِنُ من نُسُكِهِ ٢/٨٧٣(١٢١١).

([٢٥٥])ينظر: الأوسط لابن المنذر ١/١٥٥، المحلى ٢/١٨٤، المجموع ٢/٥٢٠، والمغني ١/٤٣٢، وفتح الباري لابن رجب ٢/١٨٧، والحيض والنفاس رواية ودراية لأبي عمر دبيان الدبيان ٣/١٣٣١.

عرفةَ، أن النبيَّ ﷺ قال: «اغْسِلوهُ بماءٍ وسِدْرٍ، وكفِّنوهُ في ثَوبينِ، ولاَ تُحَنِّطوهُ، ولاَ تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فإنَّ اللهَ يبعثُهُ يومَ القيامةِ ملَبِّيًا».متفق عليه.([٢٥٦])

عباد الله... **وأما النوع الثاني من الغسل فهو: الغسل المستحب**، أو الاغتسال المسنون، ويستحب الغُسل في حالات عديدة، من أهمها:

١- يوم الجمعة، قبل الخروج إلى صلاة الجمعة، وهو سنة متأكدة، فعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «غُسْلُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كلِّ مُحْتَلِمٍ».متفق عليه ([٢٥٧])، قال شيخنا الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله: الغُسل يوم الجمعة سنة مؤكدة؛ لما ورد في ذلك من الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ، منها: قوله ﷺ: «غُسْلُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كلِّ مُحْتَلِمٍ»، وقوله ﷺ: «وَاجِبٌ عَلَى كلِّ مُحْتَلِمٍ».معناه عند أكثر أهل العلم: مُتَأَكِّدٌ، كما تقول العرب: (العِدَةُ دَيْنٌ، وحقُّكَ عليَّ واجبٌ)، ويدل على هذا المعنى: اكتفاؤه ﷺ بالوضوء في بعض الأحاديث.اهـ([٢٥٨])، ولذلك ينبغي الحرص عليه والمواظبة على فعله وعدم تركه، قال الشافعي رحمه الله: ما تركت غُسلَ يومِ الجمعة في شتاء ولا صيف.([٢٥٩])

٢- ومن الأغسال المستحبة الغسل يوم العيد، قبل الخروج إلى صلاة العيد.

٣- ومن الأغسال المستحبة: الغسل قبل الإحرام بالحج أو العمرة.

٤- ومن الأغسال المستحبة: الغسل بعد الإفاقة من الإغماء .

عباد الله.... النوع الثالث من الأغسال: الغُسل المباح، وهو الغُسل لغير ما تقدم، **مثل**: الغُسل للتَّبَرُّد، أو الغُسل للتنظُّف، أو الغُسل لمجرَّد اللَّعِب والتَّلَهِّي كما يحصل في البِرَك والمسابح، وإذا نوى المسلم بهذا الغسل نية صحيحة كالنظافة والاستجمام للاستعانة على الطاعة كان ذلك عملا مأجورا عليه إن شاء الله تعالى.

عباد الله... ومن الحالات التي لا يجب فيها الغُسل وقد تشتبه على بعض الناس:

([٢٥٦])رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب الحنوط للميت ١/٤٢٦(١٢٠٧)، ومسلم في كتاب الحج، باب ما يفعل بالمحرم إذا مات ٢/٨٦٥(١٢٠٦).

([٢٥٧])رواه البخاري في كتاب الجمعة ، باب فضل الغسل يوم الجمعة وهل على الصبي شهود يوم الجمعة أو على النساء ١/٣٠٠(٨٣٩)، ومسلم في كتاب الجمعة، باب وجوب غسل الجمعة على كل بالغ من الرجال وبيان ما أمروا به ٢/٥٨٠(٨٤٦).

([٢٥٨])مجموع فتاوى ابن باز ١٠/٣١١.

([٢٥٩])مناقب الشافعي للبيهقي ٢/٦٤.

الحالة الأولى: من أحس بخروج الشهوة ولكن منعها من الخروج، أو أحس بخروج المنيّ ولم ير الماء، فلا يجب عليه الاغتسال على الصحيح من قولي أهل العلم رحمهم الله تعالى؛ ما لم يكن قد جامع امرأته.

الحالة الثانية: مَن وضع ذكَرَه على فَرْجِ امرأته ولم يولِجْ فيه، فلا يجب عليه الاغتسال، ولكن يستحب له أن يتوضأ.

الحالة الثالثة: مَن رأى في منامه احتلامًا، واستيقظ فلم يَرَ أثَرًا لخروج منيٍّ، فلا يجب عليه الاغتسال.

عباد الله... ومما ينبغي علينا معرفته: الأمورُ المحرَّمة على مَن عليه حدث أكبر

فمَن كان عليه حدث أكبر حَرُمَ عليه خمس عبادات هي:

أولاً: الصلاة فرضا أو نفلاً حتى صلاة الجنازة.

ثانيًا: الطواف بالبيت الحرام.

ثالثًا: مَسُّ الْمُصحف باليد مباشرةً من غير حائل.

رابعًا: البقاء في المسجد، أما مجرَّد المرور من داخل المسجد لحاجة؛ كأن يأخذ شيئًا من المسجد، أو يضع شيئًا في المسجد؛ فلا بأس بذلك.

خامسًا: قراءة القرآن الكريم، ويستثنى من ذلك الحائض والنفساء، فلا بأس بقراءتهما للقرآن الكريم على الصحيح من قولي أهل العلم؛ لعدم ثبوت النهي الوارد في حق الحائض، فلهما قراءة القرآن حفظًا عن ظهر قلب، أو عن طريق الْمُصحف بدون مَسِّه مباشرة بل بحائل كجوارب اليدين مثلا، أو عن طريق الأجهزة الالكترونية، أو كتب التفسير، أو غير ذلك.

عباد الله... ومن المسائل المهمة المتعلقة بالاغتسال:

أولا: يجب ستر العورة عند الاغتسال أمام الآخرين، سواء أكان في البحار أو الأنهار أو المسابح العامة أو الخاصة، ومما يدل على ذلك حديث مُعَاوِيَةَ بنِ حَيْدَةَ الْقُشَيْرِيُّ ﷺ أن

النبي ﷺ قال: «احْفَظْ عَوْرَتَكَ إلا من زَوْجَتِكَ، أو ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ».رواه أحمد وأهل السنن.([٢٦٠])

ثانيا: لا تجوز السباحة المختلطة بين النساء والرجال غير المحارم، سواء أكان في البحار أو الأنهار أو المسابح العامة أو الخاصة، ومن ابتلي بوجود نساء يسبحن بقُرْبه فالواجب عليه مجانبة هذه المواضع التي تُهتك فيها أستار الحياء، وتنتهك فيها حرمة الشريعة، ويجب على المسؤولين في البلاد الإسلامية منع ذلك بكل طريق ممكن، كما يحرم على أصحاب الفنادق ونحوها وضع هذه المسابح المختلطة.

ثالثا: يجوز للرجل أن يغتسل مع امرأته وهما عاريان، سواء أكان في دورة المياه، أم كان في المسابح الخاصة، كما يجوز لكل واحد منهما أن يُغسِّلَ الآخر وينظِّفه، ومما يدل عليه الحديث السابق: «احْفَظْ عَوْرَتَكَ إلا من زَوْجَتِكَ»، وحديثُ أمِّ المؤمنينَ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النبي ﷺ قَالَتْ: «كنت أَغْتَسِلُ أنا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ من إِنَاءٍ وَاحِدٍ، نَغْرِفُ منه جميعًا».متفق عليه.([٢٦١])

رابعا: ينبغي للمسلم حينما يغتسل الاغتسال المباح كالاغتسال للتَّبرُّد أو التنظف أو غيرهما أن يحرص على استحضار نية طيبة صحيحة؛ ليؤجر على عمله هذا.

خامسا: يحرم الإسراف في الاغتسال كما هو حرام في غيره، وينبغي الحرص على مجانبة الإسراف ما أمكن ذلك، وقد كان النبي ﷺ يقتصد في غُسله ووُضوئه، فعن أَنَسٍ رضي الله عنه قال:

([٢٦٠])رواه أحمد ٣/٥، ٤، وأبو داود في كتاب الحمَّام، بَاب ما جاء في التَّعَرِّي ٤٠/٤(٤٠١٧)، والترمذي في كتاب الأدب، بَاب ما جاء في حِفْظِ الْعَوْرَةِ ٩٧/٥(٢٧٦٩)، والنسائي في الكبرى، في كتاب عشرة النساء، أبواب الملاعبة، نظر المرأة إلى عورة زوجها ٣١٣/٥(٨٩٧٢)، وابن ماجه في كتاب النكاح، بَاب التَّسَتُّرِ عِنْدَ الْجِمَاعِ ٦١٨/١(١٩٢٠)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ١٩٩/٤، قال الترمذي: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الحافظ ابن حجر: إسناده صحيح إلى بهز وأما بهز فاختلف فيه...، وأما أبوه حكيم فوثقه العجلي وابن حبان وقال النسائي ليس به بأس (تغليق التعليق ١٦٠/٢-١٦١)، وقال ابن عبد الهادي: إسناده ثابت إلى بهز وهو ثقة عند الجمهور (المحرر في الحديث١٧٣/١)، وقال ابن دقيق العيد: من يصحح هذه النسخة فالحديث عنده صحيح لصحة الإسناد إلى بهز (الإلمام ١٤٥/١)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل ٢١٢/٦ (١٨١٠).

([٢٦١])رواه البخاري في كتاب الغسل، باب تخليل الشعر حتى إذا ظن أنه قد أروى بشرته أفاض عليه ١٠٥/١(٢٦٩)، ومسلم في كتاب الحيض، بَاب الْقَدْرِ الْمُسْتَحَبِّ من الْمَاءِ في غُسْلِ الْجَنَابَةِ وَغُسْلِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ في إِنَاءٍ وَاحِدٍ في حَالَةٍ وَاحِدَةٍ وَغُسْلِ أَحَدِهِمَا بِفَضْلِ الْآخَرِ ٢٥٦/١(٣٢١).

«كان النبيُّ ﷺ يَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ، وَيَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ إلى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ».متفق عليه [٢٦٢]، وهذا قدر يسير جدًّا في الاغتسال.

سادسا: من أحْدَثَ حدثًا أكبر، ونسي الاغتسال حتى صلى عدة صلوات ثم تذكَّر حدَثه، وجب عليه الاغتسال، وإعادة الصلوات التي صلاها قبل أن يغتسل، ويُصَلِّيها عَلى الفَوْر مُرَتَّبةً ولا يؤخرها.

سابعا: من رأى على سراويله أثَر المنيّ، وجب عليه الاغتسال، وإعادة الصلوات التي صلاَّها من آخرِ نومةٍ نامَها، سواء أَذَكَرَ احتلامًا أم لم يذكره، ويُصَلِّيها عَلى الفَوْر مُرَتَّبةً ولا يؤخرها.

أقول ما تسمعون وأسأل الله تعالى أن يغفر لي ولكم ولجميع المسلمين إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ، أما بعد:

عباد الله... ومما ينبغي علينا معرفته صفة الغُسل، وهي صفتان صحيحتان إحداهما أفضل من الأخرى:

أما الصفة الأولى فهي التي يسميها العلماء: الغُسل المجزئ، وهو الغُسل الذي يَفعل فيه القدرَ الذي لا بد منه ليكون الغُسل صحيحًا، وهو غَسْلُ جميعِ البدن بالماء على أيّ صفة كانت، ويَدخل في ذلك المضمضة والاستنشاق، مع استحضار النية لما يريد إذا كان الغُسل عن حدث أكبر، أو كان غُسلا مسنونًا.

أما الصفة الثانية للغسل فهي التي يسميها العلماء: الغُسل الكامل، وهو الغُسل الذي يأتي فيه المغتسلُ بالصِّفَةِ الثابتةِ عن النبيّ ﷺ في الاغتسال، وبيانها فيما يلي:

١. استحضار النية.

٢. قول: «بِاسْم الله».

٣. غَسْلُ الكفَّين ثلاث مرات.

([٢٦٢])رواه البخاري في كتاب الوضوء، بَاب الْوُضُوءِ بِالْمُدِّ ١/٨٤(١٩٨)، ومسلم في كتاب الحيض، بَاب الْقَدْرِ الْمُسْتَحَبِّ من الْمَاءِ في غُسْلِ الْجَنَابَةِ وَغُسْلِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ في إِنَاءٍ وَاحِدٍ في حَالَةٍ وَاحِدَةٍ وَغُسْلِ أَحَدِهِمَا بِفَضْلِ الْآخَرِ ١/٢٥٨(٣٢٥)، وهذا لفظه.

٤. غَسْلُ الفَرْج وما قد يوجد حوله من آثار الجنابة (أو الحيض) باليد اليسرى.
٥. غَسْلُ اليدِ اليسرى ودلكُها مَرَّتَيْنِ أو ثَلاثًا.
٦. يتَوَضَّأَ وُضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ، ويكْمل الوُضوء أحيانًا بغسل رِجْلَيْهِ، ويتركهما أحيانًا، ويؤخر غَسلهما في آخر الغُسل.
٧. يصُبَّ الماء على رَأْسِهِ ويُخَلِّلُ شَعَرَهُ بيده ، حتى إذا يظُنَّ أَنَّهُ قد أَرْوَى بَشَرَتَهُ.
٨. يغسلُ رأسه ثَلاثَ مَرَّاتٍ.
٩. يغسل بقيَّة بدَنِه، مبتدئًا بالشِّقِّ الأيمن، ثم الشِّقِّ الأيسر.
١٠. يغْسل رِجْلَيْهِ بعد أن يتنحى قليلاً عن المكان الذي اغتسل فيه، سواء أكان غسلهما لما توضأ أم لم يغسلهما.

والدليل على هذه الصفة حديثان:

الأول: عن أمِّ المؤمنينَ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النبي ﷺ قَالَتْ: «كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا اغْتَسَلَ من الْجَنَابَةِ غَسَلَ يَدَيْهِ، وَتَوَضَّأَ وُضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، ثُمَّ يُخَلِّلُ بيده شَعَرَهُ، حتى إذا ظَنَّ أَنَّهُ قد أَرْوَى بَشَرَتَهُ أَفَاضَ عليه الْمَاءَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ غَسَلَ سَائِرَ جَسَدِهِ».متفق عليه، وفي روايةٍ لمسلم: «فَبَدَأَ فَغَسَلَ كَفَّيْهِ ثَلاثًا»، وفي رواية له أيضا: «بَدَأَ فَغَسَلَ يَدَيْهِ، قبل أَنْ يُدْخِلَ يَدَهُ في الإِنَاءِ» ، وفي رواية له أيضا: «يَبْدَأُ فَيَغْسِلُ يَدَيْهِ، ثُمَّ يُفْرِغُ بِيَمِينِهِ على شِمَالِهِ فَيَغْسِلُ فَرْجَهُ، ثُمَّ يَتَوَضَّأُ»، وفي رواية له في آخره: «ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ».[٢٦٣]

وفي رواية له قالت: «كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا اغْتَسَلَ بَدَأَ بِيَمِينِهِ فَصَبَّ عليها من الْمَاءِ فَغَسَلَهَا، ثُمَّ صَبَّ الْمَاءَ على الْأَذَى الذي بِهِ بِيَمِينِهِ، وَغَسَلَ عنه بِشِمَالِهِ، حتى إذا فَرَغَ من ذلك صَبَّ على رَأْسِهِ».[٢٦٤]

الثاني: عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عن خالتِهِ أمِّ المؤمنينَ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ زَوْجِ النبي ﷺ رضي الله عنها قالَتْ: «سَتَرْتُ النبيَّ ﷺ وهو يَغْتَسِلُ من الْجَنَابَةِ، فَغَسَلَ يَدَيْهِ[مَرَّتَيْنِ أو

([٢٦٣])رواه البخاري في كتاب الغسل، باب تخليل الشعر حتى إذا ظن أنه قد أروى بشرته أفاض عليه ١/١٠٥(٢٦٩)، ومسلم في كتاب الحيض، باب صفة غسل الجنابة ١/٢٥٣(٣١٦).

([٢٦٤])رواه مسلم في كتاب الحيض، بَاب الْقَدْرِ الْمُسْتَحَبِّ من الْمَاءِ في غُسْلِ الْجَنَابَةِ، وَغُسْلِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ في إِنَاءٍ وَاحِدٍ في حَالَةٍ وَاحِدَةٍ .. ١/٢٥٦(٣٢١).

ثَلاثًا] ثُمَّ صَبَّ بِيَمِينِهِ على شِمَالِهِ، فَغَسَلَ فَرْجَهُ وما أَصَابَهُ[من الأَذَى]، ثُمَّ مَسَحَ بيده على الْحَائِطِ أو الأرض[مَرَّتَيْنِ أو ثَلَاثًا]،[ثُمَّ غَسَلَهَا]، ثُمَّ تَوَضَّأَ وُضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ غير رِجْلَيْهِ،[ثُمَّ][غَسَلَ رَأْسَهُ ثَلاثًا][مِلْءَ كَفِّهِ]، ثُمَّ أَفَاضَ على جَسَدِهِ الْمَاءَ، ثُمَّ تَنَحَّى فَغَسَلَ قَدَمَيْهِ»، [قالتْ: فَأَتَيْتُهُ بِخِرْقَةٍ فلم يُرِدْهَا، فَجَعَلَ يَنْفُضُ بيده].متفق عليه(٢٦٥)، وفي لفظ للبخاري: «ثُمَّ دَلَكَ يَدَهُ بِالْأَرْضِ أو بِالْحَائِطِ»(٢٦٦)، ولمسلم: «ثُمَّ ضَرَبَ بِشِمَالِهِ الْأَرْضَ، فَدَلَكَهَا دَلْكًا شَدِيدًا».

ومن اللطائف الدالة على حرص السلف على تطبيق السنة عن الاغتسال ما حكاه الإمام أبو حاتم الرازي –رحمه الله تعالى–قال(٢٦٧): كنا في البحر فاحتلمت فأصبحت وأخبرت أصحابي به. فقالوا لي: اغمس نفسك في البحر. قلت: إني لا أحسن أن أسبح. فقالوا: إنا نشد فيك حبلا ونعلقك من الماء. فشدوا فيّ حبلا وأرسلوني في الماء وأنا في الهواء أريد إسباغ الوضوء(٢٦٨) فلما توضأت (يعني قبل الغُسل) قلت لهم: أرسلوني قليلا، فأرسلوني، فغمست نفسي في الماء. قلت: ارفعوني، فرفعوني.

قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)(٢٦٩).

---

(٢٦٥)رواه البخاري في كتاب الغسل، باب التستر في الغسل عند الناس ١٠٨/١(٢٧٧)، ومسلم في كتاب الحيض، باب صفة غسل الجنابة ٢٥٤/١(٣١٧)، والزيادة الأولى بين معقوفين من رواية للبخاري في كتاب الغسل،باب الْغُسْلِ مرة واحدة ١٠٢/١(٢٥٤) وهي لمسلم أيضا، والزيادة الثانية من رواية للبخاري في كتاب الغسل، باب الوضوء قبل الغسل ١٠٠/١(٢٤٦)، والزيادة الثالثة والأخيرة من رواية للبخاري في كتاب الغسل، باب من توضأ في الجنابة ثم غسل سائر جسده .. ١٠٦/١(٢٧٠)، والأخيرة عند مسلم أيضا نحوها، والزيادة الرابعة من رواية للبخاري في كتاب الغسل، باب المضمضة والاستنشاق في الجنابة ١٠٢/١(٢٥٦)، والزيادة الخامسة من رواية للبخاري في كتاب الغسل، باب من توضأ في الجنابة ثم غسل سائر جسده .. ١٠٦/١(٢٧٠)، و في باب نفض اليدين من الغسل عن الجنابة ١٠٦/١(٢٧٢)، وهي لمسلم أيضا، والزيادة السادسة من رواية للبخاري في كتاب الغسل، باب تفريق الغسل والوضوء ١٠٤/١ (٢٦٢)، والزيادة السابعة لمسلم.

(٢٦٦)رواه البخاري في كتاب الغسل،باب من أفرغ بيمينه على شماله في الغسل ١٠٤/١(٢٦٣).

(٢٦٧)تقدمة الجرح والتعديل ٣٦٤/١ .

(٢٦٨) علق على هذا الشيخ عبدالله الشمراني في كتابه الماتع إسعاف أهل العصر بأحكام البحر ص٦٤ فقال: رحم الله شيخ الإسلام ابا حاتم الرازي، فها هو في حرج من أمره ومع أنه معلق واحتمال سقوطه وارد إلا أنه أراد تطبيق السنة وهي إسباغ الوضوء قبل الغسل.

(٢٦٩)الآية ٢١ من سورة الأحزاب.

عباد الله ومما ينبغي التنبيه عليه هل يجزئ الاغتسال عن الوضوء أولا يجزئ، بمعنى أن من اغتسل هل يكفيه الاغتسال عن الوضوء؟ والجواب في هذا نقول إن فيه تفصيلا؛ فمن كان عليه حدَثٌ أكبر كالجنابة أو الحيض، فاغتسل فإنه يكفيه هذا الغسل عن الوضوء، وأما من اغتسل غُسلاً مسنونًا كيوم الجمعة ولم يكن عن جنابة، أو غُسلاً مباحًا كالاغتسال للنظافة أو التبرد؛ فإن هذا الغسل لا يجزئه عن الوضوء، والسنة على كل حال أن يتوضأ قبل الاغتسال كما تقدم في صفة الغسل الكامل عن النبي ﷺ.

عباد الله....اتقوا الله تعالى حقَّ التقوى، واستمسِكوا من الإسلام بالعُروة الوُثقَى، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَق تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُن إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)، واعلموا أن من اتَّقى الله وقاه، وكفاه وأسعدَه وآواه.

وتقوى الله خيرُ الزاد ذُخرًا******وعند الله للأتقَى مزيدٌ

اتقوا الله تعالى واعلموا أنكم غدا بين يدي الله موقوفون وبأعمالكم مجزيون وعلى كسبكم محاسبون، وأن المصير إما إلى جنة المأوى وإما إلى نار تلظى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ).... اللهم.....

الخطبة الثامنة عشرة:أحكام أوقات الصلاة والاهتمام بها

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)،(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)،(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)، أما بعد:

أيها المؤمنون... لَمَّا فرض الله الصلاة على النبي ﷺ والمسلمين...نزل جبريل عليه السلام....نزل لأمر عظيم...نزل ليعلِّم النبي ﷺ متى يصلي...نزل عند الكعبة المشرفة ...يومين كاملين يأتيه لكل صلاة...عشر صلوات يصليها جبريل عليه السلام الْمَلك الكريم بالنبي ﷺ الرسول الكريم...يقول رسول اللَّهِ ﷺ: «أَمَّنِي جِبْرِيلُ عليه السَّلام عِنْدَ الْبَيْتِ مَرَّتَيْنِ، فَصَلَّى بِيَ الظُّهْرَ حين زَالَتْ الشَّمْسُ وَكَانَتْ قَدْرَ الشِّرَاكِ، وَصَلَّى بِيَ الْعَصْرَ حين كان ظِلُّهُ مثله، وَصَلَّى بِيَ يَعْنِي الْمَغْرِبَ حين أَفْطَرَ الصَّائِمُ، وَصَلَّى بِيَ الْعِشَاءَ حين غَابَ الشَّفَقُ، وَصَلَّى بِيَ الْفَجْرَ حين حَرُمَ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ على الصَّائِمِ.

فلما كان الْغَدُ: صلَّى بِيَ الظُّهْرَ حين كان ظِلُّهُ مثله، وَصَلَّى بِي الْعَصْرَ حين كان ظِلُّهُ مِثْلَيْهِ، وَصَلَّى بِيَ الْمَغْرِبَ حين أَفْطَرَ الصَّائِمُ، وَصَلَّى بِيَ الْعِشَاءَ إلى ثُلُثِ اللَّيْلِ، وَصَلَّى بِيَ الْفَجْرَ فَأَسْفَرَ، ثُمَّ الْتَفَتَ إلي فقال: يا محمد هذا وَقْتُ الأنبياء من قَبْلِكَ، وَالْوَقْتُ ما بين هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ».رواه أحمد وأبو داود والترمذي.([٢٧٠])

([٢٧٠])رواه أحمد ٣٣٣/١، وأبو داود في كتاب الصلاة، بَاب في الْمَوَاقِيتِ ١٠٧/١(٣٩٣)، وهذا لفظه، والترمذي في كِتَاب أبواب الصَّلَاةِ، بَاب ما جاء في مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ عن النبي ﷺ ٢٧٨/١(١٤٩)، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وصححه ابن خزيمة ١٦٨/١(٣٢٥)، قال ابن الملقن (البدر المنير ١٥٠/٣): هذا الحديث أصلٌ أصيل في هذا الباب.

عباد الله... يقول الله تعالى: (إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً)[٢٧١]، والمعنى أن الصلاة مفروضةٌ في أوقاتٍ محدَّدة. وقد اتفق المسلمون على أن للصلاة المفروضة أوقاتا يجب مراعاتها، وأن دخول الوقت شرط من شروط الصلاة، ومعنى أن الوقت من شروط الصلاة أن الصلاة لا تصح قبله، كما إنه لا يجوز تأخيرها بعده.

عباد الله... ما ذا ترون في شخص يأتي إلى دَوامِه كلَّ يوم بعد خروج الناس مِن أعمالهم؟ هل يعتبره مَن وضع وقتا للدوام قد داوم.. وهل يقبل منه أن يتأخر بهذه الصورة كل يوم.. إن جميع العقلاء متفقون على أن الذي يعمل هذا العمل لا يستحق أن يكون موظفا في دائرته، ويعلمون أنه إذا استمر على هذا فإنه لا يمكن أن يُسكت عنه، وأن مصيره إلى أن يطرد من عمله.. عباد الله فإذا كان الذي أمرنا بالصلاة هو الله جل في علاه، وهو الذي حدَّد لها أوقاتا محدَّدة لا يجوز لمسلم أن يضيعها أو يفرط فيها.. فالواجب مراعاة هذه الأوقات وعدم تجاوزها ... {وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ }هود١١٤

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «وَقْتُ الظُّهْرِ إذا زَالَتْ الشَّمْسُ وكان ظِلُّ الرَّجُلِ كَطُولِهِ ما لم يَحْضُر الْعَصْرُ، وَوَقْتُ الْعَصْرِ ما لم تَصْفَرَّ الشَّمْسُ، وَوَقْتُ صَلاةِ الْمَغْرِبِ ما لم يَغِبْ الشَّفَقُ، وَوَقْتُ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إلى نِصْفِ اللَّيْلِ الْأَوْسَطِ، وَوَقْتُ صَلَاةِ الصُّبْحِ من طُلُوعِ الْفَجْرِ ما لم تَطْلُعْ الشَّمْسُ، فإذا طَلَعَتْ الشَّمْسُ فَأَمْسِكْ عن الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بين قَرْنَيْ شَيْطَانٍ».رواه مسلم.[٢٧٢]

عباد الله.. يجب الحرص على فعل الصلاة في وقتها، وتأخيرها عن وقتها ذنب عظيم، وكبيرة من الكبائر التي يجب الحذر منها، اسمعوا إلى الله تعالى وهو يحذر من ذلك في كتابه الكريم: (فويلٌ لِلمصلينَ الذين هم عن صلاتهم ساهون)[٢٧٣]، قال بعض السلف: هم الذين

([٢٧١])الآية ٣١ من سورة الأعراف.

([٢٧٢]) رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَاب أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ٤٢٧/١ (٦١٢).

([٢٧٣]) الآية ٤-٥ من سورة الماعون.

يؤخرونها عن وقتها[٢٧٤] فقد توعد بالويل من أخر الصلاة عن وقتها وإن صلاها بعد ذلك. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: تأخير الصلاة عن وقتها الذي يجب فعلها فيه عمدا من الكبائر بل قد قال عمر بن الخطاب ﷺ: الجمع بين الصلاتين من غير عذر من الكبائر.[٢٧٥] وقال: وفى الصحيح عن النبي ﷺ قال: من فاتته صلاة العصر فقد حبط عمله، وحبوط العمل لا يُتوعد به إلا على ما هو من أعظم الكبائر، وكذلك تفويت العصر أعظم من تفويت غيرها فإنها الصلاة الوسطى المخصوصة بالأمر بالمحافظة عليها... وفي الصحيح عن النبي ﷺ أيضا أنه قال: من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهلَه وماله، والموتور أهلُه وماله يبقى مسلوبا ليس له ما ينتفع به من الأهل والمال وهو بمنزلة الذي حبط عمله. [٢٧٦]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: ومَن كان في موضع نجس ولم يمكنه أن يخرج منه حتى يفوت الوقت؛ فإنه يصلي فيه ولا يفوِّت الوقت؛ لأن مراعاة الوقت مقدمة على مراعاة جميع الواجبات، وأما إن كان يعلم أنه إذا ذهب إلى الحمام لم يمكنه الخروج حتى يخرج الوقت؛ فالأظهر انه يصلى بالتيمم؛ فإن الصلاة بالتيمم خير من الصلاة في الأماكن التي نهي عنها، وعن الصلاة بعد خروج الوقت.[٢٧٧]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: الأصول متفقة على أنه متى دار الأمر بين الإخلال بوقت العبادة والإخلال ببعض شروطها وأركانها كان الإخلال بذلك أولى كالصلاة، فإن المصلى لو أمكنه أن يصلي قبل الوقت بطهارة وستارة مستقبل القبلة مجتنب النجاسة ولم يمكنه ذلك في الوقت فانه يفعلها في الوقت على الوجه الممكن ولا يفعلها قبله بالكتاب والسنة والإجماع [٢٧٨]، وكذلك أيضا لا يؤخر العبادة عن الوقت بل يفعلها فيه بحسب

([٢٧٤]) انظر تفسير الآية من تفسيري الطبري وابن كثير.

([٢٧٥]) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥٣/٢٢.

([٢٧٦]) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥٤/٢٢- ٥٥.

([٢٧٧])مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٦١/٢٢.

([٢٧٨])هذا الإجماع في الصلاة قبل الوقت أما بعده فالظاهر وجود الخلاف كما أشار إليه بعد.

الإمكان، وإنما يُرخص للمعذور في الجمع لأن الوقت وقتان وقت مختص لأهل الرفاهية، ووقت مشترك لأهل الأعذار والجامع بين الصلاتين صلاهما في الوقت المشروع، لم يفوِّت واحدة منهما، ولا قدَّمها على الوقت المجزىء باتفاق العلماء.[٢٧٩]

وقال أيضا رحمه الله: الصلاة في الوقت واجبة على أي حال بترك جميع الواجبات لأجل الوقت، فإذا أمكنه أن يصلي في الوقت بالتيمم أو بلا قراءة أو بلا إتمام ركوع وسجود أو إلى غير القبلة أو يصلي عُريانا أو كيفما أمكن وجب ذلك عليه، ولم يكن له أن يصلي بعد الوقت مع تمام الأفعال، وهذا مما ثبت بالكتاب والسنة وعامته مجمع عليه. فعلم أن الوقت مقدم على جميع الواجبات وحينئذ فمن صلى في الوقت بلا قراءة أو عُريانا متعمدا ونحو ذلك إذا أمر أن يصلي بعد الوقت بقراءة وسترة كان ما أمر به دون ما فعله، ولهذا إذا لم يمكن إلا أحدهما وجب أن يصلي في الوقت بلا قراءة ولا سترة ولا يؤخرها ويصلي بعد الوقت بقراءة وسترة.[٢٨٠]

وقال أيضا رحمه الله: ومعلوم أن الوقت للصلاة مقدم على هذه الفروض وغيرها فإنه لا نزاع بين المسلمين أنه إذا علم المسافر العادم للماء أنه يجده بعد الوقت لم يجز له تأخير الصلاة ليصليها بعد الوقت بوضوء أو غسل بل ذلك هو الفرض .. ومعلوم أنه إن علم أنه بعد الوقت يمكنه أن يصلى بإتمام الركوع والسجود والقراءة كان الواجب عليه أن يصلي في الوقت لإمكانه.اهـ كلامه رحمه الله.[٢٨١]

وهذا بيان عظيم يزيل الجهل عن الجاهلين، ويذكر الغافلين.. فلا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها بحال من الأحوال.. فالمريض يصلي في الوقت حسب ما تيسر له..والمسافر يجمع بين الصلاتين ولا يؤخر الصلاة عن وقتها.. والمرأة في بيتها لا تؤخر الصلاة بسبب انشغالها.. وكثير من النساء يؤخرن صلاة العشاء إلى الساعة الحادية عشرة والنصف والثانية عشرة ليلا وهذا إخراج لها عن وقتها فالواجب تنبيه النساء على ذلك.

([٢٧٩])مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٦ / ٢٣٢.

([٢٨٠])منهاج السنة النبوية ٥/٢٢١.

([٢٨١])مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٢/٥٦-٥٧.

عباد الله... لَمَّا حضرت أبا بكر ﷺ الوفاةُ أرسلَ إلى عمرَ ﷺ يَسْتَخْلِفُه، فقال: إني مُوصيكَ وصيَّةً أن تَحْفَظَهَا: إنَّ للهِ حقًّا باللَّيلِ لا يقبلُه بالنهار، وإنَّ للهِ حقًّا في النَّهار لا يقبلُه في اللَّيلِ، واللهُ لا يقبلُ نافلةً حتى تؤدَّي الفريضة.

إنما ثقلتْ مَوَازِينُ مَن ثَقُلَتْ موازينُهمْ يومَ القيامةِ بِاتِّباعِهم الْحَقَّ في الدُّنيا وَثِقَلِهِ عَلَيْهِمْ، وحُقَّ لِمِيزانٍ لاَ يُوضَعُ فيهِ إلاَّ الْحَقَّ أنْ يَكونَ ثَقِيلاً.

وإنما خَفَّتْ مَوَازِينُ مَن خَفَّتْ موازينُهمْ يومَ القيامةِ بِاتِّباعِهم الباطلَ في الدُّنيا وخِفَّتِهِ عَلَيْهِمْ، وحُقَّ لِمِيزانٍ لاَ يُوضَعُ فيهِ يومَ القيامةِ إلاَّ الباطلَ أن يَكونَ خَفِيفًا.([٢٨٢])

عباد الله.. صفة ذميمة ذكرها الله تعالى وتهدد أصحابها...فاستمع إلى ربك وحاذر أن تكون من أصحابها فينالك هذا التهديد...يقول الله تعالى: (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا)، وغيٌّ: واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لسالت من حره... سئل ابن مسعود ﷺ عن إضاعتها فقال: هو تأخيرها حتى يخرج وقتها. فقيل له: ما كنا نرى ذلك إلا تركَها! فقال: لو تركوها لكانوا كُفَّارًا.

ولكن ما الذي ألهاهم عن الصلاة وسبَّب لهم إضاعتَها؟ لقد بين الله الله تعالى بقوله بقوله: (واتبعوا الشهوات)...إذا هو اتباع الشهوات بأنواعها...فكل من ضيع الصلاة فبسبب اتباع شهواته.. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وهذا يتناول كلَّ مَن استعمل ما يشتهيه عن المحافظة عليها في وقتها، سواء كان المشتَهى من جنس المحرَّمات كالمأكول المحرم والمشروب المحرم والمنكوح المحرم والمسموع المحرم، أو كان مِن جنس المباحات لكن الإسراف فيه ينهى عنه، أو غير ذلك فمَن اشتغل عن فعلها في الوقت بلعب أو لهو أو حديث مع أصحابه أو تَنَزُّهٍ في بستانه أو عمارةِ عقاره أو سعيٍ في تجارته أوغير ذلك فقد أضاع تلك الصلاة واتبع

([٢٨٢]) رواه أبو داود في كتاب الزهد ص٥٢ (٢٩) عن زبيد بن الحارث اليامي، وقال محققه: رجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعا. وعزاه لابن أبي شيبة وابن المبارك في الزهد وابن شبة في تأريخ المدينة كلهم من طريق إسماعيل به، ورواه أيضا عنه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٤١٢/٣٠- ٤١٣، وعزاه محقق الزهد لأبي عبيد في المواعظ والخطب ص ١٩٨- ٢٠٠ عن ابن سابط، ورواه أيضا: أبو نعيم في حلية الأولياء ٣٦/١- ٣٧ عن عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط، ورواه أيضا: أبو سليمان محمد بن عبدالله الربعي في وصايا العلماء ص٣٢ عن أبي المليح، ورواه أيضا ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق٤١٣/٣٠- ٤١٤، عن ابن أبي نجيح، وهذه المقاطيع يقوي بعضها بعضا.

ما يشتهيه. [٢٨٣] ..... فإلى الذين ألهاهم السهر على القنوات عن الصلاة ألا يتعظون ويتذكرون.. إلى متى وهم في غوايتهم.. وإلى الذين ألهاهم السهر في المقاهي بأنواعها.. ألا يراجعون أنفسهم.. إلى متى هذا اللهو بالشهوات الباطلة عن الصلاة.. وإلى الذين ألهاهم السعي في تجاراتهم حتى ضيَّعوا الصلوات.. هل تظنون أنكم معمَّرون في هذه الحياة.. وإلى جميع اللاهين التائهين الضائعين المضيعين للصلاة المؤخرين لها عن وقتها.. متى تفيقون.. متى تستيقظون.. سوف يأتي يوم لا ينفع فيه الندم على التفريط.. {حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ . لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)[٢٨٤] .. ذلك اليوم الذي يصاب فيها العاصون بالخزي والعار (وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ{٨٧} يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ{٨٨} إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ{٨٩} وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ{٩٠} وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ).[٢٨٥]

(يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) ومن ألهاه ماله وولده عن فعل المكتوبة في وقتها دخل في ذلك فيكون خاسرا.[٢٨٦]

أقول ما تسمعون وأسأل الله تعالى أن يغفر لي ولكم ولجميع المسلمين إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ، أما بعد:

عباد الله.. من نسي صلاة أو نام عنها حتى خرج وقتها فالواجب عليه فعلها أول ما يتذكر أو يستيقظ، ولا يجوز تأخيرها بعد ذلك، **والدليل على هذا:** حديث أَنَسِ بن مالكٍ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال:«من نَسِيَ صَلاةً فَلْيُصَلِّ إذا ذَكَرَهَا، لا كَفَّارَةَ لها إلا ذلك، (وَأَقِمْ الصَّلاةَ

([٢٨٣])ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٢/٥٣-٥٦ مختصرا.

([٢٨٤])المؤمنون٩٩- ١٠٠.

([٢٨٥]) الشعراء ٨٧- ٩١.

([٢٨٦])ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٢/٥٦.

لـذكري)».متفـق عليـه، ولمسـلم: «مَـن نَسِـيَ صَـلاةً أو نَامَ عنهـا فَكَفَّارَتُهَـا أَنْ يُصَـلِّيَهَا إذا ذَكَرَهَا». (٢٨٧)

عباد الله.. من كان مسافرًا بطائرة، أو في قطار، ولا تتوقف إلا بعد خروج وقت الصلاة؛ فالواجب عليه أن يصلي الصلاة في وقتها ولا يؤخرها حتى ينزل من مركوبه. وهكذا من سافر في حافلة وامتنع السائق من إيقافها في وقت الصلاة.

عباد الله.. يجب الحذر مما يتساهل فيه بعض الناس من تأخير صلاة الفجر حتى يخرج وقتها، والواجب على المسلم بذل الأسباب الْمُعِينة له على الاستيقاظ لصلاة الفجر.

وقال تعالى: (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ. رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ). (٢٨٨)

عباد الله....اتقوا الله تعالى حقَّ التقوى، واستمسِكوا من الإسلام بالعُروة الوُثقَى، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَق تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُن إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)، واعلموا أن من اتَّقى الله وقاه، وكفاه وأسعدَه وآواه.

وتقوى الله خيرُ الزاد ذُخرًا******وعند الله للأتقَى مزيدٌ

اتقوا الله تعالى واعلموا أنكم غدا بين يدي الله موقوفون وبأعمالكم مجزيون وعلى كسبكم محاسبون، وأن المصير إما إلى جنة المأوى وإما إلى نار تلظى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ).... اللهم.....

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

---

(٢٨٧)رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة ، باب من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها ولا يعيد إلا تلك الصلاة ١/٢١٥(٥٧٢)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها ١/٤٧٧(٦٨٤).

(٢٨٨) النور٣٦-٣٧.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)،(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)،(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)، أما بعد:

أيها المؤمنون... أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»، هكذا كان يقول الصحابي الجليل عبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ رضي الله عنهما... لقد استفاد ابنُ عُمَرَ رضي الله عنهما من هذا الدرس النبوي الجليل فكان يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. رواه البخاري.(٢٨٩)

وفي موقف آخر مع سيد الأولين والآخرين يحدثنا عنه الصحابي الكبير.... عبد اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قال: اضْطَجَعَ رسول اللَّهِ ﷺ على حَصِيرٍ فَأَثَّرَ في جَنْبِهِ فلما اسْتَيْقَظَ جَعَلْتُ أَمْسَحُ جَنْبَهُ فقلت يا رَسُولَ اللَّهِ أَلاَ آذَنْتَنَا حتى نَبْسُطَ لك على الْحَصِيرِ شَيْئاً فقال رسول اللَّهِ ﷺ مالي وَلِلدُّنْيَا ما أنا وَالدُّنْيَا إنما مثلي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَرَاكِبٍ ظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا.رواه أحمد والترمذي

وفي موقف ثالث مع خير البرية وسيد البشرية يحدثنا عنه الصحابي الجليل جَابِرُ بن عبد اللَّهِ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلاً مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟»، فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لنَا بِشَيْءٍ، ومَا نَصْنَعُ بِهِ؟! قالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ»، قَالوا: والله لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فيه لأَنَّهُ أَسَكُّ؛ فَكَيْفَ وهو مَيِّتٌ؟ فقالَ: «فَوَاللَّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ».رواه مسلم.(٢٩٠)

---

(٢٨٩) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» ٥/٢٣٥٨(٦٠٥٣).

(٢٩٠) رواه مسلم أول كِتَاب الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ ٤/٢٢٧٢(٢٩٥٧)، والجَدْيُ: هو الذكر من أولاد المعز والأنثى عناق، والأسَكُّ: صغير الأذنين.

وفي موقف رابع مع معلم الناس الخير ﷺ يحدثنا عنه الصحابي الجليل سَهْلُ بن سَعْدٍ رضي الله عنه قال: كنا مع رسول اللَّهِ ﷺ بِذِي الْحُلَيْفَةِ فإذا هو بِشَاةٍ مَيِّتَةٍ شَائِلَةٍ بِرِجْلِهَا فقال أَتُرَوْنَ هذه هَيِّنَةً على صَاحِبِهَا فَوَ الَّذِي نَفْسِي بيده لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ على اللَّهِ من هذه على صَاحِبِهَا، وَلَوْ كانت الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ما سَقَى كَافِرًا منها قَطْرَةً أَبَدًا.رواه ابن ماجه والحاكم والطبراني، وأصله في الترمذي دون أوله.

عباد الله ....لماذا كل هذه المواقف وغيرها كثير من رسول الله ﷺ في التحذير من الدنيا...إنه ﷺ الناصح الأمين يحذرنا من الركون للدنيا.. والانكباب عليها.... وهذه آيات القرآن الكثيرة تعرفك بحقيقة هذه الدنيا... قال تعالى: (وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)[٢٩١]، مَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إلا لهو باطل، ولعب كلعب الصبيان، ولهو كلهو الشبَّان، وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحياة الحقيقية الكاملة، هي دار الحياة التي لا موت فيها... لا تغتر بالدنيا... إياك ثم إياك أن تنسيَك الدنيا ومتاعُها الزائل الفاني الدارَ الآخرة... قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ).[٢٩٢] قال تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ).[٢٩٣]

هذه الآيات والأحاديث تناديك يا عبد الله... يا غافلًا تنبه... يا نائمًا استيقظ... لقد أصبحَتْ حياة كثير منا لا همَّ لهم إلا الدنيا... حتى ضيعوا الآخرة... لهثٌ وراءَ الحطام الفاني... كذبٌ لأجل الدنيا .... نفاقٌ.. لأجل الدنيا .... يعق والديه.. لأجل الدنيا .... يفسد آخرته.. لأجل الدنيا .... يأكل الحرام.. من الربا والرشوة... تتألم لمسلم يدفع الرشوة.. وتتألم لمسلم يأكل الرشوة... وأَلَمُك أكثر لمن يطلبها... تتعجب ممن يأكل الربا ولا يبالي بالحلال من الحرام.. أين القلوبُ الحية أين مخافةُ الله (ولمن خاف مقام ربه جنتان) .. أين التقوى؟ أين مراقبةُ الله.... أين النظرُ للآخرة...

([٢٩١]) سورة العنكبوت آية ٦٤.

([٢٩٢]) سورة فاطر آية ٥.

([٢٩٣]) سورة آل عمران آية ١٨٥.

أيها اللاهثون وراء الدنيا رويدا.... توقفوا قليلا وانظروا ما أنتم عليه... انظروا هل عَمَرْتم مساكنكم الحقيقية أو أنكم تهدمونها... فإذا احتجتم إليها وجدتموها خرابا.. الدنيا لا تستحق منا كل هذا اللهث...والسُّعار... أصبح كثير منا حاله كحال بعض الكافرين... لا يفكر في آخرته... وكأنها لم توجد... غاية تفكيره محدود بحدود دنياه فحسب... فهو يعيش ليومه... يعيش لدنياه..

عباد الله ....لابد أن نعي ولا أقول نعرف فكلنا نعرف.. نعي لماذا وجدنا.. لماذا خلقنا.. لماذا نحن في هذه الدنيا... هل نحن فيها لنعمُرَها بأي شيء... كلا والذي نفسي بيده...إنما نحن فيها لنَعمُرَها بما يوصِلُنا إلى الله... بما يقرّبنا إليه... بما لا يخالف منهجه... (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)..... كثير من الناس اليوم ليس للآخرة من حياته إلا الفُتات.... وحتى هذا الفُتات ضيعنا كثيرا منه... لا نأتي للصلاة إلا دِبارا... نضيع صلاة الفجر.... صلاة الجماعة.....نصلي بلا خشوع.... نبحث عن الرخص....نتتبع زلات العلماء...حدثني بعض الدعاة الفضلاء أنه ألقى كلمة في أحد المساجد عن التبكير للصلاة... فقال له رجل بعد الكلمة: إن لي سنتين لم أسلِّم مع الإمام... لا يأتي للصلاة إلا متأخرا.. أهذا من الاهتمام بالصلاة.

عباد الله.... لابد من وقفة جادة... جادة.... للتصحيح... لا ينبغي أن نتملق لبعضنا... بل ننصح لبعضنا...الدنيا لا تستحق ما نعمله لأجلها... سماه الله دنيا لحقارتها...

يجب أن يكون تفكيرنا متعلقا بالآخرة.... وحياتنا الدنيا كلها مرتبطة بالآخرة.... (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين)، ليس معناه أن نصلي كل الوقت أو نصوم كل الأيام .... هذا مما نهى عنه النبي ﷺ ... فقد نهى الرسول ﷺ عن صوم الدهر ... وما قام ليلة كاملة حتى أصبح.. فليس هذا من هديه ﷺ، بل عاتب من قال من الصحابة رضي الله عنهم: أقوم ولا أنام... والذي قال: أصوم ولا أفطر... وعاتب عبدَ الله بن عمرو في الإكثار من الصيام والقيام، وقال له: إن لأهلك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولزَورك عليك حقًّا، فأعط كل ذي حق حقه..... ولكن المعنى أن نهتم بالآخرة... نهتم أن تكون حياتنا كلُّها لله... نعمل لله... حتى المباحات نستخدمها في طاعة الله... أن نعمل لدين الله... أن لا نخالف منهج الله الذي ارتضيناه لنا دينا ومنهج حياة.. أن نُسْلم وجوهنا لله جل وعلا..

إن أحسن وصف لحال المسلم مع الدنيا...وهو الذي ينبغي أن يمثل واقعنا فيها... ما قصَّه الله علينا من حال الناصحين الذين قالوا لقارون: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ }القصص٧٧.. ألا تلاحظون أن كثيرا من الناس اليوم عَكَسَ هذه الآية...فصار ابتغاؤه وطلبه للحياة الدنيا يلهث فيها بكل طاقته حتى ضيَّع الآخرة ولسان حاله يقول: ولا تنس نصيبك من الآخرة، ومع هذا فقد نسيه.... إنه يقدم الدنيا على الآخرة.... لقد انعكس هذا تماما... كأنه خلق للدنيا يريد أن يستمتع بها حتى آخر لحظة وحتى آخر طاقة بأي طريق...ألا تراه لا يستيقظ لصلاة الفجر... ويستيقظ للدنيا.... ولا يوقظ أولاده لصلاة الفجر... ويوقظهم للدنيا... ولا ينصح زميله ولا أولاده في شأن الآخرة... ونصيحته في أمر الدنيا... ولربما غضب ورفع صوته إذا نصحه أحد في أمر الآخرة... ويفرح إذا نصحه أحد في أمر الدنيا ويشكره.... إلى ما لا يحصى من الصور في واقعنا كلها تشهد أن كثيرا من الناس اليوم... حتى لم يَصْدُق عليهم حتى المفهوم المنكوس (ولا تنس نصيبك من الآخرة) بل قد نسوه بالفعل... فلم تعد الآخرة لهم على بال.... هؤلاء هم الغافلون... هم المعرضون... فاحذر يا عبد الله...احذر أن تكون منهم.... كن على حَذَرٍ دائمٍ... وتذكَّر دائما أن تكون ممن يبتغي في حياته الدار الآخرة.... ولا ينسى نصيبه من الدنيا.

في ليلة من ليالي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومُه يَميل في محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السَّليم، ويبكي بكاء الحزين، وهو يقول: يا ربنا يا ربنا يتضرع إليه ثم يقول للدنيا: إليَّ تغرَّرتِ، إليَّ تشوَّفتِ، هيهات هيهات غرِّي غيري، قد بتتك ثلاثا، فعمرك قصي، ومجلسك حقير، وخطرك يسير، آهٍ آهْ مِن قِلَّة الزاد، وبعد السفر، ووَحشة الطريق.([٢٩٤])

([٢٩٤]) حلية الأولياء ٨٤/١.

ودخلَ ﷺ يوما بيت مال المسلمين، فأعطى جميع ما فيه وهو يقول: يا صفراء ويا بيضاء غرّي غيري، ها وها حتى ما بقي منه دينار ولا درهم، ثم أمره بنضحه وصلى فيه ركعتين.[٢٩٥]

أقول ما تسمعون وأسأل الله تعالى أن يغفر لي ولكم ولجميع المسلمين إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ، أما بعد:

يحدثنا الصحابي الجليل عَمْرُو بن عَوْفٍ الأَنْصَارِيّ ﷺ وكان شَهِدَ بَدْرًا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بنَ الْجَرَّاحِ ﷺ إلى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ هو صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ وَأَمَّرَ عليهم الْعَلاءَ بنَ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أبو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتْ الأَنْصَارُ بِقُدُومِ أبي عُبَيْدَةَ، فَوَافَتْ صَلاةَ الصُّبْحِ مع النبيِّ ﷺ[٢٩٦]، فلما صلَّى بِهِمْ الْفَجْرَ انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا له، فَتَبَسَّمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ حين رآهم، وقال: «أَظُنُّكُمْ قد سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قد جاء بِشَيْءٍ»، قالوا: أَجَلْ يا رَسُولَ اللَّهِ، قال: «فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا ما يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ لا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخَشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كما بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كما أَهْلَكَتْهُمْ».متفق عليه.[٢٩٧] وفي روايةٍ لهما: «وَتُلْهِيَكُمْ كما أَلْهَتْهُمْ».[٢٩٨]

ولقد أحسن القائل:

إن لله عبادا فُطَنَـــا طلَّقوا الدنيا وخافوا الفِتَنَا

([٢٩٥]) المرجع السابق ٨١/١.

([٢٩٦]) كانت لهم مساجد أخرى يصلون فيها ففي المدينة تسعة مساجد، والمراد هنا أنهم اجتمعوا عليه وصلوا معه.

([٢٩٧]) رواه البخاري في أبواب الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب ١١٥٢/٣(٢٩٨٨)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق ٢٢٧٣/٤(٢٩٦١).

([٢٩٨]) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ٢٣٦١/٥(٦٠٦١)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق ٢٢٧٣/٤(٢٩٦١).

نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحي وطنـــا

جعلوها لجة واتخـذوا صالح الأعمال فيها سفنا (رياض الصالحين ص٦)

لا تنس وأنت في خِضَمِّ الحياة ثلاثا:

الأولى: أنتَ لم تخلق لهذه الحياة بل خُلقت لغيرها فربك يقول وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانو يعملون

والثانية: إذا تيقنت من الأولى فلابد أن يكون جميع عملك مما لا يقطعك عن الحياة الحقيقية التي خلقت لها بل ينبغي أن يكون رائدا لك في تحسينها وتحقيقها فتجعلها مزرعة حقيقية للدار الحقيقية.

والثالثة: أن الله تعالى لَمَّا خلقك فقد كرمك ولم يتركَّ سدى كالبهائم وقد وفقك للهدى فلم يجعلك كالكفار الذين لا يدرون لماذا خلقوا {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ }الأعراف١٧٩، {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً }الفرقان٤٤

{الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً }الكهف١٠٤

{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ }المؤمنون١١٥ {أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى }القيامة٣٦

احذر أن تستولي الدنيا على قلبك .. واعلم أن أساس سعادتك أن لا تنسى الآخرة ولذلك أمرك النبي ﷺ بتذكرها وعدم الغفلة عنها (زوروا القبور فإنها تذكر الآخرة).

عباد الله.... لسنا ندعو لترك الدنيا.... ولكن حال كثير منَّا اليوم... الانكباب على الدنيا... فنحن لا نكاد نخاف على أحد اليوم أن يَنْكَبَّ على الآخرة... وينسى نصيبَه من الدنيا... هذا لا يكاد يوجد الآن... ولا نكاد نسمعه في واقعنا اليوم... ومع هذا فنقول: التوسط والاعتدال هو منهاج سيد الأنام ﷺ... فيا ليتنا نتتبع آثاره ﷺ ما أمكننا.... كانت حياته كلها لله...وكان أزهد الناس في الدنيا وأكثرَهم إقبالا على الآخرة.... كانت حياته نمطا فريدا من التوسط والاعتدال... فكان النبي ﷺ مع زهده.... يتجمل ويلبس الثياب الحسنة وقال: إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده.... وكان ﷺ يركب الخيل والبغال والجمال

ويركب مع هذا الحمير ولا يتكبر ويستنكف، فحاله ﷺ أحسن حال لا يتكلف ولا يستنكف ...وكان يتجمل للوفد والجمعة ... وكان ﷺ يحب الطِّيب ... وأنكر أشد الإنكار على مَن ترك اللحم وقام جميع الليل وترك التزوج وصام دهره... وقال لمن تبتل وانقطع عن الدنيا.... إن لأهلك عليك حقا.... وكان ﷺ يسابق عائشة ويلاعبها.... ويرمي مع أصحابه بالنبل ويسابق بين الخيل... ولا يُلهيه هذا عن غيره من الطاعات .. بل إنه ﷺ كان يجعل كل هذا وكل حياته عبادة عملا بقوله ربه جل وعلا له: (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين)

عباد الله.... إن علاج الانكباب على الدنيا يتلخص في أن: تذكر دوما لماذا خلقك الله .... وتذكر حقيقة هذه الدنيا، وإياك أن تغفل عنها أو تتخذها دار مقامة... صاحِب مَن يقربك إلى الله....صاحِب مَن ينصحك ويعينك على طريقك إلى الله ....تجنب الحرام... وتمسك بالواجبات.. أصلح نيتك ... واجعل في كل حياتك نيةً صالحة لله تعالى..

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لاّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ)[٢٩٩]، (وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً) [٣٠٠].

عباد الله....اتقوا الله تعالى حقَّ التقوى، واستمسِكوا من الإسلام بالعُروة الوُثقَى، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَق تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُن إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)، واعلموا أن من اتَّقى الله وقاه، وكفاه وأسعدَه وآواه.

وتقوى الله خيرُ الزاد ذُخرًا*****وعند الله للأتقَى مزيدٌ

اتقوا الله تعالى واعلموا أنكم غدا بين يدي الله موقوفون وبأعمالكم مجزيون وعلى كسبكم محاسبون، وأن المصير إما إلى جنة المأوى وإما إلى نار تلظى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ).... اللهم.....

---

[٢٩٩] سورة لقمان آية ٣٣.

[٣٠٠] سورة الإسراء آية ١٩.

الخطبة التاسعة عشرة : الذِّكرُ الحسن والأعمال الباقية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)،(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)،(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)، أما بعد:

عباد الله.. يحدثنا ابنُ عباس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: لما كانت الليلة التي أسرى بي فيها أتت علي رائحة طيبة، فقلت: يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة؟ فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادِها. قال: قلت: وما شأنها؟ قال: بينا هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقطت المِدْري[٣٠١] من يديها؛ فقالت: بسم الله، فقالت لها ابنة فرعون: أبي! قالت: لا ولكن ربي ورب أبيك الله. قالت: أخبره بذلك! قالت: نعم، فأخبرته، فدعاها، فقال: يا فلانة وإن لك ربا غيري؟! قالت: نعم ربي وربك الله، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت، ثم أمر بها أن تلقى هي وأولادُها فيها.

قالت له: إن لي إليك حاجة. قال: وما حاجتك؟ قالت: أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد، وتدفِنَنَا.

قال: ذلك لك علينا من الحق.

قال: فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحدا واحدا؛ إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها مرضَع وكأنها تقاعست من أجله، قال: يا أمَّه اقتحمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة

---

(٣٠١) الْمُشط (قاموس مادة:دري).

فاقتحمت.(وفي لفظ: يا أمَّتاه أُثْبُتِي فإنك على الحق)(وفي لفظ: اصبري).[٣٠٢] رواه أحمد وغيره بسند صحيح.

بأي شيء وصلت هذه المرأة الضعيفة المستضعفة إلى هذه الدرجة في الجنة، وإلى أن تذكر في خبر الصادق المصدوق ﷺ، وإلى أن تُشَمَّ رائحتها العطرة، وإلى أن تُذكر في هذا العصر وهذا المصر بعد تطاول السنين، ومرور مئاتِ الأعوام بل آلافِها على موتها رضي الله عنها.

إنه التوحيد .. إنه الثبات على الحق مهما كانت الظروف والأسباب ... إنه الاعتزاز بالانتساب للرب العظيم ... وهي وإن قُتلت إلا إنها انتصرت بدينها، وفازت بجنة ربها (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز).

وفي الزمان نفسه والمكان نفسه تَرفع امرأةٌ أخرى صوتها إلى الله عز وجل تلهج بالدعاء: (رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)[٣٠٣]، ويجعلها الله تعال قدوة لعباده الصالحين وبخاصة نساء المؤمنين: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ).

فاستجاب الله لها فبنى لها بيتًا في الجنة، قال بعض السلف: كانت امرأة فرعون تعذّب بالشمس، فإذا انصَرَفَ عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى بيتها في الجنة.

قال بعض السلف: أرسل إليها فرعون، فقال: انظروا أعظم صخرة تجدونها، فإن مضت على قولها فألقوها عليها، وإن رجعت عن قولها فهي امرأته؛ فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء، فأبصرت بيتها في السماء، فمضت على قولها، فانتزع الله روحها، وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح.[٣٠٤]

([٣٠٢]) رواه أحمد ٣٠٩/١، ٣١٠، وأبو يعلى في مسنده ٣٩٤/٤، والطبراني في المعجم الكبير ٤٥٠/١١، والبيهقي في شعب الإيمان ٢٤٣/٢(١٦٣٦)وصححه ابن حبان ١٦٣/٧(٢٩٠٣) (٢٩٠٤)، والضياء في الأحاديث المختارة ٢٧٥/١٠، وقال الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٥٣٨/٢: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال ابن كثير في التفسير ١٦/٣: إسناد لا بأس به ولم يخرجوه، وقال السيوطي في الدر المنثور ٢١٢/٥: بسند صحيح، ولكن قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦٥/١: فيه عطاء بن السائب وهو ثقة ولكنه اختلط، واللفظ المشار إليه عند ابن حبان، والثاني عند أبي يعلى والحاكم.

([٣٠٣]) سورة التحريم آية ١١.

([٣٠٤]) ينظر: تفسير الطبري ٢٣ / ٥٠٠-٥٠١.

إبراهيم الخليل عليه السلام ... أبو الأنبياء وخليل الرحمن ...كان يدعو قائلا: (وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ)[٣٠٥]، قال ابن كثير رحمه الله: أي واجعل لي ذكرا جميلا بعدي أُذكر به ويُقتدى بي في الخير؛ كما قال تعالى: (وتركنا عليه في الآخرين سلام على إبراهيم كذلك نجزي المحسنين)، قال مجاهد وقتادة: (وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ) يعني الثناء الحسن.[٣٠٦] قال تعالى: (وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً).[٣٠٧]

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثـــوان

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثان

إن مما ينبغي أن يسعى له المؤمن في هذه الحياة الدنيا أن يكون له عمل صالح يُذكر به ويخلِّد ذكره بعد موته، ليستمر عطاؤه ويستمر الدعاءُ له والثناءُ عليه، وهذا لا يكون إلا بإخلاص العمل لله، والحرص على عمل الصالحات التي يعم نفعها، وكلَّما كان النفع أكبر وأعم كان الذكر الحسن والثناء الصالح أجلُّ وأكبر، ولذلك لما كان نفع الأنبياء عليهم السلام عامًّا للناس كان ذكرهم رفيعًا عاليًا، قال الله تعالى:(ورفعنا لك ذكرك)، قال مجاهد: لا أُذكر إلا ذُكرتَ معي: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، وقال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة؛ فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله.[٣٠٨]

عباد الله... إن أعظم ما يرفع ذكر الإنسان من الأعمال الصالحة نشر العلم والدعوة إلى الله تعالى...فهذا الإمام البخاري وهذا الإمام مسلم...وهذا الإمام أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم...لازال الناس يذكرونهم ويترحمون عليهم...ومن لم يدرك العلم بنفسه فيمكنه إدراك نشره بماله...بطباعة الكتب وتوزيعها على طلاب العلم ووقف الأوقاف لها...

([٣٠٥]) سورة الشعراء آية ٨٤.

([٣٠٦]) تفسير ابن كثير ٣ / ٣٣٩.

([٣٠٧]) سورة مريم آية ٥٠.

([٣٠٨])تفسير ابن كثير ٤/٥٢٥.

عباد الله... إن أعظم ما يرفع ذكر الإنسان من الأعمال الصالحة البذل والسخاء في أبواب البر المختلفة فهؤلاء هم تجار المسلمين الصالحين تلهج الألسنة بالثناء عليهم، وترتفع الأصوات بالدعاء لهم لما بذلوه من الإحسان في وجوه الخير الكثيرة الباقية.

عباد الله... مما يرفع الذكر الحسن للمرء المسلم الولدُ الصالح: فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».[٣٠٩] فواجب على المسلم أن يحرص على صلاح ولده؛ فإن في صلاحهم رفعةً له وثناءً عليه واستمرارًا لعمله الصالح؛ والدعاءُ له لا يكون إلا من الولد الصالح؛ فأين من إذا رآه الناس قالوا رحم الله والديك، غفر الله لك ولوالديك، ومن إذا رأوه شتموه وشتموا والديه أو لعنوهما.

عباد الله... إن مما يرفع الذكر الحسن للمرء المسلم الأعمال الصالحة التي تبقى بعده: ومنها ما ذكره النبي ﷺ في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما يلحق المؤمنَ من عمله وحسناته بعد موته: عِلمًا علَّمه ونَشَره، وولدًا صالحا تركه، ومصحفًا ورَّثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقةً أخرجها من ماله في صِحَّته وحياته يلحقه من بعد موته».[٣١٠]

فليستكثر المؤمن من عمل الصالحات الباقيات في حياته والممتدة بعد موته، وما ذكرنا إلا بعض الأمثلة على ذلك والباب واسع لمن أراد الخير.

عباد الله.. ومن أعظم الذكر الحسن وأجله ذكر الله تعالى للعبد في الملأ الأعلى والثناء عليه بالخير عند الملائكة الكرام... وأما كيف يَتوصل العبد إلى هذا؟ فبأن يكثر من ذكر الله تعالى (فاذكروني أذكركم) البقرة ١٥٢، وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النبي ﷺ فِيمَا يَحْكِي عن رَبِّهِ عز وجل انه قال: «مَنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نفسي، وَمَنْ ذَكَرَنِي في ملأ مِنَ النَّاس ذَكَرْتُهُ في

---

(٣٠٩)رواه مسلم ١٢٥٥/٣ (١٦٣١) في كتاب الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته.

(٣١٠)رواه ابن ماجه ٨٨/١ (٢٤٢)، قال المنذري(الترغيب والترهيب ٥٥/١، و ١٢١/١): رواه ابن ماجه بإسناد حسن والبيهقي ورواه ابن خزيمة في صحيحه مثله إلا أنه قال: أو نهراكراه، وقال: يعني حفره ولم يذكر المصحف، وقال العجلوني:(كشف الخفاء ٤٠٩/٢): رواه الترمذي باسناد حسن.

ملأ أَكْثَرَ منهم وَأَطْيَبَ».رواه أحمد.[٣١١] قال الإمام ابن القيم : ولو لم يكن في الذكر إلا هذه [الفائدة] وحدها لكفى بها فضلا وشرفا.[٣١٢]

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَبْكِي فَقَيْدًا مِنْ الْوَرَى ... وَتَنْدُبُهُ نَدْبَ النَّبِيِّ الْمُكَرَّمِ
فَلا تَبْكِيَنَّ إلا عَلَى فَقْدِ عَالَمٍ..... يُبَالِغُ فِي التَّعْلِيمِ لِلْمُتَعَلِّمِ
وَفَقْدِ إمَامٍ عَادِلٍ صَانَ مُلْكَهُ ..... بِأَنْوَارِ حُكْمِ اللَّهِ لا بِالتَّحَكُّمِ
وَفَقْدِ وَلِيٍّ صَالِحٍ حَافِظِ الْوَفَا ..... مُطِيعٍ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مُعَظِّمِ
وَفَقْدِ شُجَاعٍ صَادِقٍ فِي جِهَادِهِ ..... قَدْ انْتَشَرَتْ أَعْلامُهُ لِلتَّقَدُّمِ
وَفَقْدَ سَخِيٍّ لا يَمَلُّ مِنْ الْعَطَا ... يُفَرِّجُ هَمَّ الْعُسْرِ عَنْ كُلِّ مُعْدَمِ
فَهُمْ خَمْسَةٌ يُبْكَى عَلَيْهِمْ وَغَيْرُهُمْ... إلَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَمِ

أقول ما تسمعون وأسأل الله تعالى أن يغفر لي ولكم ولجميع المسلمين إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ، أما بعد:

عباد الله.. وفي مقابل الذكر الحسن استمع إلى ما قاله الله تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ{٢٧} لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ{٢٨} إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ{٢٩} فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ{٣٠} فَبَعَثَ اللّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ{٣١}

([٣١١])رواه أحمد ٣٥٤/٢، ٤٠٥ وصححه ابن كثير(تفسير ابن كثير ١٩٧/١) وابن حجر (أسئلة بخط ابن حجر ملحقة بالإمتاع بالأربعين المتباينة السماع ص١٢٢)والألباني (الإيمان لابن تيمية ص٧٧) .

([٣١٢])الوابل الصيب ص٦٢.

عن عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلاّ كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ».[٣١٣]

وصورة أخرى من صور السوء ونشر الفساد في الأرض ما قد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «رأيتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَرَأَيْتُ[فيها] عَمْرَو [بن لُحَيٍّ] يَجُرُّ قُصْبَهُ».متفق عليه.[٣١٤] يعني أمعاءه، وفي لفظ خارج الصحيح(عند الطبري في التفسير وغيره) يؤذي ريحُه أهلَ النار. فلماذا كان هذا جزاؤه؛ وقد كان هذا الرجل أحدَ ملوك خزاعة؟ قال ﷺ: «وَهْوَ أَوَّلُ من سَيَّبَ السَّوَائِبَ»، قال سَعِيدُ بنُ الْمُسَيَّبِ: السَّائِبَةُ الَّتِي كَانُوا يُسَيِّبُونَهَا لآلِهَتِهِمْ لا يُحْمَلُ عليها شَيْءٌ.[٣١٥]، وهذا الرجل هو الذي حَمَل قريشًا على عبادة الأصنام وأحضرها لهم من الشام ونَصَبَها حول الكعبة، وهو الذي غيَّر دين إبراهيم عليه السلام.

فأين الذين يسعون في إضلال عباد الله تعالى وينشرون الفساد في الأرض؟ أين الذين يُضلِّلون الناس في عقائدهم وأفكارهم عبر ما يكتبونه في صحفهم أو يسطرونه في كتبهم؟ أين الذين يسعون لنشر الرذيلة بنشر الصور العارية والمجلات الهابطة، ونشر الأفلام الفاسدة المفسِدة بيعًا وتأجيرا، أو إنتاجا وإخراجًا، أو نشر الأغاني الماجنة، أو بيع أنواع المحرمات أو استيرادها إلى بلاد المسلمين؟ أين الذين يتاجرون في الدخان والشيشة والمخدرات؟ أين هؤلاء جميعا وأمثالهم من قول النبي ﷺ: «ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها، ووزر من عمل

([٣١٣])رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء،بَاب خَلْقِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ (٣٠٨٨)،ومسلم في كِتَاب الْقَسَامَةِ وَالْمُحَارِبِينَ وَالْقِصَاصِ وَالدِّيَاتِ،بَاب بَيَانِ إِثْمِ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ(٣١٧٧).

([٣١٤])رواه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة المائدة، بَاب: (ما جَعَلَ الله من بَحِيرَةٍ ولا سَائِبَةٍ ولا وَصِيلَةٍ ولا حَامٍ) ١٦٩١/٤(٤٣٤٨)، ومسلم في كتاب الكسوف، بَاب صَلَاةِ الْكُسُوفِ ٦١٩/٢(٩٠١)، والزيادة بين معقوفين من روايته، ومن رواية أخرى للبخاري في أبواب العمل في الصلاة، بَاب إذا انْفَلَتَتْ الدَّابَّةُ في الصَّلَاةِ ٤٠٦/١(١١٥٤).

([٣١٥]) الحديث تتمة الحديث السابق، وتفسير سعيد هذا خرجاه في الصحيحين في الموضع نفسه.

بها – من بعده – من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».[٣١٦] (لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ)النحل٢٥.

عباد الله.... وليس ينفع المرءَ ذكرٌ حسن إلا مع إيمان بالله تعالى وإخلاص العمل له، تقول أم المؤمنين عَائِشَةُ رضي الله عنها: قلت: يا رَسُولَ اللَّهِ، ابنُ جُدْعَانَ كان في الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ؛ فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قال: «لا يَنْفَعُهُ، إنه لم يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لي خَطِيئَتِي يوم الدِّينِ».رواه مسلم.[٣١٧]

يموت أناس فلا يُؤسَى على فراقهم ولا يحزن على فقدهم ؛ فلم يكن لهم آثارٌ صالحة ولا أعمالٌ نافعة ولا إحسانٌ إلى الخلق ولا بذل ولا شفقة ولا عطف ولا رحمة ولا خلق حسن...يقول الله تعالى في أمثال هؤلاء: (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالأَرْضُ) الدخان ٢٩، قال بعض السلف: لم يكن لهم عمل صالح لتبكي عليهم الأرض التي عبدوا عليها، وأبواب السماء التي كان عملهم يرتفع إليها.

عباد الله....اتقوا الله تعالى حقَّ التقوى، واستمسِكوا من الإسلام بالعُروة الوُثقَى، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَق تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُن إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)، واعلموا أن من اتَّقى الله وقاه، وكفاه وأسعدَه وآواه.

وتقوى الله خيرُ الزاد ذُخرًا******وعند الله للأتقَى مزيدٌ

اتقوا الله تعالى واعلموا أنكم غدا بين يدي الله موقوفون وبأعمالكم مجزيون وعلى كسبكم محاسبون، وأن المصير إما إلى جنة المأوى وإما إلى نار تلظى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ).... اللهم.....

([٣١٦])رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار ٢/٧٠٤ (١٠١٧)، وفي كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ٤/٢٠٥٩ (١٠١٧).

([٣١٧])رواه مسلم في كتاب الإيمان، بَاب الدَّلِيلِ على أَنَّ من مَاتَ على الْكُفْرِ لَا يَنْفَعُهُ عَمَلٌ ١/١٩٦(٢١٤).

الخطبة العشرون :تربية النفس وتزكيتها

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)،(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)،(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)، أما بعد:

أيها المؤمنون...في بداية الهجرة النبوية...آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ[الفارسيَّ] وَأَبِي الدَّرْدَاءِ[رضي الله عنهما]، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أبو الدَّرْدَاءِ ليس له حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا. فَجَاءَ أبو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ له طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ فَإِنِّي صَائِمٌ. قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أبو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ آخِرُ اللَّيْلِ، قَالَ سَلْمَانُ: قُمِ الآنَ، قَالَ: فَصَلَّيَا. فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: «إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ». فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ».رواه البخاري.([٣١٨])

عباد الله... نفس الإنسان هي مطيته التي يسير بها إلى عَالَمِهِ كُلِّهِ، وتوصله إلى سعادة الدارين، فلذلك يجب عليه الاهتمام بها ورعايتها وحفظها من كل ما يسيء إليها أو يتلفها أو ينقص من أهليتها، وذلك يشمل أمرين:

الأول: حِفْظُهَا مِنْ كُلِّ مَا يؤدي إلى عذابها في الآخرة، ويكون ذلك بالاستقامة على دين الله تعالى بفعل ما أمر الله به ورسوله ﷺ، واجتناب ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ حتى يبلغ

([٣١٨]) رواه البخاري في كتاب الأدب، بَاب صُنْعِ الطَّعَامِ وَالتَّكَلُّفِ لِلضَّيْفِ ٥/٢٢٧٣(٥٧٨٨)، وفي كتاب الصوم، بَاب من أَقْسَمَ على أَخِيهِ لِيُفْطِرَ فِي التَّطَوُّعِ ولم يَرَ عليه قَضَاءً إذا كان أَوْفَقَ له ٢/٦٩٤(١٨٦٧).

الإنسان إلى الأمان والنجاة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)([٣١٩]).

عبد الله...أيها المؤمن... (إن لنفسك عليك حقا).. وإن أعظم حقوق الإنسان على نفسه أن يقيها عذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)([٣٢٠])، وإنما تحصل وقاية النفس من النار بتقوى الله تعالى، بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه.

الثاني: حِفْظُهَا مِنْ كُلِّ ما يؤذيها في الدنيا ويؤدي بها إلى التهلكة الكاملة، بالانتحار وقتل النفس، وسواء أكان ذلك قتلا مباشرا، أم قتلا بطيئا كما هو الحال في شرب الدخان أو تعاطي المخدرات بأنواعها، واسمع إلى مولاك وهو يقول: (وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)([٣٢١])... كما يجب حفظها من إهلاك جزء منها، بقطع عضو من الأعضاء أو إتلافه بأي وسيلة... أو الإضرار بها، أو إمراضها، أو تعريضها لأسباب المرض، أو التهاون في أسباب حفظها.... ولهذا اعتبر الشرع: (حفظ النفس) من الضروريات الخمس التي يجب الحفاظ عليها؛ فلا يحل للإنسان التَّعَدِّي على نفسه بأي نوع من التَّعَدِّي القتل فما دونه؛ وليست نفسه ملكا له يتصرف فيها بما يشاء، وإنما في حدود ما أذن فيه الشرع.

عباد الله... المسلم مأمور شرعا بتزكية نفسه ، قال تعالى (قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا)([٣٢٢]). وتزكيتها يكون بأمرين: الأول: تطهيرها من جميع الرذائل. والثاني: إكسابها عموم الفضائل.

وتزكية النفس يكون باتباعها ما جاء به النبي ﷺ من ربه جل وعلا كما قال تعالى (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)([٣٢٣])، ولا تتزكى النفس بغير ذلك من الطرق المجانبة للسنة مما أحدثه الناس من أهل البدع كالصوفية وغيرهم.

---

(٣١٩) سورة التحريم آية ٦.

(٣٢٠) سورة التحريم آية ٦ .

(٣٢١) سورة البقرة آية ١٩٥.

(٣٢٢) سورة الشمس آية ٩.

(٣٢٣) سورة الجمعة آية ٢.

ولما كانت تزكية الإنسان لنفسه من الواجبات الشرعية التي يجب الحرص عليها، فقد أثنى الله تعالى على من زكى نفسها وهذبها، وذم من ترك تزكية نفسه وأهملها، فقال تعالى: (قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها)([٣٢٤]).

فإن سألت أيها المؤمن: كيف أزكي نفسي؟

فإني أقول لك: تحصل تزكية النفس بسلوك خمس مراتب:

المرتبة الأولى: الْعِلْمُ، وذلك بمعرفة ما للنفس وما عليها، ومعرفة الواجبات والمحرمات، والمسنونات والمكروهات، وبالجملة: فلا بد من معرفة النفس بما يريده الله منها حتى تعمل على بينة من الشرع، وبقدر ما يكون عند الإنسان من العلم والمعرفة بمرادات الله تعالى، وكيفية العمل بها، يكون مقدار تزكيته لنفسه التزكية الشرعية، ويتجنب التزكية البدعية.

المرتبة الثانية: الْمُجَاهَدَةُ، وذلك بتربية النفس ومدافعتها للعمل بما علمته مما أمر الله به ورسوله ﷺ أو نهى عنه الله ورسوله ﷺ، سواء أكان ذلك من حقوق الله تعالى التي أوجبها لنفسه، أو من الحقوق التي أوجبها لبعض خلقه.

المرتبة الثالثة: المراقبة، ويدخل في ذلك:

– مراقبةُ الله في أصل العمل، فإذا كان مأمورا به هل أتيت به كما أمرك، وإذا كان منهيا عنه فتراقب الله أن لا تعمله، وتحذرُ منه أن يفقدك حيث أمرك، أو يراك حيث نهاك.

عن عبد اللَّهِ بن مُعَاوِيَةَ الْغَاضِرِيِّ رضي الله عنه قالَ: قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ثَلاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الإِيمَانِ: مَنْ عَبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ فإِنَّهُ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ، وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بها نَفْسُهُ، رَافِدَةً عَلَيْهِ في كُلِّ عَامٍ، وَلَمْ يُعْطِ الْهَرِمَةَ ولاَ الدَّرِنَةَ ولاَ الشَّرَطَ اللاَّئِمَةَ، ولاَ الْمَرِيضَةَ، وَلَكِنْ من أَوْسَطِ أَمْوَالِكُمْ فإن اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَسْأَلْكُمْ خَيْرَهُ، وَلَمْ يَأْمُرْكُمْ بِشَرِّهِ، وَزَكَّى عَبْدٌ نَفْسَهُ»، فَقَالَ رَجُلٌ: مَا تَزْكِيَةُ الْمَرْءِ نَفْسَهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قال: «يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ مَعَهُ حَيْثُ مَا كَانَ».رواه أبو داود والبيهقي.([٣٢٥])

---

(٣٢٤) سورة الشمس آيتا ٩– ١٠.

([٣٢٥])رواه أبو داود في كتاب الزكاة، بَاب في زَكَاةِ السَّائِمَةِ ١٠٣/٢(١٥٨٢) والبيهقي في السنن الكبرى ٩٥/٤ وهذا لفظه ولم يذكر أبو داود الثالثة وما بعدها، والطبراني في المعجم الصغير (الروض الداني) ص٣٣٤(٥٥٥) ومسند الشاميين ٩٧/٣(١٨٧٠)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ٣٠٠/٢(١٠٦٢)، والبخاري في التاريخ الكبير ٣١/٥، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣٨/٣(١٠٤٦).

– كما يدخل فيه مراقبة الله في العمل بإخلاصه لله تعالى، وتوحيد الإرادة وتجريدها من كل ما يشوبها، فإذا كان مأمورا به فهل فتجرد العمل له وحده، وإذا كان منهيا عنه فتجرد الترك لله وحده، وتستشعر أنه يراك في فعلك وتركك.

– كما يدخل فيه مراقبة العمل نفسه من حيثُ موافقتُهُ للهدي النبوي من عدمه، وهذا هو توحيد المتابعة.

أما المرتبة الرابعة من مراتب تزكية النفس فهي: المحاسبة، وذلك بأن تسأل نفسك: هل قامت بالعمل الذي أمرت به؟ وإذا قامت به، هل كان لله؟ وإذا كان لله، فهل هو موافق لشريعة محمد ﷺ؟ وإذا كان موافقًا فهل أتت به على أكمل الوجوه؟

وهكذا فيما نُهيت عنه: هل تركته؟ وهل كان الترك لله تعالى؟ وهل كان الترك كاملا؟

وأما المرتبة الخامسة من مراتب تزكية النفس فهي: التوبة والإنابة، توبةٌ من ترك الواجبات أو التقصير فيها، أو فعل المنكرات، أو من التقصير في فعل الحسنات، وفي ترك المكروهات، ثم العزم على ترك كل تقصير، والسعي في استدراك ذلك في مستقبل الحال.

ويجمع ذلك كلَّه إصلاح القلب فإذا صلح القلب صلحت النفس...

والنفس كالطفل إن تهمله شب على**حب الرَّضاع أو تفطمه ينفطم

أقول ما تسمعون وأسأل الله تعالى أن يغفر لي ولكم ولجميع المسلمين إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ، أما بعد:

أيها المؤمنون...إن النفوس على ثلاث درجات، قد تستقر النفس في أحد الدرجات زمنا طويلا أو قصيرا، وقد تتلوَّن في اليوم الواحد بين أكثر من درجة:

أما الدرجة الأولى فهي النفس المطمئنة، وهي النفس التي وصلت أعلى درجات الكمال فرضيت بالله تعالى وبشرعه فلم تعترض عليه، ورضيت بقضائه وقدره فسلَّمت له، واطمأنت بفعل الطاعات وهي راضية شاكرة، وبترك المنكرات وهي منقادة مستسلمة.

وأما الدرجة الثانية فهي النفس اللوامة، وهي التي تلوم صاحبها على التقصير في المأمورات، وتلومه على الإتيان بالمنهيات، وتزين له فعل الخيرات وترك المنكرات.

وأما الدرجة الثالثة فهي النفس الأمارة بالسوء، وهي التي تأمر صاحبها بالسوء، وتزينه له، وتسهل عليه الإقدام عليه، وتُكَرِّهُ لَهُ فعل الخير وتنهاه عنه، وتثقله عليه، وتوصد دونه أبوابه.

أيها المؤمن...احرص على تربية نفسك وتهذيبها لتوصلها إلى أكمل الدرجات....(يا أيتها النفس المطمئنة. ارجعي إلى ربك راضية مرضية. فادخلي في عبادي. وادخلي جنتي).

عبد الله...أيها المؤمن...إن من أهم ما يعينك في تزكية نفسك وتهذيبها... أن تتذكر دائما..ولا تغفل عن حقيقة الحياة الدنيا بالنسبة لك... فما هي إلا دار مرور وليست دار استقرار، فلذلك يجب عليك أن تتنبه لهذا فلا تتخذها دار قرار فتركن إليها وتنسى الدار الحقيقية، وبذلك تضر بنفسك، وتخسر آخرتك: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)([٣٢٦])..

يقول عبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ». وَكَانَ ابنُ عُمَرَ- رضي الله عنهما- يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. رواه البخاري.([٣٢٧])

عبد الله...أيها المؤمن...احرص على ما ينفعك.. وأهم ذلك تنمية إيمانك وتقويته، وتجنب ما من شأنه أن يضعفه... وأن يكون لك نصيب من العلم النافع، وهو علم الكتاب والسنة... وأن تكون مشاركا بما يمكنك في الدعوة إلى الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..حريصا على إصلاح قلبك وتزكيته.. وتهذيب أخلاقك وتنميتها.

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها...

عباد الله....اتقوا الله تعالى حقَّ التقوى، واستمسِكوا من الإسلام بالعُروة الوُثقَى، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَق تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُن إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)، واعلموا أن من اتَّقى الله وقاه، وكفاه وأسعدَه وآواه.

وتقوى الله خيرُ الزاد ذُخرًا******وعند الله للأتقَى مزيدٌ

---

(٣٢٦) سورة الحديد آية ٢٠.

([٣٢٧]) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» ٥/٢٣٥٨(٦٠٥٣).

اتقوا الله تعالى واعلموا أنكم غدا بين يدي الله موقوفون وبأعمالكم مجزيون وعلى كسبكم محاسبون، وأن المصير إما إلى جنة المأوى وإما إلى نار تلظى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ).... اللهم.....

الخاتمــة

وبعد هذه الجولة مع هذه الخطب المنبرية ، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم ، وأن تكون مساهمة إيجابية في مجال الدعوة إلى الله .

فلعل خطيبا ، أو باحثا ، أو محضّرا لكلمة ، أو أي إنسان ، يحبّ القراءة ، أن ينتفع بها ، وتكون له زادا فيما يريد .

اللهمّ فما كان من خطأ فهو من النفس والشيطان، ونستغفر الله من الزلل والتقصير، وحسبنا إرادة الخير، وإفادة الغير

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وأجعله حجة لنا لا علينا، يا رب العالمين.

وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد.

فهرس الموضوعات

	الموضوع	الصفحة
	مقدمة	١
	الخطبة الأولى : الهمّة العالية	٢
	الخطبة الثانية : إن الله هو السميع البصير	١٠
	الخطبة الثالثة :برّ الوالدين	١٧
	الخطبة الرابعة :همٌ كالقِمَم في طاعة الله	٢٥
	الخطبة الخامسة : قصة نبي الله يونس عليه السلام دروس وعبر	٣١
	الخطبة السادسة : عن التوحيد	٣٨
	الخطبة السابعة : شُكْر النّعم	٤٤
	الخطبة الثامنة : حُسْنُ الخُلُق	٥١
	الخطبة التاسعة : تعظيم قدر الصلاة	٥٨
	الخطبة العاشرة : تربية النفس وتزكيتها	٦٨
	الخطبة الحادية عشرة : محبّة الرسول ﷺ	٧٤
	الخطبة الثانية عشرة :العمل للإسلام	٨٠
	الخطبة الثالثة عشرة : استشعار نِعم الله تعالى	٨٨
	الخطبة الرابعة عشرة : القرآن معجزة النبي ﷺ الخالدة	٩٦
	الخطبة الخامسة عشرة: التحذير من الكبر والحث على التواضع	١٠٤
	الخطبة السادسة عشرة :طُرق لكسب الثواب	١١٢
	الخطبة السابعة عشرة :أحكـــام الغُسْل	١١٨

	الخطبة الثامنة عشرة : أحكام أوقات الصلاة والاهتمام بها	١٢٨
	الخطبة التاسعة عشرة : الذكر الحسن والأعمال الباقية	١٤٢
	الخطبة العشرون : تربية النفس وتزكيتها	١٤٩
	الخاتمــة	١٥٤
	فهرس الموضوعات	١٥٥